مذكرة مـاجستير بعنوان التجـارة في عهد بني زيري بإفريقية (362-543هـ / 972-1148 م)

مقدمة :

بدأت الدراسـات الأكـاديمية منذ فترة تنحى منحى مغـايرا للمسـار الذي اتخذته الدراسـات التقليدية حيث أن البـاحثين بدأوا يعيرون اهتمـامـا كبيرا بجوانب ظلت مجهولة أو منسية من التـاريخ وهي الجوانب الاجتمـاعية والثقـافية والاقتصـادية .

وعلى الرغم من أن بعض الدراسـات كـانت مستلهمة من أبحـاث ودراسـات أجنبية ، وبعض البـاحثين قد انسـاق ربمـا لا شعوريـا إلى دراسة التـاريخ الإسلامي بمنهج مـاركسي حيث اعتبروا هذا المجتمع شبيه بمجتمعـات أوربـا في العصور الوسطى (1) ، إلا أن هذا لا يعني خلو البحث من دراسـات جـادة عكفت على تسليط الضوء على هذه الجوانب (2) .

وفي هذا الإطـار ارتأينـا التركيز في دراستنـا على جـانب مهم من جوانب قيـام الدولة وبقـائهـا واستمرارهـا عـبر التـاريخ وهو الجـانب الاقتصـادي والتجـاري فوقع اختيـارنـا على دولة خلفت الدولة الفـاطمية في حكم بلاد المغـرب وهـي الدولة الزيرية (362-543 هـ/ 972- 1148) فوقع اختيـارنـا على موضوع التجـارة في عهد بني زيري بإفريقية 362هـ-543هـ /972م-1148م .

1/ دواعي اختيـار الموضوع :

ترجع أسبـاب اختيـارنـا لهذا الموضوع إلى كون النشـاط التجـاري للدولة الزيرية لم يحظ – حسب علمنـا – بدراسة مختصة إلى يومنـا هذا رغم أهمية هذا النشـاط في هذه الدولة بالذات .

ومن بين الدوافع التي جعلتنـا نختـار هذا الموضوع هو الابتعـاد عن المواضيع التي تتطرق إلى الجوانب السـيـاسية والعـسكرية الـتي أفـاضت كتب التـاريخ بذكرهـا وتنـاولهـا البـاحثون بالدراسة والبحث .

كمـا أننـا أردنـا بذا الموضوع معرفة العلاقـات التجـارية السـائدة في جزء من حوض المتوسط وبذلك معرفـة أثـر هـذه العلاقـات على العلاقـات السيـاسية إذ أن التجـارة والسيـاسة كـانتـا دومـا تؤثران في بعضهمـا البعض وبينهمـا علاقـة طردية ، فكلمـا كـانت العلاقة السيـاسية متينة بنيت معهـا علاقة تجـارية متينة والعكس صحيح .

2/ إشكـالية البحث:

يحـاول هذا البحث الإجـابة على مجموعة من التسـاؤلات من بينهـا :

1/ مـا هي العوامل التي كـانت تتحكم في التجـارة في ذلك العهد ؟

2/ من هم المتحكمون في التجـارة ؟

3/ مـا هي أنواع السلع المتبـادلة داخليـا وخـارجيـا ؟

4/ مـا هي أنواع الأسواق وكيف كـانت طرق التعـامل التجـاري فيهـا ؟

3/ الدراسـات السـابقة :

أثنـاء دراستنـا لهذا الموضوع كـان لزامـا علينـا الإطلاع على الدراسـات التي تنـاولت التـاريخ الاقتصـادي للمغـرب في العصر الإسلامي وذلك لتسهل علينـا الإحـاطة بالجوانب الاقتصـادية وكيفية التعـامل مع مصـادر الموضوع ، إذ أن هذا الموضوع لا يزال خصبـا ويتطلب جهودا كثيفة للإلمـام بجوانبه ومن بين الدراسـات التي استعنـا بـا تلك التي أعدهـا البـاحث الفرنـسي (

---

(1)أحمد صـادق سعد :دراسـات في المفـاهيم الاقتصـادية لدى المفكرين الإسلاميين" كتـاب الخراج" لأبي يوسف ، دار الفرابي ، دار الثقـافة الجديدة ، 1988 .

(2)نذكر في هذا الـال دراسـات كل من : عز الدين أحمد موسى : النشـاط الاقتصـادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السـادس الهجري ، دار الشروق ، ط1 ، بيروت ، 1983 .

كمـال السيد أبو مصطفى : جوانب من حضـارة المغرب من خلال نوازل الونشريسي ، مؤسسة شبـاب الجـامعة ، الإسكندرية ، 1997 .

التونسي الأصل) هـادي روجي إدريس" الدولة الصنهـاجية" ورغم أن الدراسة قديمة (1) ، وأنـا كـانت عـامة وليست مخصـصة لجـانب واحد إلا أنـا تظل هـامة لكل بـاحث يتنـاول الدولة الزيرية ، وقد اعتمدنـا على النسخة المعربـة مـن هـذه الدراسـة الجـامعية .

وهنـاك دراسـة أخرى أعدهـا البـاحث جودت عبد الكريم يوسف بعنوان الأوضـاع الاقتصـادية والاجتمـاعية خلال القـرنين الثـالث والرابع الهجريين (9-10م) والتي نـال بـا شهـادة دكتورا من جـامعة الجزائر ، ثم طبعت في كتـاب ورغم أن البـاحث تنـاول فيهـا المغرب الأوسط إلا أنه كثيرا مـا كـان يقدم معلومـات عن إفريقية الفـاطمية والزيرية .

كمـا استعنـا بكتـاب الحبيب الجنحـاني : المغرب الإسلامي الحيـاة الاقتصـادية والاجتمـاعية (3-4 هـ / 9-10 م) في فهم هذه الجوانب كونه تنـاول التـاريخ الاقتصـادي لإفريقية في القرنين الثـالث والرابع الهجريين .

كمـا أعـانتنـا الدراسة التي أعدهـا البـاحث السوداني عز الدين أحمد موسى : النشـاط الاقتصـادي في المغـرب الإسـلامي خلال القرن السـادس الهجري و التي تعتبر من أهم الدراسـات الحديثة في هذا الـال كـون البـاحث اعتمـد علـى عـدد مـن المخطوطـات التي لا يزال العديد منهـا غير مطبوع ، ومع أن هذه الدراسة تنـاولت الفترة الموحدية إلا أنه في كثير من الأحيـان كـان يشير إلى العصر السـابق (الدولة الزيرية) ، كمـا أن بعض النواحي لم تتغير وهو مـا جعلنـا نعتمد عليه في تقرير بعض الحقـائق .

4/ الصعوبـات :

أثنـاء دراستنـا لهذا الموضوع واجهتنـا مجموعة من الصعوبـات نذكر منهـا على سبيل المثـال لا الحصر :

1/ تنوع مصـادر البحث إذ أن البـاحث في التـاريخ الاقتصـادي يجد نفسه مضطرا للتعـامل مـع مـصـادر متعـددة منهـ ـا المصـادر الجغرافية وكتب الفقه والنوازل وكتب الحسبة وحتى كتب الأدب .

2/ فقدان عدد كبير من مصـادر العهد الزيري (2) ممـا اضطرنـا إلى الرجوع إلى مصـادر تعود إلى عهود سـابقة أو لاحقة .

3/صعوبة التعـامل مع بعض المصـادر مثل كتب الفقه والنوازل إذ أنـا كـانت تذكر بعض الأمور الاقتصـادية على شكل أسـئلة فقهية ولم تحللهـا كقضـايـا اقتصـادية ، أمـا بالنسبة للمصـادر التـاريخية فإنـا لا تذكر الأمور الاقتصـادية إلا عرضـا أثنـاء حديثهـا عن الأمور السيـاسية أو الحربية .

5/المنهج المتبع :

---

(1) قدم هذا العمل على شكل رسـالة دكتورا أتمهـا صـاحبهـا سنة 1959 ،أصدرهـا في الجزائر سنة 1962 على شكل كتـاب في جزأين ويحمل عنوان" بلاد البربر الشرقية في عهد بني زيري" تحت إشراف معهد الدراسـات الشرقية التـابع لكليـة الآداب والعلـوم الإنسـانية بجـامعة الجزائر

(2) ألف ابن الجزار (ت395 هـ/1004م) كتـاب مغـازي إفريقية ، كتـاب أخبـار الدولة ، كتـاب التعريف بصحيح التـاريخ ويقـال أنه ألف كتـاب طبقـات القضـاة .

كمـا ألف أبو إسحـاق إبراهيم (ت418 هـ/1027م) كتـاب تنـاول فيه إفريقية والمغرب وسمـاه تـاريخ القيروان.

وألف ابن شرف (ت460 هـ/1067م) كتـاب عنوانه الذيل .

وألف محمد بن سعدون (ت485 هـ/1092م) كتـاب تعزية أهل القيروان بمـا جرى على البلدان من هيجـان الفتن وتغلب الزمـان

وألف ابن الرشيق (ت542 هـ/1129م) كتـاب تـاريخ القيروان أو ميزان الأعمـال في أيـام الدول .

اتبعنـا في دراستنـا المتواضعة لهذا الموضوع المنهج الوصفي التحليلي القـائم على مقـ ـارنة النـصوص واسـتخلاص النتـ ـائج ومحـاولة استبعـاد الروايـات المبـالغ فيهـا والأقوال التخمينية والتي اعتـاد المؤرخون والجغرافيون في هذا العهد علـى نقلهـ ـا دون تمحيص .

6/هيكل البحث:

لقد قمنـا بتقسيم هذا البحث إلى أربعة فصول بعد المقدمة والمدخل ففي المقدمة عرضنـا الخطوات التي اتبعنـاهـا في إنجـاز هذا البحث ، وفي المدخل قدمنـا عرضـا موجزا للوضعية الاقتصـادية للدولة الزيرية وذلك بالحديث عن الزراعة والصنـاعة لمـا لهمـا من أثر على النشـاط التجـاري .

أمـا الفصل الأول فقد كـان مخصصـا للحديث عن موقف الدولة الزيرية من التجارة كمـا خصصنـا جزءا منه للحديث عـن العوامل المتحكمة فيهـا .

أمـا الفصل الثـاني فتنـاولنـا فيه أصنـاف التجـار فقمنـا بتصنيفهم من حيث العمل التجـ ـاري ومـن حيـث المكـ ـانة التجـارية وتكلمنـا عن التـاجر الذمي .

أمـا الفصل الثـالث فقد تكلمنـا فيه عن التجـارة الداخلية ومـا تختص به من طرق تجـارية وأسـواق بأنواعهـ ـا والـسلع المتبـادلة في هذه الأسواق وأسعـار السلع ، والشركـات وأنواعهـا والمكـاييل والموازين المستعملة والعملة المتعـامل بـا والحـسبة داخل الأسواق .

أمـا الفصل الرابع والأخير فقد خصصنـاه للحديث عن التجـارة الخـارجية وتكلمنـا فيه عن الطرق التجـ ـارية الخـ ـارجية البرية والبحرية وأهم الموانئ التجـارية ووسـائل النقل البرية والبحرية ، ثم انتقلنـا إلى عنصر هـام في التجـ ـارة الخـ ـارجية وهـو الفنـادق ، كمـا تحدثنـا عن منـاطق التبـادل التجـاري والصـادرات والواردات وختمنـا هذا الفصل بالحديث عـن الـضرائب والمكوس .

وختمنـا بحثنـا هذا بخـاتمة كـانت عبـارة عن حوصلة للنتـائج المتوصل إليهـا من خلال هذا البحث .

دراسة المصـادر والمراجع :

1/ المصـادر :

ذكرنـا سـابقـا أن مصـادر الموضوع مختلفة ومتنوعة ففيهـا كتب الجغرافيـا والرحلات وكتب الفقه والنوازل وكتب التـاريخ وكتب الحسبة وكتب الأدب والموسوعـات .

أ/ كتب الجغرافيـا والرحلات :

1/الأصطخري : (ت 340 هـ/ 951 م) " المسالك والممالك" : ويتضح من تصفح كتاب الأصطخري أنه سافر كثيرا والمرجح أنه وضع كتابه بين (318-321 هـ/ 930-933 م) ووصف الأصطخري للمغرب كان بالإضافة إلى قصره قليل القيمة ، حيث أنه لا يكاد يتجاوز ذكر المدن والمسافات التي تفصل بينها (1) .

2/ابن حوقل : (ت 367 هـ/977 م) " صورة الأرض" : ومن المؤكد أن ابن حوقل زار المغرب وتجول فيه من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب وهذه الزيارة لم تكن زيارة عابر سبيل وإنما كانت مناسبة للتأمل والدرس ومن ثم سمحت له بإرضاء رغبته في المعرفة وممارسة أعماله التجارية (2) .

وعند مقارنة كتاب الأصطخري مع كتاب ابن حوقل نجد أن ابن حوقل قد أضاف معلومات هامة عن مصر والأندلس والمغرب وصقلية (3) ، وقد أفادنا هذا المصدر أثناء الحديث عن بعض السلع وعن أسعارها وعن الأسواق وأماكن تواجدها .

3/المقدسي : (ت 378 هـ/988 م) " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" : وصف المستشرق سبرنجر (SPRENGER) بأنه" أعظم جغرافي في العالم قاطبة" ولعل الميزة الأساسية التي تميز عمل المقدسي هي مادته الجغرافية الغزيرة و التي عمل على تجريدها من كل الأساطير والخرافات التي جمعها كثير من سابقيه (4) .

وقد أفادنا هذا المصدر في أمور متعددة منها أنه دلنا على وسائل النقل البرية والأماكن التي جلبت منها .

4/البكري : (ت 487 هـ/ 1094 م) " المسالك والممالك" : إن كتاب المسالك والممالك الذي نشر البارون دوسلان منه القسم المتعلق بالمغرب ونشر الدكتور عبد الرحمن علي حجي الجزء المتعلق بالأندلس يقوم أساسا على المجهودات الشخصية للمؤلف وعلى المعلومات التي استقاها من المعاصرين له (5)، كما أن البكري ينقل كثيرا عن محمد بن يوسف الوراق (ت 363 هـ/ 976 م) الذي عاش في القيروان وقرطبة وأورد لوصف المغرب كتابا يحمل عنوان" المسالك والممالك" وهذا الكتاب لم يصلنا (6) .

وقد أفادنا هذا المصدر في أمور عديدة إذ أنه وصف الأسواق وتكلم عن الموازين والمكاييل و أعطانا وصفا دقيقا للطرق التجارية البرية وتحدث عن الطريق البحري الذي يربط بين المهدية والإسكندرية .

5/ الإدريسي : (ت 560 هـ/ 1166) " نزهة المشتاق في اختراق الأفاق" : وقد اعتمدنا على الجزء الخاص بالمغرب والأندلس والذي حققه إسماعيل العربي .

وقد استعان الإدريسي في إعداد كتابه بعدد من الكتب مثل المسعودي والجيهاني وابن خرداذبة والعذري وابن حوقل واليعقوبي وقدامة البصري وبطليموس وأرسيوس الأنطاكي وغيرهم (7)

وقد أفادنا هذا المصدر في معرفة الطرق التجارية والصادرات والواردات .

---

(1)إسماعيل العربي : المدن المغربية في الأدب الجغرافي العربي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص ص 30-31 .

(2) إسماعيل العربي : المرجع نفسه ، ص33 .

(3)كراتشكوفسكي أغناطيوس : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1963 ، القسم الأول ، ص ص 200-201 .

(4)إسماعيل العربي : المرجع السابق ، ص 35 .

(5)إسماعيل العربي : المرجع نفسه ، ص ص 38-40 .

(6)كراتشكوفسكي :المرجع السابق ، القسم الأول ، ص 169 .

(7) إسماعيل العربي : المرجع السابق ، ص43 .

ب/ كتب الفقه والنوازل :

تعتبر كتب الفقه والنوازل في هذا البحث مصدرا رئيسيـا وهـامـا لاحتوائهـا على عدد من المعلومـات حـول الجـانب الاقتصـادي وقد اعتمدنـا على موسوعتين فقهيتين لفقيهين من فقهـاء المغرب .

1/البرزلي : (ت 841هـ/1438 م) : كتـابه عرف بالفتـاوى أو النوازل أو ديوان البرزلي وقد اختـار له المؤلف في مقدمته عنوانـا فقـال" وسميته بجـامع مسـائل الأحكـام لمـا نزل من القضـايـا بالمفتين والحكـام" (1)

وقد عمد البرزلي على تبويب الكتـاب - الذي يحتوي في طبعته التي طبعتهـا دار الغرب الإسلامي عـام 2002 على سـبعة مجلـدات خصص السـابع منهـا للفهـارس -

على الطريقة التي اعتمدهـا أغلب جـامعي الفتـاوى بترتيبه إلى أبواب الفقه والطهـارة والعبـادات والنكـاح والطـلاق والبيـوع والشركـات وغيرهـا .

وقد اعتمدنـا في هذا البحث على الجزء الثـالث كثيرا لأنه الجزء الذي يتكلم عن البيوع والشركـات وغيرهـا وقد أفـادنـا في معرفة بعض السلع المتداولة ومعرفة بعض الصـادرات والواردات ومعرفة العملة المتعـامل بهـا .

2/ الونشريسي : (ت 914هـ/ 1508 م)" المعيـار المعرب والجـامع المغرب عن فتـاوى علمـاء إفريقية والأندلس والمغرب" .

وقد قسمه صـاحبه أيضـا إلى أبواب مثل تقسيم البرزلي وقد اعتمدنـا على طبعة دار الغرب الإسلامي التي بهـا ثلاثة عشر جـزءا ويكون الأخير عبـارة عن فهـارس .

وقد اعتمدنـا على عدة أجزاء وخـاصة الجزء الثـامن الذي أفـادنـا في معرفة الشركـات الموجودة في هذا العهد ووسـائل النقل خـاصة البحرية وبعض الصـادرات .

جـ/ كتب التـاريخ :

تصنف كتب التـاريخ بالنسبة لهذا الموضوع في الدرجة الثـالثة كونهـا لا تقدم إلا معلومـات ضئيلة وسـطحية عـن الجوانـب الاقتصـادية قد حـاولنـا الاستفـادة من بعض كتب التـاريخ التي أشـارت عرضـا لبعض القضـايـا الاقتصـادية ومن بين هـذه الكتب :

1/ ابن الأثير : (ت 630 هـ/ 1232 م)" الكـامل في التـاريخ": وقد استعنـا به في الحديث عن موقف الدولة الزيرية مـن التجـارة وأسعـار بعض السلع والعوامل المتحكمة في التجـارة وجوانب من علاقـات الزيريين بصقلية ، لكـن هـذه المعلومـات كـانت معلومـات مقتضبة ولم يكن الهدف من ذكرهـا كأمور اقتصـادية وإنمـا جـاءت في سيـاق الحديث عن أمور عسكرية أو سيـاسية .

2/ ابن عذارى: (كـان حيـا سنة 712هـ/1312 م)" البيـان المغرب في أخبـار المغرب" : وقد اعتمدنـا على الجزء الأول وتنـاول في هذا الجزء الدولة الزيرية وموقفهـا من التجـارة ، كمـا تعرض لبعض الأزمـات الاقتصـادية التي أثرت على التجـارة وعن أسعـار بعض المواد التجـارية لكن كل هذا باختصـار شديد لأن الهدف كـان سيـاسيـا أو عسكريـا .

د/ كتب الحسبة :

(1) البرزلي : فتـاوى البرزلي المعروف بجـامع مسـائل الأحكـام لمـا نزل من القضـايـا بالمفتين والحكـام ، تقديم وتحقيق محمـد الحبيب الهيلة ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، 2002 ، ج1 ، ص 45 .

لم يصلنـا من العهد الزيري أي كتـاب من كتب الحسبة لذا اعتمدنـا على كتـاب سـابق للعهد الزيري وهو كتـاب يحي بـن عمر وهو كتـاب هـام سـاعدنـا في تحديد أسعـار بعض المواد كمـا أعطـانـا فكرة عن الموازين والمكـاييل الـتي كـانت تستعمل في إفريقية هذا بالإضـافة إلى معرفة أحوال الأسواق وطرق تعـامل النشطـاء فيهـا .

كمـا اعتمدنـا على رسـائل أندلسية في الحسبة كرسـالة ابن عبدون الإشبيلي " رسـالة في القضـاء والحـسبة" و" في آداب الحسبة" للسقطي وكتـاب" آداب الحسبة والمحتسب" لابن عبد الرؤوف ، ورغم أنـا أندلسية ولم تشر لـبلاد المغـرب إلا أن نـشـاط المحتسب في بلاد المغرب والأندلس كـان متشـابـا بسبب الوحدة المذهبية انتشـار المذهب المـالكي خـاصة مع القطيعة المذهبية بين الزيريين و الفـاطميين .

هـ/الموسوعـات الأدبية :

1/ النـويري : (ت 732هـ / 1331 م)" تـاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط إفريقية والمغرب والأنـدلس ، صـقلية وأقريطش (27 –719 هـ/647 –1391 م)" من كتـاب" ناية الأرب في فنون الأدب" الذي حققه مصطفى أبو ضـيف ولهـذا الكتـاب دور كبير في دراسة تـاريخ المغرب إذ يذكر كراتشكوفسكي أن" كتـاب النويري مصدر من الدرجة الأولى بالنسبة لتـاريخ أو الجغرافية التاريخية المعاصرة له أو القريبة العهد منه (1).

وقد أفادنـا في معرفة موقف الدولة الزيرية من التجـارة ، وموقف الأمراء الزيريين منها أيضا .

2/ القلقـشندي : (ت821 هـ/1418 م) صبح الأعشا في صناعة الإنشا وتتميز هذه الموسوعة بدقة التبويب وقد صنعت لتكون مرجعا لكتـاب الدواوين وعمال الإنشاء (2).

وقد اعتمدنـا على الجزء الخـامس من هذه الموسوعة والتي يتحدث فيه القلقشندي عن أسعار بعض المـواد التجـارية ، كمـا يتحدث فيه عن نوع العملة ، وقد لاحظنا أن القشلقشندي نقل على عدد من الكتـاب منهم الحميري صـاحب الـروض المعطـار ، والعمري صـاحب مسـالك الأبصـار والتيفاشي صـاحب أزهـار الأفكـار في جواهر الأحجـار .

2/ المراجع والدراسات الحديثة :

من أهم الدراسـات التي أفـادتنا في هذا الموضوع دراسة البـاحث اليهودي الإنجليزي شلومو داو جوايتـاين S.D .Goiten المعنـون بـ" دراسـات في التـاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية" التي عربا الدكتور عطية القوصي ، تكمن أهمية هذه الدراسة في أن الباحث اعتمد على وثـائق هـامة هي وثـائق الجنيزة وهي تكشف جوانب رئيسية في موضوع المبـادلات التجـارية كأسعـار السلع ، ومنـاطق تواجدهـا ، وطرق التعـامل .

كمـا استعنـا بمقـال أمين توفيق الطبي جوانب من" الحيـاة الاقتصـادية في المغرب في القرن السـادس الهجري الثـاني عـشر الميلادي من خلال رسائل جنيزة القـاهرة" وقد أفـادنـا في استكمـال جوانب هـامة من الموضوع كـان قد ذكرهـا جوايتـاين .

كمـا اعتمدنـا على دراسة تعتبر من أهم الدراسـات حول النشـاط التجـاري وأحدثهـا التي قدمتهـا البـاحثة أوليفيـا ريمي كونستبل بعنوان" التجـارة و التجـار في الأندلس" والتي ترجمهـا فيصل عبد الله وقد لاحظنـا أن الترجمة كـانت ركيكـة في بعـض الأحيـان ممـا صعب علينـا فهم بعض القضـايـا كمـا أن المترجم كـان يخطئ في ترجمة بعض الأمـاكن والمدن وهذا مـا جعـل الاستفـادة منهـا محدودة .

---

(1) النويري : تـاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط إفريقية والمغرب الأندلس ، صقلية وأقـريطش 27 –719 هـ ـ/ 647 – 1391 م منم كتـاب نـاية الأرب في فنون الأدب ، تح وتعليق مصطفى أبو ضيف أحمد دار النشر المغربية الدار البيضـاء ، ص26 .

(2) كراتشكوفسكي : المرجع السـابق ، ص416 .

مدخل :

مـادمنـا نتحدث في بحثنـا هذا عن نمط من أنمـاط الحيـاة الاقتصـادية وهو" التجـارة" ارتأينـا أن نقوم بتسليط الضوء على النمطين الآخرين من الحيـاة الاقتصـادية وهمـا الزراعة والصنـاعة ولو بقليل من الاختصـار .

1/ الزراعة :

يعتبر القمح والشعير الحنطة الإنتـاج الرئيسي في بلاد إفريقية وربمـا يرجع السبب في ذلك إلى أرضهـا السوداء وهذا مـا أدى إلى رخص أسعـارهـا إلى درجة جعلت البكري يقول عنهـا" وكـانت أسعـار القيروان نـازرة ولم يكن للحنطة بـا قيمة وربمـا اشترى وقر بعير من الحنطة بدرهمين" (1) .

واشتهرت منـاطق عدة في إفريقية بزراعة الحنطة فقد ذكر ابن حوقل بـاجة(*)وقـال أنـهـا" مدينة أزليـة كـثيرة القمـح والشعير"(2) ، أمـا البكري فقـال أن النـاس كـانوا يتنـافسون عليهـا فلمـا سئلوا عن ذلك قـالوا لأربعة أشيـاء" قمح عنـدة وسفرجل زانة وعنب بلطة وحوت درنة" (3) ، كمـا وصف الإدريسي مدينة بـاجة أيضـا قـائلا" كثيرة القمـح والـشعير" (4) ، أمـا صـاحب الاستبصـار فقـال " وبـاجة مدينة رخيصة الأسعـار إذا أخصبت البلاد لم يكن للحنطة بـا قيمة" (5) وكـانت

---

(1)البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، مقتبس من كتـاب المسـالك والممـالك، نشر مع الترجمة الفرنسية مـاك كـولين دوسلان ، مكتبة أمريكـا والشرق ، بـاريس ،1965 ، ص 56 .

(*)مدينة بـاجة هي مدينة كبيرة كثيرة الأنـار وهي على جبل يسمى عين الشمس أنظر البكري : المصدر نفسه ، ص 56 .

(2) ابن حوقل : صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، بلا تاريخ ، ص 76 .

(3) البكري : المصدر السـابق ، ص 57 .

(4) الإدريسي : القـارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتـاب نزهة المشتـاق ، تح وتقديم وتعليق إسمـاعيل العـربي ، ديـوان المطبوعـات الجـامعية ، الجزائر ، 1983 ، ص 190 .

(5) مجهول : كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، دار النشر المغربية ، الدار البيضـاء ، 1985 ، ص 160 .

بونة من المنـاطق التي يزرع فيهـا القمح والشعير ويكون في أغلب الأوقـات (1)،كمـا أن تونس" مدينة حسنة يحيط بـها من جميـع جهـاتـها فحوص ومزارع للحنطة والشعير وهي أكبر غلاتـها" (2)

ويعتبر الزيتون من أهم مغروسـات إفريقية الزيرية ويوجد في منـاطق عديدة فسفـاقس" مدينة جل غلاتـها الزيتـون والزيـت ، وبـها منه مـا ليس بغيرهـا مثله" (3) ، وهذا مـا دفع بالبكري إلى القول بأنـها تقع في وسط غـابة الزيتون (4)، أمـا الإدريـسي فكـان وصفه مطـابقـا لوصف ابن حوقل حيث قـال" وجل غلاتـها الزيتون والزيت وبـها منه مـا ليس يوجد بغيرهـا مثله" (5) ، وتعتبر قـابس من منـاطق إنتـاجه وبـها زيت وزيتون (6) ، كمـا كـانت القرى التـابعة إلى زويلة عبـارة عن غـابات الزيتون الذي" يعصر منه زيت طيب عجيب يعم سـائر بلاد إفريقية ويتجهز به إلى سـائر بلاد المغرب" (7) .

ومن إنتـاج إفريقية الزراعي القطن وكـان يزرع في تونس ومنهـا ينقل إلى القيروان(8) .

أمـا الموز فكـان يوجد في منطقة واحدة في إفريقية وهي قـابس (9) .

أمـا التين فكـان في منـاطق متعددة فكـانت قلشـانة من المنـاطق إنتـاج التين الأخضر (10)، ومذكود من المنـاطق الـتي يجلب منهـا التين ويكون زبيبـا وهو أغلى من غيره من الأنواع والأكثر طلبـا (11) .

وكـان اللوز المفروك الموجود في تونس من أطيب الثمـار وأنفسهـا فهو" يفرك بعضه بعضـا من ورقة قشره ويحك باليد وأكثـره حبتـان فيؤكل لوزة مع طيب المضغة وعظم الحبة" (12) .

كمـا اشتهرت بلاد إفريقية بالنخيل فتوزر (*)" سواد عظيم من النخيل وأكثر بلاد إفريقية تمر ومنهـا تخرج في أكثر الأيـام ألف بعير موفورة تمرا و أزيد" (13)، كمـا أن بسكرة كثيرة التمر وبـها أصنـاف كثيرة فهنـاك جنس يعرف بالكسب وهو الـصيحـاني

---

(1) ابن حوقل : المصدر السـابق ، ص 77 .

(2) الإدريسي : المصدر السـابق ، ص 186 .

(3)ابن حوقل : المصدر السـابق ، ص 73 .

(4) البكري : المصدر السـابق ، ص 20 .

(5) الإدريسي : المصدر السـابق ، ص 181 .

(6) ابن حوقل : المصدر السـابق ، ص 72 .

(7)الإدريسي : المصدر السـابق ، ص 184 .

(8) ابن حوقل : المصدر السـابق ، ص 75 .

(9) مجهول : الاستبصـار ، ص113 .

(10) البكري : المصدر السـابق ، ص29 .

(11) المصدر نفسه ، ص 57 .

(12)البكري : المصدر السـابق ،ص 41 ، مجهول : الاستبصـار ، ص 121 .

(*)توزر هي من مدن قسطيلية وهي مدينة كبيرة عليهـا سور مبني بالحجر والطوب ، أمـا بـاقي مدن قسطيلية فهنـاك الحمة ونفطة ، أنظر البكري : المصدر السـابق ، ص 48 .

(13) المصدر نفسه ، ص 48 .

يضرب به المثل لفضله على غيره من الأجنـاس ، وهنـاك جنس آخر يعرف بالليـاري وهو أبيض أملس (1) ، وكـان في قفصة نخـل كثير وبـها أنواع متعددة من التمر العجيب (2) ، وهنـاك منطقة في إفريقية سميت ببلاد الجريد لكثرة النخيل بـها (3) .

وظهرت هنـاك زراعـات وهي كثيرة يطول ذكرهـا وقد تكلمت كتب الجغرافيـا عنهـا في بعض الأحيـان بالتفـصيل ، وتكلمت عنهـا في بعض الأحيـان بالإجمـاع مثل قولهم" مزارع كثيرة" " كثيرة الفواكه" " جودة الثمـار" (4)، وغيرهـا من التعـابير .

2/ الصنـاعة :

لقد انتشرت في الدولة الزيرية صنـاعـات عدة منهـا صنـاعة الحرير التي ورد الحديث عنهـا في كتب الجغرافيـا فمدينـة قـابس يعمل فيهـا الحرير الكثير الغزير (5) " وهو أطيب الحرير وأدقه وليس في عمل إفريقية حرير إلا في قـابس" (6) .

واشتهرت مدينة سوسة بصنـاعة الغزل وهذا مـا دفع بالجغرافيين إلى وصف ذلك كل حسب تعبيره فالبكري يقول" والحيـاكة بـها كثيرة ويغزل بـها غزل يبـاع زنة المثقـال منه بمثقـالين من الذهب" (7) ، وهي على حسب صـاحب الاستبـصـار " مخصوصة بكثرة الأمتعة وجودة الثيـاب وجميع الثيـاب الرفيعة المطروزة هي من سوسة" (8)

ومن الثيـاب أيضـا هنـاك الكسـاء الطراقي الذي ينسب إلى مدينة طراق (*)والذي يتجهز به إلى مصر (9) ، والمهدية من المدن التي تصدر الثيـاب الحسنة ، ومنهـا يحمل التجـار الثيـاب الحسنة الدقيقة الجيدة إلى كل أقطـار العـالم (10)

ومن الصنـاعـات التي ظهرت في إفريقية صنـاعة الخزف التي انتشرت في تونس وكـانت تعرف بالزبجية ، وكـانت تتـصف بشدة البيـاض والرقة والشفـافة ، وليس مثلهـا نظير في كل إفريقية (1)

---

(1) نفسه ، ص 53 .

(2) الإدريسي : المصدر السـابق ، ص 178 .

(3) مجهول : الاستبصـار ، ص 150 .

(4) ابن حوقل : المصدر السـابق ، ص 75 ، البكري : المصدر السـابق ، ص 53 ، الإدريسي : المصدر الـسـابق ، ص 181 ، مجهول : الاستبصـار ، ص120 .

(5) ابن حوقل : المصدر السـابق ، ص 72 .

(6) البكري : المصدر السـابق ، ص 17 .

(7)المصدر نفسه ، ص 36 .

(8) مجهول : الاستبصـار ، ص 119 .

(*)طراق هي مدينة في منتصف الطريق بين فج الحمـار وقفصة في طريق القيروان ، البكري : المصدر السـابق ، ص 47 .

(9) المصدر نفسه ، ص 47 .

(10) الإدريسي : المصدر السـابق ، ص 183 .

كمـا أن الرخـام الذي يستخرج من قرطـاجنة (**) يحمل إلى جميع أقطـار العـالم (2) ،وكـانت صنـاعة دبـاغة الجلود من الصنـاعـات الموجودة في قـابس وكـانت تدبغ بالقرظ ومن صفـ ـات هـذه الجلود طيب الرائحة ونعومة الملمس (3)

كمـا أنـا من المنـاطق التي تدبغ فيهـا جلود البقر والنمور التي تصل إليهـا من أوجلة (*)(4) .

ومن الصنـاعـات صنـاعة الملح التي انتشرت خـاصة في منطقة لمطة وهي ملاحة كبيرة ومن صفـات ملح هذه المنطقة أنـه لا يفوقه ملح وكـان يحمل إلى مـا جـاورهـا من البلاد (5)

كمـا تكلمت كتب الجغرافيـا عن صنـاعـات أخرى يطول الحديث عنهـا وليس هذا مجـال ذكرهـا .

الفصل الأول:الحركة التجـارية في القران الرابع الهجري والعوامل المتحكمة فيهـا:

1/ موقف الدولة الزيرية من التجـارة :

عرفت الحضـارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري العـاشر الميلادي تطورا هـامـا من مختلف نواحي الحيـاة ومن بينهـا التطور الاقتصادي .

وشهدت التجـارة في هذا العهد تطورا ملحوظـا ، إذ أن المسلمين كـانوا يسـافرون إلى المنـاطق البعيدة بحثـا عن الأربـ ـاح ويصف لنـا ابن خلدون ذلك بقولهً وكذلك نقل السلع من البلد البعيد المسـافة ، أو شدة الخطر في الطرقـات يكون اكثـر فـ ـائدة

---

(1) البكري : المصدر السـابق ، ص 40 .

(**)قرطـاجنة مدينة تبعد على تونس باثني عشر ميلا ، البكري : المصدر نفسه، ص41

(2) الإدريسي : المصدر السـابق ، ص 188 .

(3) ابن حوقل : المصدر السـابق ، ص 72 .

(*)وهي مدينة تبعد برقة بعشر مراحل بسير القوافل ، وهي مدينة صغيرة على الطريق بلاد كوار وبلاد كوكـو ، الإدريـسي : المـصدر السـابق ، ص212 .

(4) المصدر نفسه ، ص 212 .

(5) ابن حوقل : المصدر السـابق ،ص 84 .

للتجـار وأعظم أربـاحـا واكفل بحوالة الأسواق لأن السلع حينئذ تكون قليلة معوزة لبعد مكـانـها أو شدة الغرر في طريقهـا فيقل حـاملوهـا ، ويعز وجودهـا ، وإذا قلت وعزّت غلت أثـمانـاً (1) ،هذا أثنـاء تنقلهم برا.

كمـا تمكنوا من فرض سيطرتم –على التجـارة البحرية- وأصبحت سـفنهم تجـوب بحـار العـالـم (2) ، ولم تمنـع الاختلافـات الدينية و المذهبية والعرقية من انتشـار المبادلات التجـارية، فكـان التجـار اليهود مثلا يجوبون شتى أصقـاع العـالم نـاقلين مختلف المواد والسلع التجـارية دون أن يكون لديـانتهم اليهودية عـائقـا أمـام تجـارتم (3) .

ويجب التنبيه هنـا إلى أن هذا لا يعني تحكم العـالم الإسلامي تحكمـا مطلقـا في التجـارة الدولية في تلك الفترة ، حيث نلاحظ أن العـالم المسيحي هو الآخر راح يبحث عن تطوير تجـارته خصوصـا بعد سنة 339هـ/950م تـاريخ بداية ثورة العصور الوسطى التجـارية ، وأصبحت التجـارة هنـا مشتركة بين العـالم الإسلامي والعـالم المسيحي كمـا أوضح أحد البـاحثين المعـاصرين (4) .

كـان على الدولة الزيرية بحكم موقعهـا الجغرافي الممتـاز (*) أن تكون منطقة تجـارية كبرى وسوقـا هـامة (5)،وقد اعتبر ابن خلدون أن الدولة هي السوق الأعظم وهي التي تتحكم في الأسواق ولذا وجب عليهـا أن تسيطر على الأموال وجبـايتهـا حـتى لا يؤدي ذلك إلى اختلال نظـام السوق(6).

وفي هذا الصدد حـاولت الدولة الزيرية جـاهدة أن تؤمن الطرق التجـارية وهذا مـا يتضح جليـا في العمل الذي قـام به الأمير الزيري علي بن يحي(509-515هـ / 1116-1121م)، الذي جهز أسطولا بحريـا إلى جزيرة جربة لأن أهلهـا كـانوا يقطعـون الطريق ويسلبون أموال التجـار ، فحـاصرهـا وضيق عليهـا حتى دخلت في طـاعته وبذلك أمّن الطريق والمسـافرين(7).كمـا

---

(1)ابن خلدون : كتـاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيـام العرب والعجم والبربر و من عـاصرهم من ذوي السلطـان الأكـبر ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت ، 1992، مج1 ، ص422

(2) آدم ميتز :الحضـارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ،تر محمد عبد الـهادي أبو ريدة ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنـشر ،ط3 ،القـاهرة ،1957 ،ج2 ،ص ص 364-365 ، موريس لومبـار :الإسلام في مجده الأول (القرن 8-11م/2-5هـ)، ترجمـة وتعليق إسمـاعيل العربي ،المؤسسة الوطنية للكتـاب ،الجزائر ،1984 ،ص325 .

(3) ابن خرداذبة :المسـالك والممـالك ،نشر جون ديغومي ، مطبعة بريل ، 1889 ،ص ص 153-154 .

(4) محمود أبو صوة :دراسـات في تـاريخ البحر الأبيض المتوسط في العصر الوسيط ، منشورات ايلجـا ، مالطـا ، 2000 ،ص 73 .

(*)يكمن الموقع الممتـاز للدولة الزيرية في أنـها تتوسط بلاد المغرب ومصر وأيضـا كونـها تمتلك واجهة بحرية سهلت عليهـا عمليـة التبـادل مع صقلية المقـابلة لهـا والإمـارات الإيطـالية ، أضف إلى ذلك أن لهـا نـافذة على الصحراء .

(5) أوليفيـا ريمي كونستبل : التجـارة والتجـار في الأندلس ، تر فيصل عبد الله ، مكتبة العبيكـان ، ط1 الريـاض ، 2002 ،ص 38 .

(6) ابن خلدون : المقدمة ، المطبعة البهية المصرية ، بلا تـاريخ ، ص 201 .

(7) ابن الأثير: الكـامل في التـاريخ ، تح أبو الفداء عبد الله القـاضي ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، بيروت ، 1415هـ/1995م ،ج 9 ، ص 161 ، النويري : المصدر السـابق ، ص365 .

جهز الأمير علي بن يحي حملة أخرى سنة 510هـ/1117م على جبل واسلات(**)للسبب ذاته ووقعت حروب شديدة حتى تمكـن من قتل أغلبية سكـان الجبل وبذلك تمكن من تأمين الطرق للتجـار(1) .

كمـا أن الأمير علي بن يحي أقدم عـام 511هـ/1117م على تجهيز أسطول بحري لحصـار قـابس لأن أميرهـا رافـع بـن مكن الدهمـاني أنشأ مركبـا يسـافر فيه التجـار في أيـام الحـاكم الزيري يحي بن تميم (501-509 هـ/1108-1116) الذي لم ينكر عليه ذلك لكن بتولي علي بن يحي أمور الدولة الزيرية رأى أنه بصفته الحـاكم الأول على البلاد فعليه هو وحده القيـام بـهذا الواجب وقـالً ما يكون لأحد أن ينـاوبني في إجراء المراكب في البحر للتجـارً(2) ، ومـا يدل على العنـاية الكبيرة التي حظيت بها التجـارة في الدولة الزيرية إقدام تميم بن المعز (454-501هـ/1062-1108م)ويحـي بـن تمـيم (501-509هـ/1108-1116م)على محـاولة تأمين الطرق البرية ولمـا فشلوا في ذلك حـاولوا تأمين الطرق البحرية واحتكروا النقل البحري (3) ، حيـث أن إحدى المراكب الهـامة في تلك الفترة كـانت تسمىً مركب السلطانً ، والمقصود بالسلطـان هنـا الأمير الزيري(4) .

ومـا أن نشاطي الزراعة والصنـاعة لم يكونـا متطورين في الدولة الزيرية بالقدر الكـافي -السبب يرجع حسب عز الدين موسى - إلى كون سيـاسة الزيريين لم تكن مشجعة للصنـاعة ، وضعف الزراعة ، وتوقف التعدين وقلة الصنـاعات المعدنية بسبب الغزو الهلالي للمنـاطق الداخلية والهجوم النورمـاني على السواحل(5) وقد عمل الأمراء الزيريون جـاهدين على رفع مستوى التجـارة ، فلمـا تدهورت علاقـاتم التجـارية مع الفـاطميين –بسبب القطيعة المذهبية- ومع الحمـاديين –أبنـاء عمومتهم- فقـد سـعوا إلى ربـط علاقـات تجـارية متينة مع النورمـان في صقلية ، وكـان النورمـان قد سمحوا للمسلمين بالعيش في الجزيرة دون أن يلحقهـم أذى في دينهم أو أموالهم ، كما قـام النورمـان بنقش آية قرآنية من سورة الصف على عملتهم وذلك لتجد قبولا ورواجـا في إفريقية (6).

ومن مظـاهر اعتنـاء الأمراء الزيرين بالتجـارة أن التجـار في حد ذاتم كـانوا يترحمون على المعـز بـن بـاديس (406-454هـ/1016-1062م)ويدعون له (7) ، والسبب في ذلك يرجع إلى الأعمـال الجليلة التي قـام هذا الأمير من أجل جعل إفريقية منطقة تجـارية كبرى ،وتسهيل تنقل التجـار مـا يعود بالفـائدة على البلاد .

وبعد الغزو الهلالي لبلاد المغرب حـاول الأمراء الزيريون مهـادنة أمراء العرب محـافظة على استقرار الأوضـاع الاقتـصادية ، ومن ذلك إقدام المعز بن باديس (406-454هـ/ 1016-1062م) على رفع الحرب بينه وبين العرب عـام 444هـ/1052م ،

**()جبل واسلات : هو جبل طوله يومـان وهو على بعد يومين من تونس وخمسة عشر يومـا من القيروان وفيه عمـارات كـثيرة. أنظر الإدريسي : المصدر السـابق ، ص 195 .

(1) ابن الأثير : المصدر السـابق ، ج9 ،ص165 .

(2) ابن الأثير : المصدر السـابق ، ج9 ،ص169 .

(3) عز الدين موسى : المرجع السـابق ، ص264 .

(4) جوايتـاين : دراسـات في التـاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ، تعريب عطية القوصي ، وكـالة المطبوعـات ، ط1، الكويت ، 1980 ، ص 244 .

(5) عز الدين موسى : المرجع السـابق ، ص 209 .

(6) عز الدين موسى : المرجع السـابق ، ص 264 .

(7) ابن الأثير : المصدر السـابق ، ج9 ، ص 119 .

وأبـاح لهم دخول القيروان للحصول على يحتـاجون إليه بالبيع والشراء (1)، ولم تنجح سيـاسة المهـادنة مع العرب حيث أقدموا على انتهـاب القيروان وتخريبهـا عام 449هـ/ 1057 م (2)، كمـا أقدموا أيضا على محـاصرة المهدية عام 476هـ/1083م(3) .

ويرى مصطفى أبو ضيف أن التحكم في التجـارة انتقل من أيدي الزيرين إلى أيدي أمراء العرب الهلالية الذين سيطروا على الطـرق التجـارية وأصبحت الطرق لا تسلك إلا بخفـارة منهم ، كمـا عملوا على تطوير هذه الطرق وذلك بتوسيع نطـاق التجـارة بين التل و الصحراء ، و سعوا إلى التحكم في المبـادلات التجـارية بين إفريقية ومصر ، وقـاموا بوضع فرسـان على طـول الطريـق وذلـك للقضـاء على كل من يهدد أمنهـا (4).

ونتيجة لمعرفة العرب بالمعـادن فإنم فرضوا سيطرتم واحتكروا تجـارة الملح مع السودان وأوربـا المسيحية ، وكـانوا يسـافرون بالملح والنحـاس إلى بلاد السودان ويرجعون بالصدف والخز والصمغ و التبر (الذهب) (5)، و تحدث ابن خلـدون عـن مـا لهـذه التجـارة من أربـاح فقـال" وكذلك نقل السلع من البلد البعيد المسـافة ، أو شدة الخطر في الطرقـات يكون أكثر فـائدة للتجـار وأعظم أربـاحـاً" (6). 1/العوامل المؤثرة في التجـارة :

إن التجـارة بوصفهـا نشـاطـا اقتصـاديـا حيويـا وحسـاسـا تتحكم فيهـا مجموعة من العوامل التي تؤثر فيها إيجـابـا أو سلبـا :

أ/عوامل مشجعة على التجـارة :

من أهم العوامل المسـاعدة على التجـارة ارتفـاع شأنا عند المسلمين خـاصة وأن الرسول صلى الله عليه وسـلم وخلفـاءه الثلاثة الأوائل اشتغلوا بالتجـارة ، كمـا وردت أحـاديث تحبذ الاشتغـال بـا ، منها قوله صلى الله عليه وسلم" عليكم بالتجـارة فإن فيهـا تسعة أعشـار الرزق" (7).

ومـا سـاعد على ازدهـار التجـارة ارتفـاع مكـانة التجـار في المجتمع ، وبالنسبة للدولة الزيرية فقد حظي التجـار بمكـانة مرموقة ، ومـا يؤكد ذلك مـا ذكره الزهري من أنه كـان في القيروان أربع مـائة شـاعر لم تكن مهمتهم مـدح الملـوك والـوزراء وإنمـا مدح التجـار وأولاد التجـار(8).

---

(1)ابن عذارى المراكشي : البيـان المغرب في أخبـار الأندلس و المغرب ، تح ومراجعة ج .س . كولان و إ . ليفي بروفنـسـال ، دار الثقـافة ، ط5 ، بيروت ، 1995 ، ج1 ،ص 340 .

(2) المصدر نفسه ، ج1 ،ص 294 .

(3) نفسه ،ج1 ،ص 300 .

(4) مصطفى أبو ضيف : القبـائل العربية في عصري الموحدين وبني مرين ، ديوان المطبوعـات الجـامعية ، الجزائر ، 1982 ،ص 327 .

(5) المرجع نفسه ، ص 326 .

(6) ابن خلدون : العبر ، دار الكتب العلمية ، مج1 ، ص 422 .

(7) حول الأحاديث التي تشجع على التجارة أنظر :يوسف ابن إسماعيل النبهـاني : دليل التجـار إلى أخلاق الأخيـار، مطبعة السعادة ، مصر ، بلا تاريخ ،ص ص 59-67 .

(8) الزهري : كتـاب الجغرافيـا ، تح محمد حـاج الصـادق ، مكتبة الثقـافة الدينية ، بور سعيد ، بلا تـاريخ ، ص 109 .

ومن العوامل المشجعة للتجـارة تشجيع الدولة للتجـارة وهذا مـا حدث في عهد المعز بن بـاديس (406-454هـ ـ/1016-1062م) الذي سعى إلى توفير الأمن وفتح الطرقـات وإيجـاد وسـائل النقل (1) ، وكـانت حرية التنقل مكفولة للتجـ ـار الـذين كـانوا يستطيعون مزاولة التجـارة بكل حرية بين إفريقية الزيرية السنية ومصر الفـاطمية الشيعية في ظل الصراع المذهبي و الـسيـاسي القـائم بينهمـا (2) ،هذا بـاستثنـاء مرحلة الصراع الشديد بينهمـا خـاصة مع بداية القطيعة المذهبية .

ولم يرد في وثـائق الجنيزة ذكر لعراقيل وحواجز تعترض النشـاط التجـاري في هذا العهد ، بل على العكس من ذلك فقد ظلـت الحركة التجـارية قـائمة في البحر المتوسط ويمـارسها تجـار على اختلاف ديـانتهم ً مسلمون ، مـسيحيون ، يهـودً ، ولم يكـن التجـار على امتداد الرقعة الجغرافية من الأندلس إلى الهند ملزمين إلا بدفع ضريبة رمزية في السنة تقدر بالعشر(3).

كمـا تتحدث إحدى وثائق الجنيزة أن التجـار كـانوا يسـافرون إلى باليرمو (صقلية)، أو جنوة ، أو مرسيليـا ، وأمـاكن مـن الأندلس ، وشمـال إفريقيـا ،ومصر ، وبلاد الشام ، وبعض المدن اليونـانية ، والبيزنطية ، ولم يشر هؤلاء التجـار إلى أيـة صعوبـات كـانت تعترضهم بسبب أية قيود سيـاسية (4) .

ومن العوامل الأخرى التي سـاعدت على تطور التجـارة ، تنظيم الأسواق ويعتبر يزيد بـن حـ ـاتم (155-171هـ ـ/771-787م) هو أول من قـام بتنظيم وترتيب الأسواق حسب تخصصهـا و قـام بوضع كل صنـاعة في مكـانـ ـها (5) ، ويـسـاعد تنظيم الأسواق على تطور التجـارة وذلك لكون هذه الأسواق كـانت مختصة بسلع معينة مـما يسهل على المحتسب عملـه في مراقبـة التجـار(6).

ومما يشجع على التجـارة انتشـار الأمن وقد سعت قبـائل المنـاطق الجنوبية إلى توفير الأمن للقوافل التجـ ـارية الـتي تمـر جنوبـا وشمـالا وشرقـا (7)، وقد ذكرنـا سـابقـا الأعمـال التي قـام بـا بعض الأمراء الزيريين لتوفير الأمن أمـام التجـ ـار، وذلك بتجهيز حملات عسكرية لإخضـاع المنـاطق المتمردة (8).

وممـا سـاعد على ازدهـار التجـارة في الدولة الزيرية الموقع الممتـاز الذي تحتله ، إذ أنـا تقع في منتصف الطريق بين مراكش ومصر وهو المركز الحقيقي لطريق القوافل بين شمـال إفريقيـا الغربي وبين منـاطق جنوب الصحراء ، هذا من جهة ، ومن جهة أخـرى

---

(1) حسن حسني عبد الوهـاب : بسـاط العقيق في حـاضرة القيروان وشـاعرهـا ابن الرشيق ، المطبعة التونسية ، تونس، 1330هـ ، ص 20 .

(2) جوايتـاين : المرجع السـابق ، ص213 .

(3) رشيد بـاقة : الأقليـات الدينية في بلاد المغرب ومدى مسـاهمتهـا في ازدهـار الحيـاة الاقتصـادية من الفتح إلى العهد الموحدي ، مقـال منشور في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية لجـامعة الأمير عبد القـادر ، قسنطينة ، العدد 4 ، أكتوبر 2004 ، ص93 .

(4) جوايتـاين :المرجع السـابق ، ص 213 .

(5) ابن عذارى : المصدر السـابق ، ج1 ،ص 78 ، بوبة مجاني : أثر العرب اليمـانية في تـاريخ بلاد المغرب في القرون الثلاثـة الأولى للهجرة ، منشورات جـامعة منتوري ، قسنطينة ، 2003 ، ص175 .

(6) جودت عبد الكريم يوسف : الأوضـاع الاقتصـادية والاجتمـاعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثـالث و الرابع الهجـريين (9-10م) ، ديوان المطبوعـات الجـامعية ، الجزائر ، بلا تـاريخ ، ص128 .

(7) الحبيب الجنحـاني : دراسـات في التـاريخ الاقتصـادي والاجتمـاعي للمغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، ط2، بيروت ، 1986 ، ص159 .

(8) أنظر في ذلك : ابن الأثير : المصدر السـابق ، ج9 ، ص ص 161-165 ، النويري : المصدر السـابق ، ص365 .

بين مصر وجيرانـا في الشرق والجنوب(1) ، وأدى هذا الموقع الممتـاز إلى ازدهار تجارتي الذهب والرقيق علـى وجـه الخـصوص(2)،

أمـا بالنسبة لموقعهـا البحري فإن إفريقية بها موانئ كبرى للمراكب والقوافل التجـارية بين الشرق والغرب من البحر المتوسط (3)

وكان الانتقـال من إفريقية الزيرية إلى جزيرة صقلية سهلا، ويتم على متن السفن الصغيرة ، كما أن هذا الموقع جعل مـن الدولـة الزيرية محطة للسلع الشرقية و الغربية، هذا إذا علمنـا أن السفن –في ذلك العهد- لم تكن معتـادة على الرحلات الطويلة ، وإنـمـا كـانت تتوقف في عدة مراسي ، فلم تكن الرحلات البحرية مثلا من فرنسـا إلى بلاد الشـام أو مصر تخلو من محطـات توقف (4).

ونتيجة لهذا الموقع فقد حظيت كل من المهدية وتونس بمكـانة تجـارية كبرى في البحر المتوسط (5) .

ومن العوامل المسـاعدة على تطور التجـارة وجود النقود والدنـانير والدراهم وأجزاؤهـا والمكـاييل والمـوازين والمقـاييس المختلفة ، وهذا مـا يسـاعد على عملية التبـادل التجـاري (6).

ب/العوامل المثبطة للتجـارة :

من أهم العوامل المثبطة للتجـارة تجـارة السلطـان ومـا ينجر عنهـا من احتكـار لسلع معينة ، فقد كتب عمر بن عبد العزيـز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن" إن تجـارة الولاة لهم مفسدة وللرعية مهلكة فإمنع نفسك ومن قبلك عن ذلك" ، ويقـال أن عبد الله بـن عمرو بن العاص قال" من علامات السـاعة تجـارة السلطـان و الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :" أيمـا تـاجر اتجر في رعيته فقد هلكت رعيته" (7) .

كمـا أن التأثير السلبي لتجـارة السلطـان يكمن في كونـا تملك رأسـمال كبير مقـارنة بالتجـار ومن ثم تتحكم في الـسوق فتضر بالتجـارة والتجـار (8)، وهذا الضرر يظهر في إفلاس بعض التجـار وكسـاد تجـارة البعض الآخر (9)، وهذا مـا حـدث فـعلا في العـهد الزيري إذ أقـدم أمراء الدولة الزيرية بالاستحواذ على تجـارة

الأنعـام وأصبح بيعهـا بثمن عـال ، وهذا مـا صعب على الرعية شراء اللحم الحلال من الجزارين (10).

---

(1) جوايتـاين : المرجع السـابق ، ص 225 .

(2) الحبيب الجنحـاني : التجـارة في المغرب الإسلامي خلال القرن الثالث الهجري وأثرهـا على التجـارة العـالمية ، مقـال منشور في كتـاب محـاضرات ومنـاقشـات الملتقى العـاشر للفكر الإسلامي ، عنـابة من11 إلى 19 يوليـو 1976 ، منـشورات وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر ، مج2 ، ص150 .

(3) أوليفيـا ريمي كونستبل : المرجع السـابق ، ص77 .

(4) جوايتاين : المرجع السـابق ، ص 225 .

(5) أوليفيـا ريمي كونستبل : المرجع السـابق ، ص38 .

(6) جودت : المرجع السـابق ، ص129 .

(7) البرزلي : المصدر السـابق ، ج4 ، ص67 .

(8) ابن خلدون : المقدمة ، ص 198 .

(9) المصدر نفسه ، ص 198 .

(10) هـادي روجي إدريس : الدولة الصنهـاجية (تـاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القـرن 12) تـر حمـادي السـاحلي ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 1982 ، ج2 ، ص272 .

كمـا أن الدولة تستطيع شراء كل شيء وبالثمن الذي تريده وكل من يعـارض أو ينـاقش في السعر تتعرض سلعته إلى المصـادرة ، كمـا أنـا تقوم بالتحكم في الأسعـار فهي تدفع التجـار إلى شراء سلع بأسعـار معينة ثم تسـاهم في خفض الأسعـار وهـذا يؤدي إلى خسـارة التجـار واعتزال التجـارة (1) ، والمثـال السـابق الذي قدمنـاه عن تـجارة الحيوانـات قد تسبب في نـدرة اللحوم من محلات الجزارين دليل على ممـارسة الزيريين لهذه الأسـاليب(2) .

ومما سـاعد على تدهور التجـارة استخدام سلطة الدولة بمـا يضر التجـار و إقدام الزيريين في عـام 405هـ/1014م على إغلاق الأسواق والحوانيت والفنـادق في القيروان (*)ولم تبق إلا حوانيت الأحبـاس وهذا مـا أدى إلى ارتفـاع أسعـار الكراء فوصل كراء حـانوت للكتـان في المنصورية إلى مـائتي درهم (3)، وفي الغـالب كـانت الدولة الزيرية تسعى إلى فـرض مكـوس وهـذه المكوس تكون مرتفعة جدا ونتيجة لارتفـاعهـا فإن التجـار يكونون مجبرين على ترك هذه المهنة (4).

وقد عمل الزيريون والنورمـان على السيطرة على التجـارة البحرية ولحسـابهم الخـاص ، ومن ثم قـاموا بخفض الرسوم الجمركية وهنـاك حتى إعفـاءات من الآداءات الجمركية كـان الملوك يمنحونـها لبعضهم البعض (5).

ومما يؤثر سلبـا على التجـارة مكـانة التجـار في المتمع مقـارنة بأهل الجـاه والسلطـان ، فهم كـانوا لا يرتقون إلى مرتبة الأشراف والملوك (6)،كما أن طريقة جمعهم للمـال كـانت لا تعجب النـاس وفيهـا اشتبـاه (7)،وكـان يستهزأ بهم لأنهم كـانوا يجمعون ثروتهم منً الحبـات والقرايط والدوانق (*) وأربـاع الدراهم وأنصـافهـاً (8)،كما قيل عن التجـ ـار مـ ـا للتجـ ـار وللسخاء وإنما تنبت لحومهم على القيراط ،كمـا قـال أحد التجارً لا يقال لرجل انه بخيل إلا وهو ذو مـالً (9).

---

(1) ابن خلدون : المقدمة ، ص 198 .

(2) إدريس : المرجع السـابق ، ج2 ،ص 198 .

(*) ترجع أسبـاب غلق الحوانيت والأسواق والفنـادق إلى محـاولة جعل المنصورية منطقة تجـارية بعد انتقـال الزيرين من القيروان إلى المنصورية ، أنظر ابن عذارى :المصدر السـابق ، ج1 ،ص 261 .

(3) ابن عذارى :المصدر السـابق ، ج 1 ،ص 261 .

(4) ابن خلدون : المقدمة ،ص 198 .

(5) إدريس : المرجع السـابق ،ج 2 ،ص 277 .

(6) محمد محمود أبو صوة :تـاريخ العرب الاجتمـاعي والاقتصـادي في العصر الوسيط ،قراءة مغـايرة ، منشورات ايلجـا ، مـالطا، 2002، ص 66 .

(7) الدبـ ـاغ : معـالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ،أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القـاسم بن عيسى بن نـاجي التنوخي ،تـح وتعليق محمد مـاضور ، المكتبة العتيقة تونس ، مكتبة الخـانجي مصر ،بلا تـاريخ ،ج3 ، ص141 .

(*)الحبـات والقرايط والدوانق :هي أجزاء من الدرهم ،فالبكري عند كلامه عن تنس قـالً وزن قيراطهم ثلث درهم عدل بوزن قرطبةً البكري : المصدر السـابق ، ص 62 .

(8) عبد العزيز الدوري :تـاريخ العراق الاقتصـادي في القرن الرابع الهجري ،دار الشروق ، ط2 ،بيروت ، 1974 ، ص119 .

(9) عبد العزيز الدوري :المرجع نفسه ، ص 120 .

كمـا أن أخلاق التجـار والأعمـال التي يقومون بـها من مساحكة وغش وأيمـان كـاذبة دفعت بهم إلى المذلـة (1)،والغـش والتدليس يكون في أشياء عديدة كبيع الخبز نـاقص الوزن ، وخلط القمح الجيد بالرديء واللبن بالمـاء ،كمـا أن الاحتكـار أثر بالسلب على التجـار فأدى إلى غلاء الأسعـار والإضرار بالنـاس (2) .

ومن العوامل المثبطة للتجـارة الثورات والفتن الداخلية و التي لم يسلم منها حتى التجـار فقد أقدم حماد بـن بلكـين عـام 406 هـ/1015م بضرب أعنـاق مجموعة من التجـار نتيجة للقتـال الذي دار بين الحمـاديين بزعـامة حـماد بن بلكـين و الزيـريين بزعـامة كرامة بن المنصور عم المعز بن بـاديس (3) ، و من الفتن و الثورات الداخلية والتي أدت إلى ضعف التجـارة حروب صنهـاجة ضد زنـاتة وحروب الزيريين ضد بني عمومتهم الحمـاديين و التي أدت إلى ضعف الاقتصـاد بـصفة عـامة و التجـارة بـصفة خـاصة (4) .

كمـا كـان لقتل الرافضة سنة 407هـ/1016م أثر سلبي على التجـارة وذلك عند وصول المعز بن باديس إلى الحكم في إفريقية (5)، إذ أنه وبعد اشتداد الأزمة أقدم المعز بن بـاديس (406-454هـ/1016-1062م) على قتل الإمام أبو علي الحسن بن خلدون (*) ، محـاولة منه لتهدئة الوضع وبعد قتله ثـارت العـامة وقـام أهل المنصورية من رجـال وعبيد فنهبوا جميع مـا في الأسـواق و الحوانيت و ألقوا النـار في كبـار الأسواق ونبت أموال التجـار بعد أن كـانوا آمنين على أموالهم و حوانيتهم (6) .

ومما أضر بالتجـارة أيضـا قطـاع الطرق ، فرغم سعي الدولة الزيرية إلى القضـاء عليهم ومن ثم محـاولة توفير الأمـن ، إلا أن هذه المهمة ظلت صعبة نتيجة لطول الطرق التجـارية وتفرعهـا، و بالإضـافة إلى ذلك طبيعة المجتمع الإفريقي الذي لم يـتخلص مـن طبيعته القبلية وبقيت القبـائل محـافظة على أسـاليب الغزو والسلب (7) فكـان أهل جربة يمـارسون القرصنة ويقطعون البحر على الناس ، كمـا كـان سكـان جبل واسلات يقطعون الطريق على التجـار ويقتلونهم (8)، وهنـاك منـاطق عدة كـانت تمـارس قطع الطرق وهذا مـا يفهم من السؤال الذي طرح على الفقيه

(1) محمد محمود أبو صوة :تـاريخ العرب الاجتمـاعي والاقتصـادي ، ص 67 .

(4)كمـال السيد أبو مصطفى : المصدر السـابق ،ص72

(5)ابن عذارى : المصدر السـابق ، ج1 ، ص265

(6) لمزيد من المعلومـات عن حروب زنـاتة وصنهـاجة وحروب الزيرين و الحمـاديين ارجع : ابن خلدون : العبر ، دار الكتـاب اللبناني ، بيروت 1968 ،مج6 ، ص318-ص349

(5) القـاضي عيـاض ، ترتيب المدارك وتقريب المسـالك لمعرفة أعلام مذهب مـالك ،تحقيق أحمد بكير محمود، مكتبـة دار الحيـاة بيروت ، مكتبة الفكر طرابلس ليبيـا ، بلا تـاريخ ، مج2، مج4 ، ص626

(*)أبو علي الحسن بن خلدون : من علمـاء إفريقية ومن أصحـاب القـابسي قتل في سنة 407هـ / 1016 م أنظـر القـاضي عيـاض : المصدر نفسه ، مج2 ، ج4 ، ص ص 624-627 .

(6) نفسه مج2،ج4 ص 626 ، الدبـاغ : المصدر السـابق ، ص154.

(7) جودت : المرجع السـابق ،ص 199

(8) ابن الأثير : المصدر السـابق ، ج9 ، ص161-ص165 ، النويري ، المصدر السـابق ص365

أبو عمران الفـاسي (**) عمن اكترى مركبـا و تعرض المركب للصوص في البحر (1)، كمـا سئل أيضـا عن سفينة محملة بالسلع غـادرت من المهدية إلى مصر وفي عرض البحر قبـالة جبل برقة استولى عليهـا الروم ، كمـا تعرض المعتدون بدورهم إلى مراكب مـن صقلية خلصت المسلمين من الروم وذهبت بهم إلى صقلية ، فأفتى بأنه من الواجب إرجـاع السفينة إلى من يهمه الأمر لأنه مـن واجـب المسلمين تخليص إخوانهم من الأسر ، ولا يتقـاضون عليه أجرا وعلى صـاحب السفينة أن يعوض لهم بعض النفقـات (2) ومـن هـذه الفتـاوى نخلص إلى أن البحر المتوسط كـان في هذه الفترة عبـارة عن بحيرة للقرصنة الأوروبية ،كمـا كـان منطقة نشـاط للجهـاد الإسلامي، وهذا مـا يدل على الجهود الكبيرة التي كـان المسلمون يبذلونـها من أجل جعل هذا البحر بحيرة إسلامية.

ومن العوامل المثبطة للتجـارة الهجرات الهلالية نتيجة للفسـاد الكبير الذي خلّفته هذه الهجرات ، وهذا مـا دفع بمؤرخي تلك الحقبة إلى وصف هول هذه الفـاجعة كل على حسب أسلوبه فالإدريسي يصف لنـا القيروان قبل الهجرة الهلالية ويقول" وأربحهـا تجـارة وأكثرهـا جبـاية وأنفقهـا سلعة وأنمـاهـا ربحـا" ثم يصفهـا بعد الهجرة والخراب فقـال" : وولاة أمورهـا العرب و بـا أقـوام قليلون وتجـارتهم يسيرة ومنـافعهـا نزرة" (3) ،أمـا ابن الأثير فقد عبر عنهـا بأنـها هدمت القصور والحـصون وقلعـت الثمـار وخربـت الأنـار (4)، أمـا النويري فقد قـال" وشنوا الغـارات على البلاد وأفسدوا الزروع وقطعوا الأشجـار وحـاصروا المدن فضـاق النـاس وسـاءت أحوالهم ،وانقطعت أسفـارهم وحل بإفريقية مـا لم يـل بـا من قبل" كمـا قـاموا بهدم الحصون وقلع الثمـار وردم العيون وتخريب الأنـار وهذا مـا دفع بـالمعز بن بـاديس ورعيته إلى الهجرة من القيروان إلى المهدية (5)،أمـا لسـان الدين ابن الخطيب فقـال أن" البلاد فسدت بسببهم ويتّم الأولاد" كمـا قـاموا بتخريب القيروان حتى أصبح" الوطن الخصيب الرحيب قفر بلقع" (6) ،وهذا التخريب دفع بابن خلدون إلى القول بـأن" العرب إذا تغلبوا على أوطـان أسرع إليهـا الخراب"(7).

وتظهر الآثـار السلبية للهجرة الهلالية في أنـا خربت الموانئ وأهلكت الزروع وهذا مـا أدى إلى توقف التجـارة بسبب انقطـاع الطرق وفقدان الأمن بـا خاصة طرق الصحراء التي كـانت تمول إفريقية بالذهب ، ومن ثم راح التجـار يبحثون عن منـاطق آمنـة

(**)أبو عمران الفـاسي : اسمه موسى بن عيسى بن الحـاج وهو من فقهـاء القيروان ولد عـام 360 هـ / 973 م وتوفي بـا سنة 430 هـ / 1038 م ، القـاضي عيـاض ، المصدر السـابق ، مج2 ، ج4 ، ص ص 702-706 .

(1) البرزلي : المصدر السـابق ج3، ص650 .

(2)البرزلي: المصدر نفسه ، ج3 ، ص 615 ، الونشريسي : المعيـار المعرب والجـامع المغرب عن فتـاوى علمـاء إفريقية و الأندلس و المغرب ، أخرجه جمـاعة من الفقهـاء بإشراف محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981، ج 8 ، ص302 .

(3) الإدريسي :المصدر السـابق ، ص185 .

(4) ابن الأثير :المصدر السابق ،ج 8 ، ص297 .

(5) النويري :المصدر السـابق ، ص 347 .

(6) لسـان الدين ابن الخطيب :تـاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ، تح ،وتعليق أحمد مختـار العبـادي و محمـد إبـراهيم الكتـاني ، دار الكتاب الدار البيضـاء ، 1964 ، ص75 .

(7) ابن خلدون :المقدمة ، ص105 .

يمـارسون فيهـا نشـاطهم التجـاري ، وسـافرت عـائلات بأكملهـا من بلاد المغرب إلى مصر والى جنوب إيطاليـا وبلاد الشـام ، ووثـائق الجنيزة تحدثنـا عن عائلات مغربية في مصر مثل : الصقلي ، القيرواني،السوسي ، الطرابلسي وغيرهـا (1) .

ومن النتـائج السلبية للغزو الهلالي والمؤثرة على التجـارة غير التي ذكرنـا تقلب الأسعـار ، وأعمـال النهب ،فقد استحوذ بنـو هلال على المـاشية وأصبحوا يتحكمون في الطرق ويفرضون الرسوم و الضرائب على القوافل وهذا مـا دفع بأحد تجـار القمح والشعير إلى الاحتكـار على كره منه (2).

ومـا أضر بالتجـارة أيضـا الاضطرابـات السيـاسية ومن ذلك هجمـات النورمـان على زويلة والمهدية واتـلاف سـلع التجـار بـهـا (3) ، وتحدثنـا وثائق الجنيزة أنه بعد سقوط جربة(*) في يد النورمـان عـام 540هـ/1145م ظهر هنـاك حرمـان وفـاقة كبيرين ولم يعد من الممكن السفر من إفريقية إلى مصر مبـاشرة وإنمـا يجب التوجه إلى صقلية ثم السفر من هنـاك (4) .

ومن العوامل المؤثرة سلبـا على التجـارة الظروف والكوارث الطبيعية ومنهـا هيجـان البحر وقد وصف لنـا ابـن العـربي هيجـانه فقـال" وقد سبق في علم الله أن يعظم علينـا البحر ، و يفرقنـا في هوله ، فخرجنـا من البحر خروج الميت من القـبر" .(5)

ومن الكوارث الطبيعية الزلازل كالذي ضرب إفريقية عـام 367هـ/977م ودامت ارتداداته أربعين يومـا (6)، كمـا ضـرب المهدية زلزال آخر عـام 504هـ/1110م ودفع بأهلهـا إلى الهروب وتركهـا خـالية(7).

ومن الكوارث الطبيعية التي لهـا تأثير كبير على التجـارة المجـاعـات والأوبئة والقحط ،فقد حـدثت في العهـد الزيـري مجـاعـات عديدة منهـا مجـاعة 395هـ/1004م وقد أدت هذه المجـاعة إلى إخلاء البوادي والحواضـر والأسـواق والمسـاجد ودفعت بالنـاس في إفريقية إلى الهجرة نحو صقلية لرخـاء أسعـارهـا وأمن سبيلهـا (8) ، وقد وصفهـا لنـا ابن عذارى بقولـه وفي سنة 395هـ كـانت مجاعة شديدة أدت إلى" إهلاك الفقير وذهـاب مـال الغني وغلاء الأسعـار وانعدام الأقوات وهـجر أهـل البـادية" (9) .

---

(1) رشيد بـاقة :المرجع السـابق ، ص103 .

(2) إدريس :المرجع السـابق ،ج2 ،ص269 .

(3) الونشريسي :المعيـار ،ج8 ، ص329 .

(*)جربة جزيرة على القرب من قـابس فيهـا الكثير من الثمـار .

(1) أمين توفيق الطيبي :جوانب من الحيـاة الاقتصـادية في المغرب في القرن السادس الهجري ، الثـاني عشر الميلادي من خلال رسـائل جنيزة القـاهرة ، مقـال منشور في كتـاب أعمـال المؤتمر الثـالث لتـاريخ وحضـارة المغرب، المنعقد في وهران مـن 26 إلى 28 نوفمبر 1983 ،ديوان المطبوعـات الجـامعية ،الجزائر ، 1987 ،ص76 .

(5)أبو بكر بن العربي :ترتيب الرحلة للترغيب في الملة ، نشره سعد أعراب في كتـاب مع القـاضي أبي بكر ابن العـربي، دار الغـرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 1987 ،ص 198 .

(6) ابن الأثير :المصدر السـابق ،ج7 ،ص380 .

(7)ابن عذارى : المصدر السـابق ،ج1 ،ص 305 .

(8)الدبـاغ : المصدر السـابق ، ج3 ،ص127 .

(9)ابن عذارى : المصدر السـابق ، ج 1 ،ص 257 .

كمـا حدثت في سنة 413هـ/1022 م مجـاعة بإفريقية وصفهـا النويري بقولهً مجـاعة شديدة لم يكن مثلهـا قطً (1).

ومن المجـاعـات تلك التي حدثت سنة 536هـ/1141م والتي دفعت بالأمير الزيري الحسن (515-543هـ/1121-1148م) إلى عقد اتفـاق مع ملك النورمـان روجـار للتقليل من حدة المجـاعة (2).

ومن الكوارث الطبيعية التي أثرت على التجـارة القحط والجفـاف وخـاصة في المنـاطق الجنوبية ووسـط إفريقيـة مثـل قـابس وسفـاقس وسوسة لأن هذه المنـاطق تعتمد في زراعتها على الأمطـار وهذا يؤدي إلى غلاء الأسعـار و ضيق العيش (3).

ومن العوامل المؤثرة على التجـارة سلبـا الأوبئة ومنهـا الطـاعون الذي ضرب إفريقية عام 395هـ/1004م والذي وصفه ابن عذارىً وكـان في هذه السنة الطـاعون فهلك فيه أكثر النـاس غنيهم وفقيرهم ، واستعمل الأخدود الواحد لدفن المـائة شخص فأكثر ، فمـات أهل العلم والتجـار والصبيـان مـا لا يحصى عداً (4) .

ومن العوامل المثبطة للتجـارة المنـافسة الأجنبية و خـاصة بين أقـاليم المغرب و هذا يرجع إلى تـشـابه الإنتـاج الزراعـي والصنـاعي أضف إلى ذلك المنـافسة المشرقية وكـان الإنتـاج المشرقي أحسن من الإنتـاج المغـربي والسبب يرجـع إلى التفـوق الحضـاري والتطور الصنـاعي(5).

ومن هنـا يمكن أن نقول أنه على الرغم من وجود هذه العوامل المعيقة للتجـارة إلا أن الدولة الزيرية سعت إلى إقـامة علاقـات تجـارية الدول المجـاورة ، وسعت في نفس الوقت إلى محـاولة تطوير التجـارة الداخلية وذلك بتنظيم الأسواق .

---

(1)النويري : المصدر السـابق ، ص340 .

(2) أومبرتو ريتسيتـانو : النورمـانديون وبنو زيري من الفتح النورمندي لصقلية حتى وفاة رودجيرو الثاني (453-548هـ/1061-1154م) ، مقـال في مجلة الآداب مطبعة جـامعة فؤاد الأول ، 1949 ، المجلد 11 ، ج1 ، ص 187 .

(3)جمعة شيخة : ملامح من النشـاط الفلاحي في المجتمع الريفي بإفريقية من الفتح إلى القرن 5هـ/11م من خلال كتب الطبقـات ، مقـال منشور في أعمـال المؤتمر الثـالث للتـاريخ وحضـارة المغرب ، المنعقد في وهران من 26إلى 28 نـوفمبر 1983 ، ديـوان المطبوعـات الجـامعية ،الجزائر ، 1987 ، ج1 ، ص44 .

(4)ابن عذارى : المصدر السـابق ، ج1 ، ص257 .

(5)جودت : المرجع السـابق ، ص 201 .

الفصل الثـاني:أصنـاف التجـار :

من خلال تطرقنـا في الفصل السـابق (الأول) إلى التجـارة في القرن الرابع الهجري والعوامل المتحكمة فيهـا تبينت لنـا صورة التـاجر المسلم ومكـانته في ذلك العهد ومن الملاحظ أن هنـاك اختلافـا هـامـا جعل التجـار أصنـافـا مـن حيـث العمـل التجـاري أو من حيث المكـانة الاجتمـاعية أو من حيث العقيدة (يهوديـا أو نصرانيـا) .

1/من حيث العمل التجـاري :

يعد التصنيف الذي تركه لنـا الدمشقي في كتـابه" الإشـارة إلى محـاسن التجـارة" من أدق التصـانيف ، حيـث اعتمـد المؤلف في تقسيمه هذا على طبيعة عمل كل تاجر ويحدثنـا الدمشقي على ثلاثة أصنـاف من التجـار هم :

أ/الخزان :

وهو التـاجر الذي يشتري السلعة في وقت توفرهـا ورخص ثمنهـا وكثرة بـائعيهـا وينتظر حتى تقل هذه السلعة ويرتفع ثمنهـا فيعمد إلى بيعهـا ، ويجب أن تتوفر في هذا البائع معرفة أحوال البضـائع (1)،ونعني بأحوال البـضـائع أمـاكن توفرهـا ووقـت بيعهـا(2).

كمـا يجب على الخزان أن يقسم بيعه على أربعة دفعـات وتكون المدة الزمنية بين الدفعة والأخرى خمسة عشر يومـا ، والسبب في ذلك هو السعي وراء معرفة السعر الحقيقي للسلعة ومن ثم يستطيع تجنب الخسـارة الكبيرة وإن كـان ثمن الشراء منخفضـا فيجب عليـه أن يقنع بنسبة الربح لأنّ" الأخذ بالعزم أفضل من غنيمة الخطر" كمـا يجب عليه أن يشتري السلعة التي يطلبهـا السوق ولا يجـري وراء الطمع و لا يقول أشتري السلعة التي غني بـا فلان وسيقل جلبهـا ، وغيرهـا من الحسـابـات التي قد تؤدي به إلى الندم ،والحل أن يشتري السلعة ولا يهمه مجيء من يأخذهـا أو تأخره ، ويجب عليه أخذ السلعة إلى مكـان كسـادهـا ورخص ثمنهـا وينتظر حتى تنفد من الأسواق ويرتفع ثمنهـا (3) كمـا على الخزان النظر في أحوال السلطـان هل هو عـادل وقوي أو عـادل وضـعيف أو جـائر والسبب يرجع هنـا إلى السعي إلى المحـافظة على سلعته (4).

ب/الركـاض :

وهو التـاجر الذي يسـافر من بلد إلى آخر لجلب السلع للمتـاجرة بـا ، ويجب على هذا التـاجر الاحتيـاط في كـل مـا يشتريه ، وذلك بإحضـار قـائمة أسعـار البضـائع في البلد الذي يريد السفر إليه ، ويقوم بحسـاب كلفة السلعة من ثمـن ونقـل

---

(1) الدمشقي : الإشـارة إلى محـاسن التجـارة ومعرفة جيد الأعراض ورديئهـا وغشوش المدلسين فيهـا ، مطبعـة المؤيـد ، 1318 هـ ، ص48 .

(2) جودت : المرجع السـابق ، ص 145 ، عبد العزيز الدوري : المرجع السـابق ، ص125 .

(3)الدمشقي : المصدر السـابق ، ص ص 49-50 .

(4) هيفينج : مـادة تجـارة ، دائرة المعـارف الإسلامية ، ترجمة المقـال محمد شـاكر ، انتشـارات جيهـان، طهران ، بلا تـاريخ ، مجلد 4 ، ص588 .

ومكوس وحســاب الفــائدة من ذلك كله (1)، وهو مــا سمــاه هيفينج بالتــاجر الجوال كمــا نصطلح عليه في عصرنــا (2) ،ولذا وجب عليه عند الوصول إلى منطقة لا يعرفهــا أن يتقصى في معرفة الوكلاء الموثوقين الأمنــاء حتى لا يقع في شخص يسلب له أمواله (3) ، وعليه أيضــا أن يبقي معه جزءا من المــال للاستعــانة به في حــالة مــا إذا وقع له طــارئ (4) .

جـ/ المجهز :

وهو التــاجر الذي يكون له وكلاء عنه في منــاطق أخرى ، فيقوم هو بإرســال بضــائع إلى وكلائه ويقوم الوكيل ببيعهــــا ثم شراء سلع أخرى يرسلهــا إليه ، ويجب أن تتوفر في الوكلاء الثقة والأمــانة والخبرة بالتجــارة ، فيكون له نصيب من الــربح ، كمــــا يعمل المجهز على محاولة إيجــاد حل للسلع التي تكدست بخزنــا ويقوم بتجهيز السلع التي يشتريهــا ويجب عليه أثنــاء بعثهــا إلى الوكلاء أن يبعثهــا مع تجــار ثقــات يرعونــا حتى يستلمهــا الوكيل (5).

وقد سمى جودت هذا النوع من التجــار بــ" التــاجر الكبير الذي يستعين بعمــال في تسير عمله التجــاري" (6) ،في حين سمــــاه هيفينج بــ" التــاجر المصدر" (7).

2/من حيث المكــانة التجــارية :

زيــادة على التصنيف من حيث العمل التجــاري الذي أعده الدمشقي فإنه بإمكــاننــا تصنيف التجــار على حسب مكــــانتهم الاجتمــاعية وبالنسبة للدولة الزيرية فقد إرتئينــا تقسيمهم إلى مــايلي :

أ/التــاجر السلطــان :

قبل أن نشير إلى أمراء من الدولة الزيرية امتهنوا التجــارة يجدر بنــا هنــا أن نشير إلى أنه نتيجة للصفــات التي كــان يتمتع بــــا بعض التجار من مــاحكة وغش وقسم بأغلظ الأيمــان الكــاذبة على الثمن ، وهذه الأخلاق هي في غــاية المذلة فإن أهــل الــسلطان تعففوا في كثير من الأحيــان عن امتهــان هذه المهنة (8) .

والدولة كمــا عبر عنهــا ابن خلدون هي السوق الأعظم وهي المتحكمة في الأسواق (9)،ولمــا كــــانت الدولــة هــي المتحكمة في الأسواق فإن بعضــا من الأمراء الزيريين راحوا يمــارسون التجــارة ، وممــا يدل على مــا نقول أن الفقيه اللخمي سئل عن شراء اللحم من الجزار الفقير فقــال شراؤها من الفقير أحسن خــاصة وأن العرب والبربر أصبحوا يأتون بالغنم فيشتريهــا رجــل يتجــر

(1)الدمشقي : المصدر الســابق ، ص 51 .

(2) هيفينج : المرجع الســابق ،ص 589 .

(3)الدمشقي : المصدر الســابق ، ص52 .

(4)جودت : المرجع الســابق ، ص 148 .

(5)الدمشقي : المصدر الســابق ، ص 52 .

(6)جودت : المرجع الســابق ، ص 149 .

(7)هيفينج : المرجع الســابق ، ص589 .

(8) جودت : المرجع الســابق ،ص147 .

(9)ابن خلدون : المقدمة ، ص201 .

للسلطـان وعبيده فلا يستطيع الفقير ولا الغني أن يشتري بحضرته (1) ، كمـا قـام تـاجر السلطـان أيـضـا بالاسـتحواذ علـى الأنعـام وبيعهـا بثمن عـال(2).

وقد أقدم المعز بن باديس (406-454هـ/1016-1062م)على شراء عبيد بلغ عددهم ثلاثين ألف استعملهم في جيشه (3) ، كمـا أقدم ابنه تميم (454-501هـ/1062-1108م) على شراء جارية وردهـا إلى صـاحبهـا لحزنه الشديد عليهـا (4) .

كمـا أقدم عـامل إفريقية عبد الله بن محمد الكـاتب عام 373هـ/983م على شراء عبيد من السودان وجعل على كل ثلاثـين عبدا عـاملا إلى مـادون ذلك ، فاجتمع له منهم آلاف أسكنهم في المنصورية (5) .

كمـا سيطر أمراء بني زيري على التجـارة البحرية وكانت لحسـابهم الخـاص ولذلك استفـادوا من إعفـاءات وتخفيـضـات جمركية كـان يمنحهـا الملوك بعضهم لبعض (6) ، وتظهر السيطرة الزيرية على التجـارة البحرية في أسمـاء المراكب ، فوثـائق الجنيزة تحدثنـا عن أسمـاء للمراكب منهـا مركب السلطـان الذي يبدو من هذه التسمية أنه ملك لحـاكم تونس (7) ، وهنـاك مركب آخر اسمه مركب القـائد (8) .

وهنـاك أسمـاء أخرى للسفن مثل الميمون والمبـارك والتي على مـا يبدو هي ملكـا لأمراء الدولة الزيريـة ، كمـــا أشـارت رسـائل الجنيزة إلى سفن كـانت تملكهـا" السيدة الجليلة" وربمـا تكون هذه السيدة هي" أم العلو" أخت المعز بن باديس والـتي بلـغ مهرهـا مليون دينـار ، وبهذا المهر قـامت بشراء السفن (9) .

وكمـا سبق وأن أشرنـا فإن الأمير علي بن يحي (509-515هـ/1116-1121م)قـام بحصـار قـابس لأن صـــاحبها رافع بن مكن الدهمـاني أنشأ مركبـا يسـافر فيه التجـار ، ورأى علي بأنه أحق منه في القيـام بهذه المهمة (10) ، وهذا ربمـا يـدل على أن الأمير علي كـانت له تجـارة في هذه المراكب ومن ثم إقدامه على هذا العمل كـان بغرض حمـايتها والمحـافظة عليهـا .

كما تتحدث إحدى رسائل الجنيزة عن أمير برقة (*)جبارة بن مكثر الذي وصفته" بالقرصـان المريع والتـاجر وحـامي السفن" (1) .

---

(1)البرزلي : المصدر السـابق ، ج3 ، ص173 .

(2) إدريس : المرجع السـابق ، ج2 ،ص 272 .

(3)ابن الأثير : المصدر السابق ، ج8 ،ص 296 ، النويري : المصدر السابق ، ص 344 .

(4) النويري : المصدر نفسه ، ص 361 .

(5) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج1 ، ص283 .

(6) إدريس : المرجع السابق ، ج2 ، ص 277 .

(7)جوايتاين : المرجع السابق ، ص 244 .

(8) أمين توفيق الطيبي : المرجع السابق ، ص 67 .

(9)جوايتاين : المرجع السابق ، ص 244 .

(10)ابن الأثير : المصدر السابق ، ج9 ، ص 169 .

(*)برقة مدينة ليست بالصغيرة ولا بالكبيرة وهي برية وبحرية وجبلية ، وهي أول مدينة يـــل بهـــا القـادم من مصر إلى القيروان ، ابن حوقل المصدر السـابق ، ص 69 .

ومـا يمكن ملاحظته هنا هو أن السيـادة العربية على البحر المتوسط كـانت حسب رسائل الجنيزة مجسدة في وجود أكثر من 150 مركب ملك للمسلمين لكن بسيطرة المدن الإيطـالية على البحر المتوسط لم يرد ذكر أسمـاء لمراكب المسلمين سوى" مركب السلطـان" و" مركب القـائد" (2) ، وهذا مـا يدل على أنه على الرغم من السيطرة الأجنبية على البحر المتوسط إلا أن السلطـان الزيـري بقـي محافظـا على سيطرته التجـارية وكـان يحـاول فرض نفوذه حتى خـارج البلاد .

لكن إذا نظرنـا إلى تجـارة السلطـان من جهة أخرى وجدنـا أنه يكون فيها العروض والبيع والشراء الذي لا يقدر أي أحـد أن يزيد عليه وقد قيل" إذا شـارك السلطـان الرعية في التجـارة هلكوا" (3) ، وقد بين ابن خلدون مواطن هلاك الرعية باعتبـار أن الدولة بإمكـانـا التحكم في السوق بسب امتلاكها لرأسمـال كبير مقـارنة بالتجـار ، كمـا أن الدولة يمكنهـا أن تشتري كـل شـيء بأبخس الأثـمان ،ومن ينـافش في السعر يتعرض للمصـادرة ، والدولة هي من تفرض المكوس والضرائب فهي إذن تعفي نفـسهـا منهـا وتفرضهـا مرتفعة على التجـار ، وهذا ما يدفعهم إلى اعتزال التجـارة ، كم أنـا تتحكم في الأسعـار فهي تدفع التجـار إلى الشراء بسعر ثم تقوم بخفض السعر وهذا يؤدي إلى خسـارة التجـار ومن ثم ترك هذه المهنة ويفسح الطريق أمـامهـا (4) .

ب/التـاجر الفقيه :

رغم أن بعض التجـار اتصفوا بالمـاحكة والغش والقسم الكـاذبة إلا أن هنـاك صنفـا آخر تميزوا بالأخلاق العـالية التي تبوؤا بـها عند النـاس مكانة عالية جلبت لهم الاحترام والتوقير ، ووجدنـا حتى بعض الفقهـاء اختاروا العمل التجـاري (5) .

ومـا يدل على وجود علمـاء تجـار في العهد الزيري أن الفقيه أبو بكر عبد الرحمن (*)قد سئل عن من يسكن حصنـا وبيـده مـالا يشتري به سلعا وهو من أهل الدين ، فقـال بأن التجـارة هنـا جـائزة للعلمـاء لكنهـا لا تجوز للمرابطين (6) .

وكـان هنـاك مجموعة من العلمـاء ارتحلوا لأجل العلم والتجـارة فسـافر من إفريقية إلى الأندلس مجموعة من العلمـاء التجـار ، كمـا قدم إليهـا من الأندلس ومن أقطـار أخرى مجموعة أخرى من العلمـاء التجـار (7) .

ومن بين الفقهـاء الذين مـارسوا التجـارة الفقيه أبو سعيد بن خلف بن عمر بن أخي هشام الذي وصفه الدبـاغ بأنه" إمــام زمـانه وأعلمهم بمذهب الإمـام مالك" (1) ، وهو من أهل القيروان ورغم أنه تفقه على يد فقهـاء أجلاء إلا أن ذلك لم يمنعه مـن

---

(2) جوايتاين : المرجع السابق ، ص 245 .

(2)أمين توفيق الطيبي : المرجع السابق ،ص 67 .

(3) الدمشقي : المصدر السابق ، ص 41 .

(4) ابن خلدون : المقدمة ، ص 198 .

(5) جودت : المرجع السابق ، ص 147 .

(*)أبو بكر عبد الرحمن من فقهـاء القيروان الذين تفقهوا على يد أبو زيد القيرواني تـوفي بـالقيروان عــام 432هـــ / 1040 م ،القـاضي عيـاض : المصدر السـابق ، مج2 ، ج4 ، ص ص 701-702 .

(6) الونشريسي : المعيار ج7 ، ص 236 .

(3)أويفيـا ريمي كونستبل : المرجع السابق ، ص139 .

(4) الدباغ : المصدر السابق ، ج3 ، ص99 .

مزاولة التجـارة فكـان يبيع الحنطة ، وقد توفي في صفر سنة 371هـ/ 981م (2) ، وقيل سنة 373هـ/ 983م (3) ، وصلى عليه ابن الكوفي وقد حضر الصلاة عليه الأمير الزيري عبد الله الزيري المعروف ببلكين (361-373هـ/972-984م)(4).

ومن الفقهـاء التجـار أيضـا أبو عبد الله محمد بن سعدون بن علي بن بلال القروي الذي تفقه بالقيروان وسمع مـن شيوخهـا كابن الأجدابي وكان فقيهـا حافظا للمسائل (5) ، وقد اشتغل بالتجـارة وقد طـاف بالمغرب والأندلس لغرض العلم والتجـارة وتوفي بأغمـات سنة 486هـ/1093م (6)، وقيل سنة 485هـ/1092م (7)، والمصـادر لا تحدثنـا عن نوعية التجـارة الـتي كـان يتجر بـها ، ولكنهـا ذكرت فقط أنه كـان تـاجرا وأنه طـاف بلاد المغرب والأندلس بغرض العلم والتجـارة .

ومن الفقهـاء الذين امتهنوا التجـارة أيضـا محمد بن القـاسم بن أبي الحـاج القروي ويكنى أبـا عبد الله وهو من أهل القيروان سـافر إلى قرطبة سنة 400هـ/1009م بغرض التجـارة وقد حدث بـها أيضـا وقد قـال عنه ابن بشكوال بأنه" من أهـل العلـم والنفوذ في التجـارة والتبصر بأنواعهـا" توفي عام 428هـ/1036م (8) ، ولم يحدثنا ابن بشكوال عن نوع التجـارة الـتي كـان يمـارسها وقـال أنه متبصر بأنواعهـا وربـما هذا يدل على أنه كـان يتـاجر في أنواع عديدة من السلع .

---

(1)القاضي عياض : المصدر السابق ،مج 2 ، ج4 ، ص 490 .

(2)الدباغ : المصدر السابق ، ج3 ، ص 140 .

(3)القاضي عياض : المصدر السابق ، مج2 ، ج4 ، ص 491 .

(4)ابن فرحون المالكي : الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، تح وتعليق محمد الأحمدي أبو النور ، مكتبة

التراث ، القاهرة ، بلا تاريخ ، مج2 ، ص239 .دار التراث ، القاهرة ، بلا تاريخ ، مج2 ، ص239 .

(5) القاضي عياض : المصدر السابق ، مج2 ، ج4 ، ص ص799-800

(6) الدباغ : المصدر السابق ، ج3 ، ص 198 .

(7)ابن بشكوال : كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس ، تقديم وضبط وشرح صلاح الدين الهواري ، المكتبة

العصرية ،ط1 ، بيروت ، 2003 ، مج 2 ، ص ص 464 –465 .

ومنهم أيضـا أبو الحسن علي بن عبد الله القطـان المعروف بابن الخلاف وهو من أهل العلم والورع والفضل والزهد وكـان لـه حـانوت يبيع فيه القطن (1) .

وكـان محمد بن تميم بن أبي العرب القيرواني من فقهـاء القيروان التجـار إذ سافر عـام 416هـ/1025م إلى الأندلس بغرض العلم والتجـارة ثم عـاد إلى القيروان وبـها توفي سنة 419هـ/1028م (2) ، لكننـا نجهل نوعية التجـارة التي كـان يمـارسها .

ومن الفقهـاء التجـار موسى بن عـاصم بن سفيـان التونسي ويكنى أبـا هـارون ويفهم من اسمه أنه من تونس ،وقد دخل إلى الأندلس عام 431هـ/1039م بغرض التجـارة (3) .

ومنهم أيضـا عبد الرحمن الترجوقي وهو من أهل إفريقية يكنى أبـا الحسن وقد دخل إلى الأندلس تـاجرا (4) ، والمصـادر الـتي اطلعنـا عليهـا لم تخبرنـا عن السلع التي كـان يتـاجر بـها .

هذا بالنسبة للتجـار الفقهـاء من أهل إفريقية سواء من استقر بـها أو من سافروا إلى الأندلس وغيرهـا مـن بـلاد المـسلمين ،وهنـاك تـجار فقهـاء آخرون دخلوا إلى إفريقية من مختلف أقطـار البلاد الإسلامية ومنهم :

نزار بن محمد بن عبد الله القيسي الزيـات ويكنى أبـا عمر وهو من إشبيلية وكان شيخـا صالحـا ومتدينـا، وقـد سـافر إلى إفريقية ً طـالبـا للعلم والتجارة ً وقد توفي في شعبان سنة 424هـ/ 1032م (5)

ومنهم أيضـا هشـام بن عطـاء بن أبي زيد بن هشـام الطرابلسي الذي يكنى أبـا يزيد ، ويفهم من اسمه أنه من طرابلس الشرق لأنه دخل العراق أولا ثم سافر نحو إفريقية والأندلس وكانً تـاجرا عالمـاً (6) ، ولم تمكننـا المصـادر المتوفرة من معرفة طبيعة النشاط الذي كـان يمارسه ولا المراكز والأسواق التجـارية التي كـان يرتحل إليهـا .

ومن الفقهـاء التجـار أيضـا عبد الله بن طلحة بن عمرون الوهراني يكنى أبا محمد وهو على حسب اسمه من وهـران وكـانً عـالمـا بالحسـاب والطب وكان نـافذا فيهمـا وكـان تـاجراً وقد قدم إلى إفريقية بغرضً العلم والتجـارةً وسـافر عـام 429هـ/1037م إلى الأندلس وسكن إشبيلية (7). ولم تحدثنـا المصادر على نوعية التجـارة التي كـان يمتهنهـا .

ومنهم مروان بن سليمـان بن مرقـاط الغـافقي يكنى أبـا عبد الملك وهو من أهل إشبيلية ، رحل إلى إفريقية بغرض التجـارة وقد توفي في شهر رمضان سنة 418هـ/1027م(8).

---

(1) الدباغ : المصدر السابق ، ج3 ، ص 125 .

(2) ابن بشكوال : المصدر السابق ، مج2 ، ص 376 .

(3) المصدر نفسه ، مج2 ، ص 376 .

(4) ابن الآبار : التكملة لكتاب الصلة ، تح عبد السلام الهـراس ، دار الفكـر ، بـيروت ، 1415 هـ/1995 م ، ج3 ، ص 245 .

(5)ابن بشكوال : المصدر السابق ، مج2 ، ص 495 .

(6) المصدر نفسه ، مج2 ، ص 507 .

(7)ابن بشكوال : المصدر السـابق ، مج 1،ص 247 .

(8) المصدر نفسه ، مج2 ، ص 478 .

ومنهم أيضـا يوسف بن فتوح بن محمد بن عبد الله القرشي وهو من أهل المرية كـان ينتقل بين دول المغرب ويبيع فيهـا النبـات ، وقد توفي سنة 562هـ/1166م(1).

وبعد كلامنـا عن مجموعة من الفقهـاء الذين اشتغلوا بالتجـارة ، نكون قد ألقينـا الضوء على طبقة هامة من طبقـات التجـار وهم التجـار العلمـاء الذين لم يكن دورهم مقتصرا على التعلم والتعليم فقط، وإنّمـا اشتغلوا بمهن عدّة ، لكن مـا يمكن أن نلاحظـه على كل الدراسات تقريبا التي تتكلّم عن الحيـاة الاقتصـادية أنّهـا أغفلت دور العلمـاء في الـجانب الاقتصـادي سواء في الصنـاعة أو الفلاحة أو التجـارة.

جـ/ عامة التجار:

لقد صنف عـامة التجـار إلى عدة تصـانيف فهنـالك من قـام بتصنيفهم على حسب رؤوس أموالهم ،وهنـالك من صـنفهم على حسب الوضع الاجتمـاعي لمـالكيهـا وهنـاك من قسمهم على حسب استثمـار أموالهم و على حسب الاستثمـار نميز ثـلاث مجموعـات :

1/المجموعة الأولى :

وهم التجـار الذين يقل رأسمـالهم عن مـائة دينـار ، ويعملون بأنفسهم يكونون إمـا مقيمين وإمـا مـسـافرين ، فيقـوم التـاجر المقيم بكراء الـحانوت لمدة طويلة ويدفع الكراء بالشهر أو السنة وقد سـاء وضع هذه المجموعة من التجـار في العهد الزيري إلى درجة أنم لم يستطيعوا دفع ثمن كراء حوانيتهم (2) .

2/المجموعة الثـانية :

وهم الذين يستثمرون ألف أو خمسة مـائة أو مائتين أو مائة دينار(3).

3/المجموعة الثـالثة :

وهم التجـار الذين يستثمرون أكثر من ألف دينـار و الملاحظ أنم لا يستثمرون كل مـا يملكون ، وقد يملك أحدهم حوانيـت المدينة التي يقيم فيهـا ، ويقوم بتسيير تجـارته لوحده أو مع إخوانه ، كمـا يمكن أن يستعين بعمـال (عبيد وموالي)،وقد اتخذت هـذه المجموعة في كثير من الأحيـان شركاء و وكلاء (4).

وهنـاك من قسمهم إلى :

1/ تجـار القوافل :

وهم الذين اشتغلوا بتجـارة الترف ويعرفون بتجـار الصحراء وكـانوا يقومون بنقل الملح والنحـاس و الأصداف وآلات الحديـد إلى بلاد السودان ، ويجلبون منهـا الذهب و العبيد والجلود والعـاج ، وجعلت منهم هذه التجارة أغنى النـاس (5).

2/ تجـار الجملة :

ومنهم من اقتصرت رحلاتم على مدن المغرب وكان بعضهم فقهـاء وأصحـاب الخطط لذا قـاموا باستعمـال وكـلاء عنـهم وهؤلاء الوكلاء منهم من اختص بخدمة تـاجر واحد ومنهم خدم الكثير من التجـار (6).

---

(1) ابن الآبار : المصدر السابق ،ج4 ، ص211.

(2) الونشريسي : المعيار ج8، ص 260

(3) عز الدين موسى : المرجع السابق ، ص 279 .

(4) المرجع نفسه ، ص 279

(5)إبراهيم القادري بوتشيش : مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين ،دار الطليعة للطباعـة و النـشر ، ط1، بيروت ، 1998، ص 160 ص161

(6) القـادري بوتشيش : مبـاحث في التـاريخ الاجتمـاعي للمغرب ، ص 161 .

وهنـالك من صنفهم إلى تجـار مستقرين ومتجولين :

1/ المستقرون :

وهم التجـار الذين يملكون حوانيت ثـابتة يبيعون فيهـا سلعهم ، أو تكون لهم أمـاكن في السوق لا يغـادرونا حتى المسـاء ثم يعودون إليهـا في الصبـاح (1) .

2/ المتجولون :

وهم التجـار الذين يتحدون الصعـاب ويسـافرون عبر القرى و الأريـاف حـاملين بضـائعهم على ظهورهم أو على الدواب وينشرونـا على حصـائر ويلجأون إلى الدعـاية و المناداة عليهـا ، وغـالبـا مـا يبـادلونـا بسلع أخرى ويطلق علـيهم اسـمً ذوي الأرجل المغّبرةً ، وكان هؤلاء التجار في الغالب يتعرضون إلى المنـافسة من قبل كبـار التجـار ومن ثم يبيعون بأسعـ ـار زهيـدة .(2)

وهنـاك تجـار صغـار كـانوا يبيعون السلع ويقبضون ثمنهـا على دفعات (بالتقسيط) ويلبون حـاجيـات الـسكـان ومطـالبهم اليومية ، ومنهم من يكتري حـانوتـا في القيسـاريـات أو في الأسواق العمومية ، ومن هؤلاء بـائعي اللحـوم والحـوت والعطـارين والعشـابين والصيـادلة وبـائعي الأطبـاق والقدور والحطب والفحم(3).

وقد كـان كراء الحوانيت مرتفعـا جدا فقد بلغ ثمن كراء حانوت الكتان في المنصورية مـائتي درهم (4)، كمـا بلغ أيضـا أكثر من ستين درهما ، لذا أقدم أكثر البـاعة على كسب رزقهم عن طريق التجول في الطرقـات والأمـاكن العمومية (5).

كمـا امتهنت النسـاء مهنة التجـارة فقد كـانت النسـاء تبعن السلع عند أبواب دورهن ، إذ كـانت هنـاك امرأة مغربية تبيع الزيت أمـام باب دارها ويقوم الدلال بالمزايدة على سلعتهـا حتى تصل إلى أعلى سعر و يأخذ مقـابل ذلك أجرا ، وكـان التجـ ـار يقصدون دور النسـاء لبيع سلعهم ، وكـانت النساء تخرج إلى الأسواق لشراء ما يلزمهـا وإذا كـان الحـر شـديدا فـإنّ تخـرجن عـاريـات الوجه (6) .

د/الوسطـاء :

كـانت طريقة البيع والشراء تتم بطريقة مبـاشرة بين البائع والمشتري ، وفي الكثير من الأحيـان يكون هنـاك وسيط بين البـائع و المشتري وتختلف تسميـات الوسطـاء على حسب العمل الذي يقومون به .

والوسطـاء على نوعين نوع فقير الحـال ونوع ثـاني متنفذ في الأسواق (7).

1/السمسـار :

والسمسـار حسب مـا عرفه المعداني هوً الذي يطوف بالسلعة ويدور بـا على التجـار ويقول من يزيد عليهـاً (1) . ومـن هو وسيط بين البـائع والمشتري (2).

---

(1) جودت : المرجع السابق ص146 .

(2) المرجع السابق ص 147 .

(3) القادري بوتشيش : مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس ، ص 174.

(4) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج1،ص 261.

(5) القادري بوتشيش : مباحث في الاجتماعي للمغرب والأندلس ، ص 174 ، ص 175 .

(6)الونشريسي : المعيار ، ج5 ، ص 325 .

(7)عز الدين موسى : المرجع السابق ،ص 283 .

كمـا أن التجـار الغربـاء كـانوا يـ لون عندهم ويقومون بتصريف تجـارتم عن طريقهم ، كمـا كـانت مـن أعمـال السمسـار أيضـا التجسس على التجار لمعرفة أربـاحهم ونقل ذلك إلى المحتسب الذي يفرض عليهم غرامـات ومكـوس ، ومـن ثم اضطر التجـار إلى دفع أموال للسمـاسرة من أجل إخفـاء حقيقة أربـاحهم (3) .

ومن صفـات السمـاسرة التكلم بالكذب ، فتراهم تـارة يشيعون أن السلعة نـادرة ، وأنه لم يبق في السوق غيرهـا ، وتـارة يشيعون أنـا سترتفع في السعر ويقولون أحيانا أن الراغبين فيهـا كثر (4).

والسمسـار ليس لديه راتب محدد وإنمـا يكون دخله من صـاحب السلعة ومن المشتري (5)، وأحيـانـا يبيع سـلعة التـاجر بأكثر من السعر المتفق عليه وهذا مـا جعل دخل السمسـار يرتفع ويزيد خـاصة في فترة الاضطرابـات (6).

والسمسرة كـانت موجودة في العهد الزيري وقبله فقد أشـار الرحـالة ابن حوقل إلى وجودً سمـاسرة وقوف على بيع المرجـان وشرائهً وهذا بمرسى الخرز (7) ، كمـا طرحت أسئلة على فقهـاء العهد حول موضوع السمسرة ، وقد قـام الفقيه الأبيـاني بتأليف كتـاب سمـاه مسـائل السمـاسرة ولو أن الفقيه توفي بين 352-361هـ/966-971م . أي كـان قبل العهد الزيري إلا أنه يعتبر من أهم المصـادر وهذا لطبيعة الكتـاب من جهة ولكون صاحبه مـالكي المذهب وفقهـاء العهد الزيري كلـهم مـالكيون (8).

ومـا يدل على وجود سمسرة في العهد الزيري أن الفقيه أبو زيد القيرواني سئل عن سمسـار ينـادي على سلعة ولا يبيعهـا فردهـا إلى صـاحبهـا فبـاعها صاحبها بالذي أعطى السمسـار أو أقل أو أكثر ، فأجـاب بأن للسمـسـار أجرتـه الثانيـة ،أي أجـرة المناداة،كمـا له أجـر البيع إذا كـان الوقت بين إرجـاع السلعة وبيعهـا ليس طويلا (9)،كمـا سئل الفقيه القـابسي عن سمسـار عرض سلعة يبيعهـا فوقفت عند ثمن معين فقـال له صـاحبهـا اجتهد فقـال له السمسـار هذا هو آخر الثمن ،فقام صاحبهـا بدفعهـا إلى سمسـار آخر ،فبـاعهـا بذلك الثمن ، فهـل للسمـسار الأول أجـر؟ فأجـاب بأنه إ ذا كـان زمن البيع قريبـا فالثمن يكون بين السمسـارين على قدر العنـاء (10) .

---

(1) أبو علي بن الحسن المعداني : كشف القناع عن تضمين الصناع ، تح محمد أبو الأجفان ، دار البشائر الإسـلامية ، ط1 ، بـيروت، 1996 ، ص106 .

(2) جودت : المرجع السابق ، ص 164 .

(3)القادري بوتشيش : مباحث في التاريخ الاجتماعي ، ص 163 .

(4)الدمشقي : المصدر السابق ، ص44 .

(5) جودت:المرجع السابق ،ص 166 .

(6) القادري بوتشيش : مباحث في التاريخ الاجتماعي ،ص 163 .

(7)ابن حوقل : المصدر السـابق ، ص 76 .

(8) الأبياني : مسائل السماسرة ، تح محمد العروسي المطوي ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 1992 ، لمعرفة حيـاة الأبيـاني ، ارجع قاضي عياض : المصدر السابق ، المجلد ، مج2 ، ج3 ، ص ص 347 –352 .

(9) ابن أبي زيد القيرواني:فتاوى ابن أبي زيد القيرواني ،جمع وتقديم حميد محمد لحمر ،دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 2004 ،ص296 .

(10) الونشريسي : المعيار ، ج8 ، ص 359 .

وكـان الثمن الذي يأخذه السمسـار يكون بنـاء على اتفـاق بين صاحب السلعة والسمسـار ،لكن قد لا يتفـق صـ ـاحب السلعة والسمسـار على الثمن وقد سئل عن ذلك الفقيه الأبيـاني ، فأجـاب أنه إذا سمي الجعل و الإجـارة فهو جائز ، وإذا كـ ـانت هنـاك سنة متبعة في الجعل وعلم بذلك صـاحب السلعة والسمسـار فذلك جـائز ، أمـّا الإجـارة فلا تجوز إلا بتسمية معلومة وأجل معلوم وهذا يعني أن الإجـارة تكون في المتـاع والسلع الكثيرة ولا تكون إلا بتسمية وأجل معلومين (1) .

والمعروف عن السمـاسرة شرعـا عدم الضمـان والعـادة أنم يبيعون دون الإشهـار على بيعهم وهذا رأي فقهـ ـاء المـذهب المـالكي(2) ،فقد سئل الفقيه القـابسي (*) عن تـاجر يبعث سمسـار ليحضر له ثوبـا من حرير فيضيع منه الثوب ،فأفتى بعدم ضمـان السمسـار إن لم يفرط في الثوب (3) كمـا سئل ابن أبي زيد (**)عن رجل دفع إلى سمسـار لؤلؤ فضـاع اللؤلؤ منه ،فقـال صـاحب اللؤلؤ إنما بعته لك ، وقـال السمسـار إنمـا دفعته إليّ لأبيعه لك ، فأفتى الفقيه بأنّ القول قول السمسـار مع يمينـه على أنه قبضه على وجه الابتيـاع ولا ضمـان عليه (4) .

و الأبيـاني في كثير من مسـائله يقول لا ضمـان على السمسـار لأنه ً: أمين الذي أرسلهً (5) وقـالً: لا ضمـ ـان علـى السمسـار لأنه أمين البـائعً، وقـال مرة أخرى ً: لا ضمـان على السمسـار لأنه أقر بأمرهً (6).

وكـان السمسـار يشتري سلعـا من سمسـار مثله وهذا مـا يفهم من السؤال الذي قدّم إلى الفقيه القـابسي ونصّه أن رجـلا طلب من سمسـار أن يشتري له ثوبا فذهب السمسـار إلى سمسـار آخر واشترى الثوب منه (7).

ومن الأمور التي لا تجوز شرعـا للسمسـار أن يقوم بـا هي شراء الشيء الذي ينـادي عليه ، وقد سئل عـن ذاـك الفقيـه الأبيـاني فأجـاب أنه لا يجوز له ذلك ، إلا إذا أعلم صـاحب السلعة بأنه يأخذها لنفسه ورضي بذلك (8) ، وربمـا يكون الـسبب في ذلك إلى كون السمسـار إذا أعجبته السلعة فهذا قد يؤدي إلى تراخيه في إيجـاد الذي يزيد على الـسلعة ومـن ثم لا يرتفـع ثمنهـ ـا فيأخذهـا بغير سعرهـا وهذا أكل لأموال النـاس بالبـاطل .

2/ الدلالون:

---

(1) الأبياني : المصدر السابق ، ص38 .

(2)البرزلي : المصدر السابق ، ج3 ، ص490 .

(*)القـابسي أبو الحسن علي بن محمد من الصـالحين والزاهدين له كتـاب المهذب في الفقه وأحكـام الديـ ـانة تـوفي القـابـسي بالقيروان سنة 403 هـ / 1012 م ، القـاضي عيـاض ، المصدر السـابق ، مج 2 ، ج4 ، ص ص616-497 .

(3) الونشريسي : المعيار ، ج 9 ، 120 .

(**)ابن أبي زيد القيرواني أبو محمد عبد الله نفزي النسب (نفزة مدينة بالجنوب التونسي) سكن بالقيروان وتوفي بـا سنة 386 هـ / وله مؤلفـات منهـا الرسـالة ، و كتـاب النوادر والزيـادات على مـا في المدونة من غيرهـا من الأمهـات ، القـاضي عيـاض : المصدر السـابق ، مج2 ، ج4 ، ص ص 494-497 .

(4)الونشريسي : المعيار ، ج8 ، ص 360 .

(5)الأبياني : المصدر السابق ، ص 20 .

(6) المصدر نفسه ، ص 21 .

(7) الونشريسي : المعيار ، ج9 ، ص 121 .

(8)الأبياني : المصدر السابق ، ص 44 .

الدلال كمـا عرفه المعداني هو الذي يعرّف القـادمين من التجار بموضع السلع في البلد ويعرف أصحـاب السلع بالتجـار ولـذا سمي بالدلال لأنه يدل البـائع على المشتري والمشتري على البـائع.(1)

وعملية التميز بين الدلال والسمسار صعبة جدا ، وهمـا كلمتـان مترادفتـان غير أن الدلال عربيـة والسمـسـار (*)أعجميـة ،ويمكن أن يكون الدلال مختص ببيع السلع القديمة والسمسـار مختص ببيع السلع الجديدة ،والدلال يلزم السوق في حين السمسـار يقصده النـاس فيكون في البيت والشـارع والسوق (2).

فالدلال يكون بين البـائع والمشتري وهذا مـا يضر بالمشتري.وقد أصبح التجار يخشون من الدلالين والسبب يرجع إلى الأربـاح التي يتحصلون عليهـا دون التعرض إلى خسـارة لأنه لا مـال لهم ، ولهذا الغرض قـام بعض التجار بالاشتغال بالدلالة والتجـارة ومن ثم يأخذ ثمن البيع وثمن الدلالة ومن فشل في تجـارته اشتغل بالدلالة (3) .

وأخلاق الدلال مثل أخلاق السمسـار فتراهم يكذبون ، والدلال يعمل على مسـاعدة الدلال مثله فيوهم التـاجر والمشتري أنـه مشتر مثلهم وهم مشهورون بذلك ويعتبرونه بـابـا من أبواب المعيشة (4) .

أمـا بالنسبة لقضية ضمـان الدلال فهنـاك قولان ، فابن أبي زيد القيرواني يرى أن الدلالين والنخـاسين والسمـاسرة لا يضمنون والقول قولهم مع أيـمانهم (5) في حين يرى المعداني أن الفقهـاء قـالوا بأن الضمـان في الدلالين فيه قـولان : وذلـك بـالنظر إلى أخلاقهم فمن كان متصفـا بالخير والثقة فلا ضمـان له، وإن لم يتصف بذلك فهو ضـامن لمـا ادّعى ضيـاعه أو عليه ردّه (6) وقـد سئل ابن أبي زيد القيرواني عن من دفع إلى دلال حلي فقـال أنـا سقطت مني فأجـاب بأن القول قول الدلال مع يـمينه (7) .

أمـا الحديث عن الدلالة في العهد الزيري فإن إبن أبي زيد القيرواني قد سئل عن من أخذ سلعة من تـاجر وينـادي عليهـا رجـاء الزيـادة فلم يبعهـا، فردها إلى التـاجر وبـاعها التـاجر بالذي أعطي أو أقل أو أكثر، فقـال أنه على التـاجر أجرة للدلال ثـانية إذا لم يكن الوقت كبيرا (8) .

كمـا سئل أبـو بكر بن عبد الرحمن عن التـاجر الذي أعطى ثوبـا أو سلعة لمن يبيعهـا له فلا يبيعهـا ثم يعطيهـا لآخر فهـل للأول أجر فقـال بأن له أجر على قدر إشهـاره لـها (9) .

---

(1) المعداني: المصدر السابق .ص 106.

(*)السمسار :كلمة فارسية معربة والجمع السماسرة ،أنظر ابن المنظور :لسان العرب دار صادر،ط1، بيروت بلا تاريخ ج4 ص 380.

(2) جودت: المرجع السابق ، ص167.

(3) الونشريسي:المعيار ، ج6 ، ص 320.

(4) الدمشقي:المصدر السابق ، ص44.

(5) البرزلي: المصدر السابق ، ج3 ، ص545.

(6) المعداني:المصدر السابق ، ص 112.

(7) ابن أبي زيد القيرواني : الفتاوي ، ص 208.

(8)ابن أبي زيد القيرواني: الفتاوي ، ص206 ، الونشريسي: المعيار ، ج5 ، ص 22.

(9) الونشريسي: المعيـار ، ج5 ص 360.

وكـان الدلال يأخذ أجرته من صـاحب السلعة إضـافة إلى أنه كـان في بعض الأحيـان يبيع السلعة بأكثر من السعر المتفق عليه

.وقد سئل أبو إسحـاق التونسي (*)عن رجل يعطي سلعة إلى دلال فيقوم الدلال ويصيح عليهـا فيعطي فيهـا ثمنـا ويخـبر صـاحب السلعة بالثمن الذي وصلت إليه ،فيقول بعهـا ، ويخبر الدلال المشتري أنه يريد أكثر من ذلك ويزيد غيره عليه ، فقـال بـأن هذه الزيـادة صـائغة له (1) .

3/ الوكلاء:

الوكيل هو الذي يوكل من قبل صـاحب السلعة للتصرف فيهـا وهنـاك نوعـان من الوكلاء:

1/ وكيل يعين من قبل صـاحب السلعة.

2/ وكيل يعين من قبل التجـار ، وقد سئل الفقيه أبو عمران الفـاسي وأبو بكر عبد الرحمن عن رجل تـاجر سـافر ومـات في السفر ولم يوكل أحدا فقام التجار بتوكيل شخص فبـاع عنه ولم يرض بذلك ورثته ، فأجـاب بأنه من مـات في سفر ولم يكن هنـاك قضـاة ولا عدول ، فمـا فعله صحبة السفر من بيع فهو جـائز (2) .

والوكـالة تكون جـائزة في الأمور التي تصح فيهـا النيـابة كالتجـارة الإجارة وقضـاء الدين وعقود النكـاح ، ولا تجـوز في العبـادات كالطهـارة والصلاة والحج (3) .

ودلالة وجود وكـالة في العهد الزيري بكثرة أن الفقيه السيوري(*) سئل عمن يدفع إلى وكيل قنـاطير يبيعهـا له في توزر بـثمن معين ويشتري بذا الثمن ما ترجى فـائدته ويأخذ ثلث الربح (4) ، كمـا سئل أيضا عمن دفع إلى وكيل حلي من ذهب وفضة يسـافر بـا إلى صقلية ويبيعهـا هنـاك ويجلب بثمنهـا طعـامـا يبيعه في المهدية ويأخذ نصف الربح (5) .

ومن هنـا يمكن أن نستنتج أن الوكيل يقوم بعمل مزدوج فهو يقوم ببيع سلعة موكله ، هذا بالإضـافة إلى شراء سلعة أخرى يبعـث بـا إليه ، أمـا أجر الوكيل فيكون مبنيـا على اتفـاق بين صـاحب السلعة ووكيله فنلاحظ أن الفتوى الأولى كان أجر الوكيل ثلـث الربح، بينمـا أجره في الفتوى الثـانية كـان نصف الربح .

ولا يضمن الوكيل إلا إذا وجد تنـاقض في قوله سئل الفقيه السيوري عمن بعث مع وكيل دنـانير ليشتري بـا متـاع فلمـا رجع الوكيل من سفره ادعى ضيـاعهـا وكـانت إجـابـاته متنـاقضة ، فتـارة يقول كـانت في يده ، وتـارة يقـول كانـت في جرابه فسقطت منه ، فأجاب أن اختلاف قوله يوجب عليه الضمـان (6).

كمـا أنه يجوز شرعـا للموكل أن ينقض بيع وكيله إذا رأى أنه دلس عليه وهذا رأي الفقيه المـازري (1).

(*)أبو إسحـاق التونسي من فقهـاء إفريقية تفقه على يد أبو زيد القيرواني وأبو عمران الفـاسي وكـان مدرسـا في القيروان تـوفي سنة 443 هـ/1051 م ، القـاضي عيـاض : المصدر السـابق ، مج2 ، ج4 ، ص ص 766-769 .

(1) الونشريسي : المعيـار ، ج 5 ، ص 220.

(2) البرزلي : المصدر السابق ، ج3 ، ص91.

(3)المصدر نفسه ، ج3 ، ص468.

(*)السيوري اسمه عبد الخـالق بن عبد الوارث من فقهـاء المذهب المـالكي ويقـال بأنه في آخر حيـاته مـال إلى المذهب الشـافعي ، توفي بالقيروان سنة 460 هـ /1067 م القـاضي عيـاض : المصدر السـابق ، مج2 ، ج4 ، ص ص 770-771 .

(4) الونشريسي : المعيار ،ج8 ، ص206.

(5) المصدر نفسه ،ج8 ، ص 208.

(6)البرزلي : المصدر السابق ،ج3 ، ص 486 ، الونشريسي : المعيار ،ج10 ، ص 328 .

3/ التـاجر الذمي :

هنـاك من السكـان الأصليين لبلاد إفريقية من حافظ على ديانته القديمة اليهودية أو النصرانية وقد تكفل اليهود والنصارى في الدولة الزيرية بعملية نقل السلع وتوزيعهـا ويرجع السبب في ذلك إلى خبرتم في هذا الميدان منذ العهد الفنيقي والرومـاني(2)

أمـا دورهم في التجـارة فيظهر جليـا من السؤال الذي طرح على الفقيه أبي زيد القيرواني عمن يشتري ثوبـ ـا ملبوسـ ـا وفي الأسواق يهود ونصـارى اختلطوا مع المسلمين في لبـاسهم(3).

وكـان اليهود والنصـارى لا يحق لهم التشبه بالمسلين و ذلك بـ ع الرقـاع والزنـار وإن فعل ذلك عوقب بالـضرب والحـبس ويطـاف به في موضع اليهود والنصـارى حتى يكون ذلك تحذيرا وزجرا لهم ، ويكون الضرب موجعـا وبـالغـا والحبس الطويل و إذا عـاد إلى نزعه مرة أخرى (4)

1/ دور اليهود :

من أهم العوامل التي سـاعدت اليهود على امتهـان مهنة التجارة كونم انتشروا في كل أنحـاء العـالم ومنذ القدم ، كمـا أنـم استقروا بالقرب من الموانئ والمراكز التي تمر بـا القوافل التجـارية (5) ، ومن مـا سـاعد اليهود أيضـا ارتبـاطهم مع يهود الـبلاد الإسلامية وغير الإسلامية وهذا مـا كون نظـام عـالمي يسهل عملية انتقـال التـاجر ويسهل عملية التبـادل التجـاري وجعل اليهود ينجحون في التجـارة رغم قلة عددهم وأدى إلى ثراء بعض العـائلات اليهودية ثراء كبيرا (6) ، ومـا ساعدهم أيضـا على مـ ـارسة التجـارة إقدامهم على تدريب الصبية منذ الصغر على التجـارة إذ من الشـائع بين اليهود أن يتركوا أبنـاءهم لدى الوكالات التجـارية الكبرى يتعلمون فيهـا أصول التجـارة (7) .

ويعطينـا ابن خرداذبة مثـالا حيـا عن دور اليهود الرذانية فقـال أنمً يتكلمون العربية والفـ ـارسية والإفرنجيـة والأندلـسية والصقلبيةً ويسـافرون إلى كل أقطار العـالم (8) ، ومـا سـاعدهم على الترحـال استضـافة الحي اليهودي المتواجـد في كـل مدينة تقريبا لأي تـاجر يهودي يقصد هذه المدينة (9) ، فمثلا كـان في قسنطينة حي يهودي مخصص للجـالية اليهودية الـتي تـشتغل

---

(1)الونشريسي : المعيـار ، ج10 ، ص 324 .

(2)رشيد باقة : المرجع السابق.

(3)البرزلي : المصدر السابق ،ج1 ، ص280.

(4) يحي بن عمر : أحكام السوق ، بقلم محمود علي مكي ، فصلة من صحيفة المعهد المصري ، الشركة التونسية للنشر والتوزيـع ، بـلا تاريخ ، ص 128 .

(5) موريس لومبار : المرجع السابق ، ص 310 ، رشيد باقة : المرجع السابق ،ص 101 ، شحـاته محمد ربه : اليهود في بلاد المغـربين الأدنى والأوسط في عهد بني زيري (362 – 555 هـ / 972 – 1160 م) رسـالة مقدمة لنيل شهـ ـادة دكتـورا الفلـسفة في الدراسـات الإفريقية من قسم التـاريخ (تـاريخ إسلامي) تحت إشراف محمد خليفة حسن أحمد و سـوزى أبـ ـاظة ، القـ ـاهرة ، 2003 م ، ص 57 .

(6)شحـاته محمد ربه : المرجع نفسه ، ص 69 .

(7)عبد الرحمن بشير : اليهود في المغرب العربي (22 – 462 هـ / 642 – 1070 م) ، عين للدراسـات والبحـوث الإنـسـانية والاجتمـاعية ، ط1 ، 2001 ، ص99 .

(8) ابن خرداذبة : المصدر السابق ، ص 154 .

(9)رشيد باقة : المرجع السابق ، ص 100 .

بالتجـارة والمسـائل الصيرفية ، وكـانت لهم علاقـات حسنة مع السكـان والدليل على ذلك ممـارستهم لكل شعـ ـائرهم الدينيـة بكل حرية ، أضف إلى ذلك امتلاكهم لمحلات تجـارية كثيرة كانوا يقومون بكرائها للمسلمين ، ومخـازن لتخزين المحاصـيل يؤجرونـا للفلاحين والمزارعين (1) .

كمـا كـانت لهم أسواق معروفة بم في تونس واسمهـا" سوق اليهود" (2) ، أمـا الأعمـال التجـارية الكبرى التي كـان يقوم بـها اليهود فإضـافة إلى مـا تحدث عنه ابن خرداذبة من أنم يجلبون العبيد من الغلمـان والجواري ، والديبـاج وجلود الخـز والعـود والكـافور (3)، فإنم سيطروا في المهدية على تجـارة الحرير والكتـان ، كمـا سيطروا أيضا على المراكز التجـارية المتواجدة على ضفـاف البحر المتوسط من مصر إلى الأندلس (4) فسيطروا بذلك على الحرير الخام والمصنع ، كما سيطروا على تجـارة الأقمشة المصبوغة والسجـاد وتجـارة الأعشـاب الطبية (5) .

والفقهـاء يحثون ولاة الأمر على منع أهل الذمة من عمل الخبز وبيع الزيت والخل وغيرهـا من الـبائعـات (6) ، وحتى بيع اللحم ففي إحدى الفتـاوى التي عرضت على الفقيه السيوري حول يهود يذبحون الغنم لأنفسهم ثم يبيعون ذلك ولا يبينون ، فأجـاب إذا وقـع في ذبـائحهم ما يستحلونه فيبيعونه للمسلمين ولا يبينون ، فأنم يمنعون من البيع في الأسواق التي يشتري منهـا المسلمون (7) .

ومـا يمكن أن نستخلصه من هذه الفتـاوى أن هنـاك أمورا لا يمكن أن يتعامل فيهـا مع اليهود ومنهـا شراء اللحـم منـهم ، ويمكن أن نستنتج من هذه الفتوى أن هناك أسواق خـاصة باليهود .

ومن الأنشطة التجـارية التي مـارسهـا اليهود تجـارة الرقيق فقد كـانوا يجلبون الزنوج والصقـالبة من أوربـ ـا إلى أسـواق القيروان والمهدية وتونس كمـا قـام اليهود باسترقـاق مسيحيين من أوربـا المسيحية وأيد هذا العمل رجـال الدين اليهود مثل موسى بن ميمون الذي سمح باختطـاف غير اليهود واسترقـاقهم (8) ،ونتيجة لهذا فقد عجت قصور الأمراء الزيريين بالخصيـان و الجواري من بلاد السودان والصقـالبة (9)

كمـا اتجر اليهود بالعملة و قـاموا بتقديم قروض مقـابل فوائد كبيرة و هذه الفوائد محرمة في الديـانتين السمـاويتين الإسـلام و المسيحية و لهذا أطلق لفظ مرابي في أوروبـا و العـالم الإسلامي على التـاجر اليهودي الذي يتـاجر بالعملة (10) .

---

(1)عبد العزيز فيلالي : مدينة قسنطينة في العصر الوسيط (دراسة سياسية ، عمرانية ، ثقافيـة) دار البعـث ، قـسنطينة ، 2002 ، ص49.

(2) حسن حسني عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية ، مكتبة المنار ، تونس ، 1972 ، القسم الأول ، حاشـية ص298 .

(3) ابن خرداذبة : المصدر السابق ، ص 154 .

(4) أوليفيا ريمي كونستبل : المرجع السابق ، ص 78 .

(5) جوايتـاين : المرجع السابق ، ص 168 .

(6)كمال السيد أبو مصطفى : جوانب من حضارة المغرب الإسلامي ، ص 71 .

(7) البرزلي : المصدر السابق ، ج1 ، ص 633 .

(8)محمد شحـاته ريه : المرجع السـابق ، ص ص 80-81 .

(9)عبد الرحمن بشير : المرجع السـابق ، ص 102 .

(10) رشيد باقة :المرجع السابق ، ص101 .

كمـا سيطر اليهود على الصيرفة فقد سئل الإمام المـازري(*) عن الحوالة على الصيـارفة و بـا عقود ربوية (1)، ومـن هـذا السؤال نفهم أن اليهود سيطروا على الصيرفة لأنه و كمـا سبقت الإشـارة فإن التعـامل الربوي في الإسلام و المسيحية محرم .
كمـا كـان التجـار من عطـارين و بزازين و زيـاتين يدفعون غلاتم من دراهم إلى الصيـارفة و يكتبونـا دنـانير ،و يحيلون من يشترون منهم من التجـار عليهم بالدنـانير فيخـاف من لم يعقل منهم الحوالة ضيـاع حقه لأن أكثر هؤلاء فقراء و يخـافون إن لم يأخذوا ضيـاع حقوقهم عند الآخرين و ربمـا فلس أحدهمً ونحن نفهم أن أكثر الصيـارفة يتعـاملون بالربـا و هم من اليهودً (2) .

وهنـاك أنواع من التجـارات اتجر فيهـا اليهود و التجـار المسلمون جنبا إلى جنب و خـاصة تجـارة الكـارم(*)،وتـصل في بعض الأحيـان إلى الاشتراك بينهمـا وتفيد إحدى رسـائل الجنيزة أن تـاجرا يهوديـا من المغرب كـان يعمـل في الكـارم و هـاجر إلى سيلان واستقر بـا و هذا في سنة 535هـ/1140م،كمـا تحدثت رسالة أخرى عن تجـار عدن في القرن السادس الهجري الثـاني عشر ميلادي ،وقالت إن غـالبيتهم من التجـار اليهود الذين جـاءوا إليهـا من المغرب (2).
وورد في وثـائق الجنيزة أن تـاجرا يهوديـا يحمل لقب اللبدي نسبة إلى لبدة بطرابلس كـان بالقـاهرة ، وقبل سفره إلى الهنـد تحول إلى المهدية وهناك سلم له الديـان (القـاضي بمحكمة الأحبـار) المدعو ابن اللبران كمية من المرجـان واشترى هـو كميـة لنفسه ، وبرجوعه إلى القـاهرة تسلم سلع عهدهـا إليه وكيل وهي عبـارة عن كتـان روسي وأواني فضية ونحـاسية وأدويـة ومرجـان مع كيس فيه عشرون دينـار من النقود الذهبية حديثة العهد بالمغرب وأمر الوكيل بتسليم نصف تلك السلع إلى وكيل عدن يشتري مقـابلها بـار مـالابـار ويوجه النصف الباقي إلى مدينة أنبلورة التي تقع شمـال بومبـاي لتبديله بالزئبق فقام اللبـدي ببعض الصفقـات المتصلة بالنسيج والمخدرات ونقل معه كمية من المرجـان ، لكن عوض بيع مرجان وكيل القاهرة وشراء الزئبـق بثمنهـا أبدله بالحرز (اللؤلؤ) ووجه البهار والفلاذ إلى وكيل عدن وبعودته إلى القـاهرة لامـه وكيلـه والديـان لمخـالفته تعـاليمهمـا وأدى ذلك إلى طرح القضية على المحـاكم اليهودية دامت سنتين (491-462هـ /1097-1098م) وعقـدت الجلسـات في عدن والمهدية والهند وانتهت المحـاكمة بتسوية سليمة ودفع تعويض إلى الديـان قيمته ثلاثة أكيـاس من المسك عوضا عن مرجـانه الذي كـان من النوع الرديء (4).
ومن التجـار اليهود إبراهيم بن بيجو وهو من المهدية سـافر إلى الهند وأقـام بـا مـا بين (527-534هـ ـ/1132-1139م) وكـان يملك مصنعـا للنحـاس الأصفر في الهند وكثيرا مـا ذكر اسمه في وثـائق الجنيزة ، ومن التجـار اليهود عروس بن يوسف وهو من المهدية أيضـا وكـان يملك مصبغة في الفسطـاط وله نشـاط تجـاري كبير في البحر المتوسط وفي تجـارة الهند (5) .

(*)المـازري : إمـام المذهب المـالكي في المهدية من مؤلفـاته كتـاب إيضـاح المحصول من برهـان الأصـول وكتـاب المعلـم بكتـاب مسلم ، وتوفي سنة 536هـ / 1141 م ، إدريس : المرجع السـابق ، ج2 ، ص ص 345-347 .
(1) البرزلي :المصدر السابق ، ج3 ، ص316
(2) البرزلي :المصدر نفسه،ج4 ، ص528 .
(*)الكارم :أختلف في أصل تسمية الكارم فهناك من ينسبها إلى كانم في بلاد السودان (القلقشندي)و يفترض أن الاسم أخذ عن متاجرهم نفسها ،لمزيد من المعلومات حول الكارم ارجع إلى مقال صبحي لبيب :التجارة الكارمية و تجارة مصر في العصور الوسطى ، المجلة التاريخيـة المصرية ، ماي1951 ، المجلد4 ، العدد 2 ، ص05-53.
(3) عطية القوصي : أضواء جديدة على تجـارة الكـارم من وثـائق الجنيزة ، مقـال منشور في المجلة التـاريخية المـصرية ، مطبعـة الجبلاوي ، 1975 ، المجلد 2 ، ص 23 .
(4) هادي إدريس : المرجع السابق ، ج2 ، ص 289 .
(5)جوايتـاين : المرجع السابق ، ص ص 260-261 .

ومن اليهود الذين تـاجروا في بلدان المغرب الثلاث نجد هلفون بن نـاتـانئيل الذي زار بلدان المغرب عـام 523هـ ـ/1128م وعـاد إليهـا مرة أخرى بين 533-534هـ/1138-1139م(1).

2/ دور النصـارى :

إذا أردنـا أن نتحدث عن دور النصـارى التجـاري في إفريقية في العهد الزيري فإن المعلومـات حول ذلك نـادرة جـدا عـدا بعض الإشارات العـابرة .

فقد تكلم هوبكـ عن نصـارى كـانوا يشتغلون بالتجـارة وكـانت لهم مكـانة عـالية لدى والي تونس في هذه الفترة عبد الحق بن عبد العزيز بن خرسان

(451هـ/1059م) (2).

وكـان المسيحيون يقطنون في بيوت خـاصة تسمى بالفندق وكانوا يمتهنون التجـارة والشيء الملاحظ أنهم ليسوا من الـسكـان الأصليين ولكنهم أجـانب وخـاصة من الفرنسيين والإيطـاليين وكـانت تطول مدة إقـامتهم ويسافرون إلى بلادانم بمجرد نفـ ـاد سلعهم (3).

ومـا يمكن ملاحظته على دور أهل الذمة في التجـارة أن السيطرة كـانت لليهود والسبب وربمـا يرجع إلى كون اليهود شـعب امتهن التجارة منذ القدم وبقي محـافظـا على هذه المهنة أضف إلى ذلك كون ربمـا مـا كتب حول تجـارة اليهود ودورهم فيهـا بقي محفوظـا مقـارنة بمـا كتب حول تجـارة النصـارى خـاصة إذا سلطنـا الضوء هنـا على وثـائق الجنيزة والتي أمدتنـ ـا بمـ ـادة كبيرة حول دور اليهود التجـاري في البحر المتوسط .

كمـا يمكن أن نلاحظ أيضـا من خلال العرض السـابق التسـامح الديني الكبير المتواجد في إفريقية الزيرية مـع أهـل الذمـة ، وكـان هذا امتدادا للتسـامح الديني الذي سبق العهد الزيري وخاصة في الفترة الفاطمية .

الفصل الثـالث : التجـارة الداخلية

تتحكم في التجـارة الداخلية مجموعة من العوامل هي :

1/الطرق التجـارية :

---

(1) أوليفيا ريمي كونستبل : المرجع السابق ، ص 155 .

(2) هوبكـ : النظم الإسلامية في المغرب في العصور الوسطى ، تر أمين توفيق الطيبي ، الدار العربية للكتاب ، ليبـا ، تـونس ، 1980 ، ص132 .

(3) عبد العزيز فيلالي : المصدر السابق ، ص 50 .

تعتبر الطرق التجـارية العصب الرئيسي المحرك للتجـارة وبـا يمكن أن تزدهر أو تتقهقر (1)، و قد تنـاولهـا الجغرافيون وبينوا مراحلهـا ومسـافـاتـا ومـا بـا من مخـاطر ومـا تتوفر عليه من تسهيلات (2) ،فهنـاك طريق يتجه من القيروان إلى قفصة على ثلاث مراحل ومنهـا إلى قسطيلية على سبعة مراحل (3) ، وطريق آخر من بـاغـاية إلى قسطيلية إلى مدينة الحمة إلى تيقوس إلى قفصة ، ومنهـا ينطلق طريق آخر إلى قـاصرة إلى نقـاوس إلى جمنوس ، وطريق آخر من قفصة إلى سفـاقس وهو على ثلاثـة أيـ ـام (4) ، وهنـاك طريق من قـابس إلى فقصة على ثلاث مراحل ومن قفصة إلى توزر على أربع مراحل ومن توزر إلى بسكرة على أربعة مراحـل . (5)

وهنـاك طريق من قـابس إلى قصر عيشون إلى قصر زجونة إلى قصر بني مأمون إلى أمرود إلى قصر الجرف إلى جزيرة جربة (6) .

ويوجد طريق من سفـاقس إلى قـابس نزولا بالجرف على مسـافة سبعين ميلا ، وطريق آخر يربط سفـاقس برقـ ـادة القـيروان ومنهـا إلى المهدية وبين المهدية وسفـاقس مرحلتـان (7) .

وهنـاك طريق آخر من سفـاقس إلى طرف الرملة ومنهـا في اتجـاه الجنوب إلى قصر الـوس ومنه إلى قصر بنقة إلى قصر تنيـذة إلى قصور الروم إلى قـابس (8) .

وهنـاك طريق آخر من سفـاقس إلى لجم إلى المهدية (9) .

وطريق يربط تونس ببـاجة ومنهـا إلى طبرقة ومنهـا إلى بـ رت (10) ، وطريق آخر من سوسة إلى قصر شقـاس إلى قصر ابن الجعد ومنه إلى قصور المنستير (11) .

---

(1) الحبيب الجنحاني : الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلماسة عاصمة بني مدرار ، مقـال منشور في كتاب بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية المنعقد بين (16 إلى 20 أكتوبر1976) بمناسبة ذكرى الدكتور احمد فكرى ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1998 ، ص 152 .

(2) إبراهيم حركـات : النشـاط الاقتصـادي الإسلامي في العصر الوسيط ، إفريقيـا الشرق ، 1996 ، ص 193 .

(3) المقدسي : أحسن لتقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة مدبولي ، القاهرة ، 1311 ، 1991 ، ص 239 ، ص 246 .

(4) الإدريسي : المصدر السـابق ، ص 246 .

(5)عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تح محمد السعيد عربان ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، 1963 ، ص 440 .

(6) الإدريسي : المصدر السـابق ، ص206 .

(7) المصدر نفسه ، ص 182 .

(8) الإدريسي : المصدر السـابق ، ص 205 .

(9) البكري : المصدر السـابق ، ص ص 20-21 .

(10) الإدريسي : المصدر السـابق ، ص 190 .

(11) المصدر نفسه ، ص 203 .

وينطلق طريق سـاحلي من بونة إلى الطرف إلى جون الأزقـاق إلى مرسى الخرز إلى طبرقة إلى طرف الجون إلى طرف المنشـار إلى قلعة أبي خليفة إلى رأس الطرف إلى بـ رت إلى مرسى بني وجـاص إلى قصر مرسى الوادي إلى قصر ترشة إلى قصر صونين إلى نـر مجردة إلى قصر جردان إلى قرطـاجنة حلق وادي تونس إلى طرف أفران إلى قصر النخلة إلى قصر ميزنت (1) .

وهنـاك طرق تجـارية تربط القيروان بالمدن الزيرية الأخرى .فهنـاك طريق من القيروان إلى الأربس ومنهـا إلى بـاجة (2) .

وهنـاك طريق من القيروان إلى منستير عثمـان (*)على ستة مراحل ومنهـا إلى بـاجة على ثلاثة مراحل ومنهـ ـا إلى درنـة ومنهـا إلى طبرقة (3) .

وهنـاك طريق من القيروان إلى طرفي إلى سفـاقس (4) ، وهنـاك طريق من

القيروان إلى منستير عثمـان إلى فندق شكل إلى تونس (5) ، وطريق من القيروان إلى الدواميس إلى مـ ل بـاشوا إلى تونس (6) .

وهنـاك طريق آخر من القيروان إلى جلولا إلى آجر(*) ومنهـا إلى الفهمين إلى جزيرة أبي حمـامة ومنهـا إلى مدينة بونة (7) .

وطريق آخر من القيروان إلى مجـانة إلى تيجس (**) إلى قسنطينة إلى ميلة إلى مرسى الزيتونة (وهو جبل جيجل) (8) .

وهنـاك طريق من القيروان إلى الكبس إلى كتـانة إلى الزيتونة إلى قـابس إلى الفوارة إلى بـ ـارجمت إلى قـصر الـدرق إلى بئـر الجمـالين إلى طرابلس وبين المدينة والأخرى مرحلة واحدة (9) .

---

(1) نفسه ، ص ص 200-201 .

(2) نفسه ، ص 192 .

(*)منستير عثمـان قرية كبيرة تقع على بعد ستة مراحل من القيروان وثلاثة مراحل من بـاجة والربيع بن سليمـان هو من اختطهـ ـا عند دخوله إلى إفريقية ، البكري : المصدر السـابق ، ص 56 .

(3)المصدر نفسه ، ص57 .

(4)البكري : المصدر نفسه ، ص 20 .

(5) نفسه ، ص 37 .

(6) نفسه ، ص 45 .

(*) جلولا هي مدينة عليها سور وهي على مرحلة خفيفة من القيروان ، وآجر قرية غلاتا القمح والشعير وهي على مرحلة خفيفـة مـن جلولا ، ابن حوقل : المصدر السـابق ، ص 86 .

(7)البكري : المصدر السابق ، ص 54 .

(**)تيجس مدينة على بعد ثلاثة مراحل من مدينة بونة ، وعلى بعد خمسة مراحل من مسيلة ، الإدريسي : المصدر السـابق ، ص 193 .

(8) البكري : المصدر السـابق ، ص ص 63-64 .

(6) المقدسي : المصدر السـابق ، ص 246 .

(7)البكري : المصدر السـابق ، ص ص 19-20 .

(***)جمنوس الصـابون هي قرية كبيرة تقع في سند الجبل وبـا رمل كثير .

وطريق من القيروان إلى قصر ربـاح ومنهـا إلى طرفى إلى سفـاقس ومنهـا إلى غـافق ثم إلى تـاورفى ومنهـا إلى عين الزيتونـة ومنهـا إلى قـابس ومنهـا إلى جزيرة جربة (1) .وهنـاك طريق آخر من القيروان إلى بني دعـ ـام إلى قريـة مجـدول إلى جمنـوس الصـابون (***)إلى مذكود ومنهـا إلى كورة قمونية إلى الهروية إلى فج الحمـار ومنها
إلى قفصة إلى توزر إلى نفطة ومنها إلى قيطون بيـاضة (1) .

وكـان التجـار يستعملون في النقل التجـاري البري الدواب وهذا مـا نستنتجه من السؤال الذي طرح على الفقيه المـ ـازري و ابن أبي زيد القيرواني حول من اكترى دابة
للسفر عليها (2) .

كمـا أن المقدسي يذكر لنـا أن التجـار المغـاربة كـانوا يستعملون في تنقلاتم التجـارية الأحمرة المصرية والبغـال (5) .

كمـا كـان يستعمل الجمل لخصـائصه وقدرته على التحمل وقد استعمل الحصان لسرعته في التنقل لكنه لا يستطيع تحمل مشـاق الصحراء (6) .

هذا بالنسبة للطرق التجـارية البرية الداخلية ووسـائل النقل فيهـا ، أمـا بالنسبة للنقل النهري فهنـاك إشـارتـان إلى وجـوده داخل الدولة الزيرية الأولى تحدث عنهـا البكري وقـال أنه كـان في " قسنطينة ثلاثة أنـار تجري فيها السفن" (7) ، ويحتمل أن تكون هذه السفن سفنـا تجـارية .

أمـا الإشـارة الثـانية فتحدث عنهـا ابن سعيد المغربي أثنـاء حديثه عن مدينة قابس حيث قـال" وبـها نران تدخل فيهمـ ـا السفن والمراكب المتوسطة" (8) وربمـا كـانت هذه السفن سفن تجـارية أيضـا ، هذا بالنسبة للطرق التجـارية ووسائل النقل .

2/الأسواق :

---

(1) البكري : المصدر السابق ، ص ص 74-75 .
(2) الونشريسي : المعيـار ، ج8 ، ص 284 .
(3) المقدسي :المصدر السـابق ، ص 239 .
(4) جودت : المرجع السابق ، ص214 .
(5) البكري : المصدر السابق ، ص 63 .
(6)ابن سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا ، تح إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط 2 ، الجزائر ، 1982 ، ص144 .

يعود الفضل في تنظيم الأسواق في إفريقية إلى الوالي يزيد بن حـاتم (155-171هـ/771-787م) فهو من قـام بجعل كـل سوق مخصص ببضـاعة معينة وتسمى هذه الأسواق بأسمـاء تخصصهـا التجـاري (1) .

وهنـاك أسواق كـانت تنسب إلى أسمـاء أشخـاص أو إلى فئـات اجتمـاعية مثل سوق إسمـاعيل تـاجر الله (*) وسـوق اليهود (2).

وكـانت الأسواق تقـام في التجمعـات السكـانية حيث يقوم الناس بإعداد مكـان للتبـادل التجـاري ولهذا فقد كـان لكل قبيلة أو مجموعة قبـائل متجاورة سوق محلية ، وكـانت هذه الأسواق في غـالب الأحيـان تتركز في منطقة يوجد بها المـاء أو تكـون على الطرق الرئيسية التي تربط بين المدن (3) .

وقد اعتنت الدولة الفاطمية بتنظيم الأسواق ويظهر هذا الاعتنـاء في إقدامهـا على إنشـاء حي القـاسمية التجـاري ونقـل التجـار إليه ، ثم ببنـاء أسواق في المهدية و بترتيب أصنـاف التجـار بـها ، كمـا أقدم الفـاطميون على بنـاء أسـواق في المنصورية ونقل تجـار القيروان إليهـا وقد حـافظت الدولة الزيرية على هذا التنظيم (4) ، وهكذا كـان كل سـوق مخـتص بسلعة معينة .

ويظهر تنظيم الأسواق أيضـا في إخراج الأسواق التي فيهـا أصوات مزعجة وروائح كريهة وأوسـاخ وقـاذورات مثـل سـوق الحدادين والدبـاغين و أسواق الحيوانـات (5) .

ومـا يدل على هذا التجـانس هو التفريق بين الحرف التي يخشى عليهـا من بعضهـا البعض فمثلا إلى جـانب سوق الأكـسية والثيـاب توجد أسواق الفرائين وإلى جـانبهـا سوق الكتـان ويجب إبعـاد أسواق الخبـازين والطبـاخين والحدادين عـن أسـواق البزازين والطرازين وذلك لتجنب حصول الأضرار كالحريق ، كما أن أسواق السمك يجب أن يكون بمعزل عن الطريق (6) وهذا التنظـيم نجده متشـابها في كل أسواق إفريقية مثل القيروان وسوسة وتونس وسفاقس و لهذه الأسواق أسماء متشابهة (7) .

وتصنف الأسواق في غالب الأحيان إلى أربعة أصناف :

1/ الأسواق العسكرية :

---

(1)ابن عذارى : المصدر السابق ، ج1 ، ص 78 ، بوبة مجاني : أثر القبائل اليمانية ، ص 175 .

(*)إسماعيل بن عبيد الله الأنصاري : من التابعين توفي بالقيروان سنة 107هـ/ 725م وكانت هذه السوق تسمى باسمه لأنه هو مـن أحدثها سنة 71هـ/690م أنظر أبو العرب : طبقات علماء إفريقية دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، بلا تاريخ، منشور مع كتاب علمـاء إفريقية للحارث بن أسد الخشني وكتاب طبقات علماء تونس لأبي العرب .

(2) الحبيب الجنحاني : المغرب الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية (3هـ - 4هـ) (9م-10م) الدار التونسية للنشر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، تونس ، الجزائر ، بلا تاريخ ،ص 67

(3)جودت : المرجع السابق ، ص 134 .

(4)الحبيب الجنحاني : دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي ، ص 83 .

(5) جودت : المرجع السابق ، ص 144 .

(6)عبد العال عبد المنعم الشامي : جغرافية المدن عند العرب ، مقال منشور في مجلة عالم الفكر ، تصدر عن وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت ، المجلد 9 ، العدد1 ، 1971 ، ص 155 .

(7) موسى لقبال : الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي (نشأتها وتطورها) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط1، الجزائـر ، 1971 ، ص40 .

وهي الأسواق التي تتنقل مع الجيوش الغـازية وهي تتبع سيرهـا وتحط رحـالها أمـام معسكراتـا (1) ، ولم تحدثنـا المـصـادر التي بين أيدينـا عن الأسواق العسكرية ربمـا لأنـها لم تكن مشهورة في هذه الفترة .

2/ الأسواق الأسبوعية :

يفهم من اسمهـا أنـا كـانت تعقد في أيام معينة من الأسبوع ، ومن الأسواق الأسبوعية المعروفة في المهدية سـوق الأحـد (2) الذي سمي بذا الاسم لأنه ربمـا ينعقد في هذا اليوم .

وكـان في مدينة غـافق سوق ينعقد يوم الجمعة وهذا مـا نستخلصه من اسمه سوق الجمعة (3) ، وكـان في القيروان سوق ينعقد يوم الخميس وهو مـا يفهم من البـاب الذي ينسب إليه" بـاب سوق الخميس" (4) ، وفيهـا أيضـا سوق آخر ينعقد يوم الأحد وهو أيضـا يفهم من الدرب الذي نسب إليه " درب سوق الأحد" (5) ،وربمـا يكون هذان السوقان هما اللذان تحدث عنهما آدم ميتز حين قال أن في القيروان السوق يومي الأحد والخميس (6).

3/ الأسواق الموسمية :

وهذه الأسواق تنعقد في مواسم معينة وربمـا تكون أسواق مرسى الخرز التي تحدث عنهـا المقدسـي وتنعقـد في مواسـم صـيد المرجـان حيث قال" وأسواق للمرجـان قرب مناطق صيده" (7)، كمـا تحدث ابن حوقل عن أسواق تنعقد في كل شـهر وفي أيـام معروفة في مدينة مـل بـاشوا (*)(8)

4/ الأسواق اليومية :

وهي الأسواق التي كـانت موجودة في كل المدن المغربية بصفة دائمة ويومية وقد ورد ذكر هذه الأسواق في كتب الجغرافيـا بكثرة ، كمـا وصفوهـا بصفـات عديدة .

فمثلا كـانت الأسواق توصف بأنـا حسنة ، فالمقدسي حين يذكر مدينة صبرة يقول هي" شديدة العمـارة حسنة الأسواق" (9) ، أمـا ابن حوقل فقـال عن سوسة " ولهـا أسواق حسنة" (1) ، وهو وصف مطـابق لوصفه لمدينة بونة فهي أيضـا" لهـا أسـواق حسنة وتجـارة مقصودة وأربـاح متوسطة" (2) ، وهو نفس التعبير الذي استعمله الإدريسي أثنـاء حديثه عنهـا (3) .

---

(1)إبراهيم القادري بوتشيش : إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي ، دار الطليعة ، ط1 ، بـيروت ، 2002 ، ص 98 .

(2) التجاني : رحلة التجاني ، تقديم حسن حسني عبد الوهاب ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، 1981 ، ص325.

(3) المقدسي : المصدر السابق ، ص 224 .

(4)المقديسي : المصدر نفسه ، ص 225 .

(5) المقديسي : المصدر نفسه ، ص226 .

(6) آدم ميتز : المرجع السابق ، ص380 .

(7) المقديسي : المصدر السابق ، ص 239 .

(*)مـل باشوا تقع في جزيرة تسمى بذا الاسم وهي بين تونس والحمامات . الإدريسي : المصدر السابق ، ص 194

(8) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 75 .

(9) المقدسي : المصدر السـابق ، ص 226 .

كمـا استعملوا كلمة أسواق عـامرة ، فقد كـانت في سفـاقس ً أسواق عـامرة ً (4) ، وكـانت أسواق مدينـة مـ ل بـاشوا ً عـامرة ً أيضـا (5) ، ووصفت أسواق مرسى الخرز بالأسواق العـامرة (6) ، وهو مـا عرفت به أسواق بونة (7) ، كمـا كـانت في قسطيلية ً أسواق عـامرة ومتـاجر كثيرة وصنـاعـات قـائمة ً (8) .

كمـا استعملوا كلمة أسواق كثيرة وهذا مـا يدل على الكثرة والتنوع ربمـا ، لأن الأسواق الموجودة في المدن الأخرى ربمـا تكون مختصة ، فقد كـانت في مدينة سوسة ً أسواق كثيرة وهي مخصوصة بكثرة الأمتعة والثمر ً (9) ، وهنـا يمكن أن نقول أن هذه الأسواق الكثيرة الموجودة في سوسة كـانت بـا تجـارات متعددة لكن تكثر بـا الأمتعة والثمـار وربمـا يرجع السبب هنـا إلى كون سوسة مدينة مختصة في صنـاعة الثيـاب وإليهـا تنسب الثيـاب السوسية المشهورة .

ومن المدن التي تكثر بـا الأسواق مدينة تونس (10) ، كمـا كـانت في تونس أسواق كثيرة أيضـا (11) .

وهنـاك أوصـاف أخرى للأسواق غير التي ذكرنـا فقد كـانت في طرابلس أسواق صـالحة كبيرة وقد نقل بعضهـا إلى داخـل أسوار المدينة (12) ، وقـال عنهـ ـا الإدريسي أنـا مدينة ً حسنة الشوارع متقنة الأسواق ً (13) .

وجـاءت كلمة سوق أو أسواق في بعض الأحيـان مجردة من أي وصف وهو مـا نلاحظه على وصف ابـن حوقـل لأسـواق بـاغـاي حين قـال وفي ً بـاغـاي ربض فيه الأسواق والأسواق في القديم كـانت في المدينة فنقلت إلية ً (14) ، كمـا كـانت في ربض قـابس أسواق (15) ، أمـا البكري فقد تكلم عن الأسواق من دون وصف أثنـاء حديثه تمـاجر وقـال عنهـ ـا ً وفي مدينـة

---

(1) ابن حوقل : المصدر السـابق ، ص 74 .

(2) ابن حوقل : المصدر نفسه ، ص 77 .

(3) الإدريسي : المصدر السـابق ، 192 .

(4) ابن حوقل : المصدر السـابق ، ص 73 .

(5) البكري : المصدر السـابق ، ص 45 .

(6) المصدر نفسه ، ص 55 .

(7) الإدريسي : المصدر السـابق ، ص 203 .

(8) المصدر نفسه ، ص 178 .

(9) البكري : المصدر السـابق ، ص 34 .

(10) المصدر نفسه ، ص 40 .

(11) نفسه ، ص 48 .

(12) ابن حوقل : المصدر السـابق ، ص 71 .

(13) الإدريسي : المصدر السـابق ، ص 198 .

(14) ابن حوقل : المصدر السـابق ، ص 84 .

(15) المصدر نفسه ، ص 72 .

تمـاجر أسواقً (1) ، كمـا كـانت فيً زويلة ربض المهدية أسواقً (2) ، و مدينة رقـادة بـاً قصور عجيبة عمـرت بالأسـواق والحمـامـات والفنـادقً (3) ، وفي مدينة بـ رت أسواق وحمـامـات (4) ، وفي مدينة المنستير جـامع وأسواق وحمـامـات (5) ، كمـا كـانت أيضـا في مذكود وبـاديس أسواق وحمـامـات (6) .

وكـان في مدينة سبيبةً مجمع سوقً (7) ، ويمكن هنـا أن نقول أن في هذا السوق كـانت تبـاع مختلف السلع وهذا مـا دفـع بالبكري إلى تسميته بمجمع سوق .

والإدريسي عن قسنطينة بأنـاً مدينة عـامرة وبـا أسواق وتجـارة وأهلهـا ميـاسير ذوو أموالً (8) .

وكـانت في ربض بـاغـاي أسواق (9).

وهنـاك من يذكر الأسواق ذكر غير مبـاشر وإنمـا يفهم من سيـاق الكلام فالبكري أثنـاء حديثه عن مدينة طبرقة يقول هـيً مدينة عـامرة لورود التجـار فيهـا

وبـا نر كبير تدخل السفن الكبـار وتخرج في بحر طبرقةً (10) ، وكلمت سوق هنـا غير مذكورة لكن تفهم من قوله ورود التجـار فيهـا فمكـان تجمع التجـار ومكـان تواجدهم هو السوق .

ومـا يمكن أن نقوله عن الأسواق اليومية أن وصف كتب الجغرافيـا جـاء متشـابـا في كثير من الأحيـان وهي موجـودة في كل المدن والقرى وهذا إن دل على شيء فإنمـا يدل على المكـانة الكبيرة للتجـارة من جهة وعلى كثرة الأسواق من جهة أخرى .

وإلى جـانب تنظيم الأسواق على حسب الزمـان هنـاك تنظيم على حسب نوعية السلع والحرف فقد خصص لكل سلعة مكـان معين من السوق ، وتظهر دقة التنظيم في تخصيص فنـادق لتجـار كل سلعة فهنـاك أسمـاء وفنادق منسوبة إلى البضـاعة مثل فنـدق الزيت وفندق السكر (11) .

ومن الأسواق التي عرفت بسلعهـا نجد سوق الغزل بسوسة والذي من صفـاته أنه يكون مكتظـا بين صـلاتي الظهـر والعـصر (12)، كمـا كـان في صبرة سوق معروف باسم سوق ابن هشام وهو مخصص لبيع الحنطة والبقل والزيت (13).

---

(1) البكري : المصدر السـابق ، ص 29

(2) المصدر نفسه ، ص 30 .

(3) نفسه ، ص 27 .

(4) نفسه ، ص 58 .

(5) نفسه ، ص ص 55-56 .

(6) نفسه ، ص ص 74-75 .

(7) نفسه ، ص 49 .

(8) الإدريسي : المصدر السـابق : ص 166 .

(9) المصدر نفسه ، ص 177 .

(10) البكري : المصدر السـابق ، ص 57 .

(11) القادري بوتشيش : إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي ، ص 120 .

(12) الونشريسي : المعيار ، ج10 ، ص242 .

(13) الدباغ : المصدر السابق ، ج3 ، ص162 .

ومن الأسواق المعروفة في قفصة سوق البقل (1)، كمـا كان في تونس سوق مخصص للصيـاغة (2) ، وكـان في المهديـة سـوق للرقيق مختص بالجواري الروميات اللواتي جلبن من بلاد الفرنجة والجواري القـادمـات من بلاد الصقالبة ، و مـالك إسـبانيا المـسيحية والجواري الزنجيـات اللواتي جلبن من بلاد السودان (3).

وكـان في القيروان سوق للبزازين وهم صـانعوا الحرير وبـائعوه وهنـاك سوق للدبـاغين (4).

ومن هنـا نرى أن الأسواق في إفريقية كـانت تختص بنوع معين من السلع فهناك سوق للزيت وسوق للرقيق وسوق للغزل وسوق للخضر وسوق للحم وسوق للعطارين والوراقين والسراجين والبزازين والدبـاغين وغيرهـا من الأسواق .

وتعتبر أسواق القيروان من أكبر أسواق الدولة الزيرية وهي ذات نشـاط مستمر وكـان غلاء الأسعـار بـا و انخفـاضهـا يؤثر في الأسواق الـ ـاورة (5).

وكـان معد بن إسمـاعيل المعز لدين الله (319-365هـ/931-975م) قد أمر بنقل الأسواق إلى صبرة وكـان طولهـا قبـل نقلهـا من بـاب أبي الربيع إلى الـجامع ميلين إلا ثلث ، ومن الجـامع إلى بـاب تونس ثلث ميل ، وكـانت فيه جميـع المتـ ـاجر والصنـاعـات (6) ،وتعتبر القيروان سوقـا كبيرة لخيرات إفريقية ،ومكـانـا لبيع المنتجـات الفلاحية والصنـاعية (7)

وكـانت تدخل أسواق القيروان وتغـادره القوافل التجـارية محملة بأنواع البضـائع والتي يبلغ عدد دوابـا وإبلهـا الألف وأكثر (8)،ومن هنـا يمكن أن نصل إلى نتيجة مهمة جدا وهي أن القيروان تعتبر أكبر سوق داخلي في الدولة الزيرية ،كمـا تعتبر الممول الرئيسي للأسواق الأخرى وإليهـا تصل السلع من كل منـاطق الدولة الزيرية .

وتعتبر أسواق المهدية ثاني أكبر أسواق الدولة الزيرية ، ويرجع الفضل في ترتيبها إلى المهدي الفاطمي (260هـ -322هـ/873م-934م) الذي قام بتعمير الدكاكين وترتيب الأسواق على حسب مهن كل طـائفة (9)، كمـا أن المهدية عرفت نظـامـا مميزا فنجـد أن المهدية اتخذت إلى جوارهـا ربضً زويلةً وكـانت مسكنـا للرعية في حين كـانت المهدية مسكن للخليفة والجند كمـا كـانت با الأسواق والدكـاكين (10)، ومـا قلنـاه عن القيروان يمكن أن نقوله عن المهدية و بالإضافة إلى ذلك موقع مدينة المهديـة على السـاحل أهلهـا إلى أن تكون المدينة الزيرية الرائدة في التجـارة الخـارجية .

ولم يكن السوق مكـانـا للبيع والشراء فقط بل كـان مكـانـا للتشهير فقد طلب سليمـان بن عمران من غلامه أن يـذهب إلى صـاحب سوق الجمـال ويطلب منه أن يبعث له بأربعة جـمال ليطوّف عليهـا رجـالا شهدوا عنـده زورا ويكـون الطـواف في

---

(1) البرزلي : المصدر السابق ، ج5 ،ص223 .

(2) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 21 ، ج3 ، ص 223 .

(3) الونشريسي : المعيار ، ج4 ، ص 110 .

(4) جمعة شيخة :المرجع السابق ، ص 47 .

(5) البكري : المصدر السابق ، ص 52 .

(6) المصدر نفسه ، ص26.

(7) حسن حسني عبد الوهاب : بساط العقيق ، ص20 .

(8) البكري : المصدر السابق ، ص48 .

(9)ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مكتبة خياط ، بيروت ،بلا تاريخ ،ج4 ، ص696 .

(10) البكري : المصدر السابق ، ص 31 .

الأسواق ، كمـا كـانت الأسواق مكـانا للفـارين والبحث عنهم (1) ، وكانت للسوق آداب يلتزم بـا أهل السوق فللتـاجر الحق في مكـانه حتى يقوم منه أو حتى تغيب الشمس و تجب عليه أن لا يسـاوم على سوم أخيه (2)،والأسواق يجب أن تنظف وقد سئل عـن ذلك يحي بن عمر فأجـاب بأنه يجب أن يكون هنـاك أشخـاص مختصين بتنظيف الأسواق وهو ليس من اختصـاص التجـار ، لكـن إذا قـام أصحـاب الحوانيت بجمع الطين والوحل والأوسـاخ وجعلهـا في وسط السوق فإن الحكم هنا يتغير ، ويصبح من الواجب على التجـار تنظيف وكنس السوق من الوحل والأوساخ (3) .

ومن هذا كله يفهم أن السوق كـانت لهـا أنواع متعددة وكـان تنظيمهـا دقيقـا ، وكـانت لهـا آداب عـامة لا يمكن لأي شخص أن يتعدى عليها ، وإذا تعدى عليهـا وجب هنـا تدخل المحتسب و تأديبه لتعديه عليهـا .

3/السلع المتداولة:

تعددت السلع في أسواق الدولة الزيرية وهي في الغـالب سلع حيوانية أو نبـاتية أو صنـاعية ، فتكون الحيوانية للاستفـ ـادة مـن لحومها وصوفهـا وحليبهـا ، وتستعمل النبـاتية في الأكل ويستعمل الزيت في إضـاءة المصـابيح و صنـاعة الصـابون ، وتـستعمل السلع الصنـاعية في البنـاء والأثاث المـ لي (4) .

ومن أشهر السلع التي كـانت تتداول في العهد الزيري بيع الأنعـام بأنواعهـا وينقل لنـا الونشريسي مجموعة من الفتـاوى التي قدمت إلى فقهاء هذا العهد ، وتتحدث عن بيع الحيوانـات ومنهـا سؤال وجه إلى الفقيه أبو زيد القيرواني حول من بـاع بقرة ابتلعـت حديدا فأجـاب بجواز البيع إذا علم المشتري بذلك ، كمـا سئل عن من اشترى شـاة بدراهم إلى أجل فذبحهـا فلما وصل الأجل أراد أن يأخذ مكـانـا طعـام فأجـاب بأن ذلك مختلف فيه بين الجواز وعدمه (5) وسئل أيضـا عن من باع شـاة صحيحة بغرض الذبح واستثنى الرأس والجلد فأجـاب بأنه مختلف فيه أيضا (6) ، كمـا سئل أيضـا عن من اشترى دابة وبـا جرح فأجـاب بأنه مخير بـين مسكهـا أو ردهـا (7) ، كمـا سئل أيضـا عن من اشترى فرسـا عليهـا لجـام فقـال هو للبـائع إذا لم يشترطه المشتري (8) ، كمـا سئل أيضا عن من اشترى دوابـا وعلفهـا علفـا حرامـا ثم أراد أن يبيعهـا هل بيعهـا هنـا يكون مكروهـا ، فأجـاب أن بيعها جـائز ولا كراهة في ذلك (9) .

ومـا يمكن أن نستخلصه من هذه الفتاوى أنه يمكن لصـاحب السلعة أن يبيع سلعته ولا يقبض الثمن إلا بعد مدة زمنيـة معينـة ، كمـا أن هذه الفتـاوى تدل على أن المتـاجرة بالحيوانـات في هذا العهد كـانت منتشرة بكثرة .

---

(1) جودت : المرجع السابق ، ص 136 .

(2) جودت : المرجع نفسه ، ص 136 .

(3)يحي بن عمـر : النظـر والأحكـام في جميـع أحـوال الـسوق ، روايـة أبي جعفـر أحمـد القـصري القـيرواني ، الـشركة التونسية للتوزيع ، تونس بلا تاريخ ، ص 95 .

(4) جودت : المرجع السابق ، ص 153 .

(5)الونشريسي : المعيار ، ج5 ، ص ص 204-205 .

(6)ابن أبي زيد القيرواني : الفتاوي ، ص 176 .

(7) ابن أبي زيد القيرواني : المصدر نفسه ، ص 166 +الونشريسي : المعيار ، ج5 ، ص 205 .

(8) الونشريسي : المعيار ، ج5 ، ص 205 .

(9) المصدر نفسه ، ج6 ، ص 184 .

وحسب ابن حـوقل فإن بونة هي المزود الرئيسي لإفريقية بالغنـم (1) ، أمـا الخيل فكـانً يجلب إليها من قسطيلية (2) .

ومن البيوع المعروفة في العهد الزيري بيع الرقيق ومن المعروف أن العبيد كانوا يسترقون نتيجة للحروب والغزوات وتـسمى أسـواقهم بأسواق النخـاسة التي كـان يشرف عليهـا التجـار اليهود في الغـالب (3) ،وكـانت تجـارة الرقيق نشيطة في القـيروان والمهديـة وتونس وتعتبر كـانم المزود الرئيسي لإفريقية بالرقيق (4) ، كمـا زودتـا زويلة أيضـا به (5) ،ومهمة العبيد كـانت خدمة البلاط والدور أو للمتعة والترفيه كمـا استعملوا كحرس وأدلاء للقوافل التجـارية ، واستعملوا كجنود في الحروب (6) .

وقد سئل ابن أبو زيد القيرواني عن رجل بـاع جـارية إلى رجل آخر ، وسئل عن رجل اشترى جـارية من مغنم ، وسئل عن رجل بـاع عبدا فادعى البـائع أن في يد العبد مـالا وأنه له ، وقـال المشتري بأنه له (7) .

وكـانت تجـارة الرقيق في كثير من الأحيـان تسبب جملة من النزاعـات خـاصة إذا ادعى العبد الحرية ، وهذا مـا ورد في سؤال قدم إلى الفقيه المـازري مضمونه أن رجلا أقدم على شراء جـارية وادعى أنه اشتـراها من جهة الجبـال وادعت هي الحرية لنفـسهـا ولأبويهـا وهي معروفة في جبل نفوسة وشهد على ذلك رجل من جبل نفوسة وذكر أنه يعرفهـا وأنـها حرة (8) كما جاء في إحـدى النوازل التي استفتي فيهـا ابن الضـابط (*)أن عبدا ادعى الحرية وأنه غبن وبيع(9) .

ومن كل هذا يمكنـا أن ندرك حجم النزاع الذي كـان يقوم بين المشتري والبائع ويكون هذا النزاع نـاتج عن عـدم الاتفـاق المسبق ، كمـا كـان النزاع يقوم بين البـائع والعبد خـاصة إذا ادعى هذا العبد الحرية ، وهنـا نخلص إلى نتيجة أخرى وهي أن الحر لا يبـاع شرعـا .

وربـما ترجع أسبـاب بيع الحر إلى الظروف الأمنية كالغزو ومن ثم يصبح الحر عبدا وهذا مـا أدى إلى وقوع هذه النزاعـات .

وقد وصفت الجـارية المثـالية بـ" الفتـاة في التـاسعة من العمر كتـامية الأب وصنهـاجية الأم ، تربت عند المـصـامدة وأُتي بـها إلى المدينة المنورة حيث مكثت ثلاث سنوات ، ثم انتقلت إلى العراق حيث قضت هنـاك عشر سنوات"(10) .

---

(1) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 77 .

(2) المصدر نفسه ، ص 92 .

(3) القادري بوتشيش :مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس ،ص198 .

(4) إدريس : المرجع السابق ، ج2 ، ص 299 .

(5)مؤلف مجهول : الاستبصـار ، ص 146 .

(6) القادري بوتشيش : مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس ، ص 197 .

(7) الونشريسي : المعيار ، ج8 ، ص 184 .

(8)الونشريسي : المعيـار ، ج9 ، ص 211 .

(*)ابن الضـابط سفير المعز بن بـاديس ومن الفقهـاء من مؤلفـاته كتـاب في الأحاديث النبوية عنوانه عوالي الصفـاقسي وكتـاب الاقتصـاد في القراءات السبع توفي بعد 440 أو444 هـ/1049 أو1053 م ، إدريس : المرجع السـابق ، ج2 ، ص 344 .

(9) الونشريسي : المعيـار ، ج10 ، ص 305 .

(10)إدريس : المرجع السابق ، ج2 ، ص300 .

ومـن البيوع المعروفة في العهد الزيري بيع الصوف والأكسية وكانت قسطيلية هي التي تمد سـائر البلاد التونسية بالصوف والأكسية (1) ، ومـا يدل أيضـا على وجود بيع للأكسية في ذلك العهد أن الفقيه السيوري سئل عن من بـاع أكسية وبـا سوس ولم يبين ذلك للمشتري فأجـاب بنقض البيع (2) ، كمـا كـان يبـاع القطن وكـان يجلب إلى القيروان من تونس (3) .

وكـانت الحنطة من البيوع المعروفة في الدولة الزيرية ، وتعتبر بـاجة من أهم المدن المنتجة لهـا حتى سميت بـ" هرى إفريقية" ومـا يدل على كثرة الحنطة بـا أن البكري قـال " إذا كـانت أسعـار القيروان نزرة لم يكن للحنطة بـا قيمة" (4) ، أمـا الإدريـسي فيقول هي كثيرة القمح والشعير" ولهـا من غلات ذلك ما ليس بالمغرب مثله كثرة وجودة" (5) ، ومن هنـا تعتبر بـاجة هـي الممـول الرئيسي للبلاد الزيرية بالقمح والشعير .

ومن البيوع المعروفة في العهد الزيري بيع الفواكه ، فنرى أن صـاحـب الاستبصار قـال بأن أكثر فواكه القيروان كـانت تجلـب إليهـا من جلولا (6) ، ويتحدث البكري عن مـا كـان يجلب إلى القيروان من جلولا فيقول" كـان يجلب منها السمسم واليـاسمين وأحـمال الفواكه و البقول" (7) ، ويتحدث يـاقوت الحموي عن قابس فيقول أنـا من المدن التي تكثر فيهـا الثمـار وتمد القـيروان بأصنـاف عديدة من الفواكه (8) .وتعتبر قفصة من المدن التي تمد القيروان أيضا بالفواكه (9) ، ويتحدث البكري عن مذكود(*) وقـال بأنه يصل منها إلى القيروان التين زبيبـا (10) ، كما كان يرد التين إلى القيروان من قلشانة (**)(11) في حين كـانت فواكـه المهديـة تجلب إليهـا من المنستير (12) ، ويحدثنـا ابن حوقل عن سفـاقس فيقول بأن الفواكه كـانت تجلب إليها من قـابس (13) ، في حين يذكر الإدريسي بأن فواكه قـابس كـانت تجلب إليهـا من سفـاقس" بالقدر الكثير ويزيد" (14) ، ومن هنـا يمكـن أن نـصل إلى

---

(1)ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 92 .

(2)الونشريسي : المعيار ، ج6 ، ص 58 .

(3)ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 75 .

(4)البكري : المصدر السابق ، ص 56 .

(5)الإدريسي : المصدر السابق ، ص 190 .

(6)مجهول : الاستبصار، ص 119 .

(7)البكري : المصدر السابق ، ص 32 .

(8)ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج 4 ، ص03 .

(9)البكري : المصر السابق ،ص 47 ، ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج4 ،ص151 .

(*) مذكود هي المدينة الرئيسية في إقليم قمونية ، أنظر البكري : المصدر السابق ، ص75 .

(10)المصدر نفسه ، ص75

(**)قلشـانة مدينة تبعد عن القيروان باثني عشر ميلا ، أنظر البكري : نفسه ، ص 29 .

(11) نفسه ، ص 29 .

(12)الإدريسي : المصدر السابق ، ص 184 .

(13)ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 73 ، التجاني : المصدر السابق ، ص 68 .

(14)الإدريسي :المصدر السابق ، ص181 .

نتيجة وهي أن التبـادل التجـاري بين المدينتين كـان نشيطـا ، ومن المحتمل أن قـابس كانت تمد سفـاقس بالفواكه غير موجـودة فيهـا ويحدث العكس وهكذا لا يفهم من هذا على أنه تنـاقض .

وكـانت مرسى الخرز منطقة قليلة الزرع وكـان يجلب إليهـا مـا يقوتـا من فـاكهة من المنـاطق المـجاورة لهـا (1)

كمـا يخبرنـا صـاحب الاستبصـار بأن تمر قسطيلية كـان يجلب إلى كل بلاد إفريقية (2)، في حين يخبرنـا الإدريسي أن تمور توزر تكفي بلاد إفريقية (3) وهذا إن دل إلى شيء فإنمـا يدل على أن قسطيلية وتوزر تعتبران من أكبر المنـاطق إنتـاجـا للتمـر في العهد الزيري .

وكـان الفستق القفصي ـ نسبة إلى قفصة ـ يحمل إلى كل بلاد إفريقية (4) ، وكـان يحمل من مدينة بـ رت الحـوت إلى كـل مناطق الدولة الزيرية (5) ،وكـان الزيت يحمل من زويلة بعد عصره إلى جميع البلاد (6) .

وكـان سمن قسنطينة يتجهز به إلى كل أقطـار الدولة الزيرية (7)، هذا بالنسبة للسلع الصـادرة والواردة من وإلى مـدن الدولـة الزيرية .

أمـا إذا أردنـا أن نتطرق إلى بيع العقـار داخل الدولة الزيرية فتعتبر الدور هي السلعة الرئيسية وكـانت موجودة بكثرة في هـذا العهد ، فقد سئل الفقيه المازري عن من اشترى دارا وصـاحبها غـائب فهل من حق المشتري قبض العقد فقـال له الحق في أخذ نـسخة من العقد والنسخة الأخرى تدفع إلى البـائع (8)، كمـا سئل الفقيه أبو إسحـاق التونسي عن من اشترى دارا فوجد فيهـا عيبـا فأفتى بأن يتحالف البائع والمشتري ويتفـاسخا (9) ،وسئل المـازري عن من اشترى دارا وسكنهـا ووجد بـا عيبـا فقـال يؤخذ نصيبـا من المكـان المسكون الخـال من العيب (10) ، ومن هنا يمكن أن نقول بأن بيع الدور كـان منتشرا بكثرة في العهد الزيري وأدى انتشارها إلى وقوع نزاعات رفعت إلى الفقهاء .

ومن كل مـا سبق يظهر أن القيروان كـانت تعتبر أكبر سوق داخلي رغم أنا لم تكن عاصمة الدولة الزيرية ، ونرى أنـه كـ ـان لهـا دور كبير في التجـارة الداخلية ، وكـانت تجلب إليهـا السلع من أقطـار الدولة ، ولا تضـاهيهـا أي مدينة من مدن الدولة في التجـارة الداخلية ، والسبب في ذلك يرجع ربمـا إلى موقع القيروان الداخلي ، وربـما سيؤثر عليهـا موقعهـا الـداخلي في التجـارة الخـارجية وتظهر مدن أخرى يكون لهـا دور رئيسي في التجـارة الـخارجية وتكون هذه المدن على البحر .

---

(1)ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 77 .

(2)مجهول : الاستبصار ، ص 155 .

(3)الإدريسي : المصدر السابق ، ص 178 .

(4)البكري :المصدر السابق ، ص 47 ، مجهول : الإستبصار ،ص 153 ، ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج4 ، ص151

(5) مجهول : الاستبصار ، ص 125 .

(6)الإدريسي : المصدر السابق ،ص 184 .

(7) المصدر نفسه ، ص 184 .

(8)الونشريسي : المعيار ، ج3 ، ص 51 .

(9)الونشريسي :المعيـار ، ج6 ، ص 165 .

(10) المصدر نفسه ، ج6 ، ص60 .

ومـا يمكن ملاحظته أيضـا هو وجود تكـامل تجـاري بين مدن الدولة الزيرية فنرى أن المدينة الواحدة لهـا علاقات تجـارية مع مدن عديدة وليس مع المدينة القريبة منهـا فقط ، وهذا بدوره يدل على الانتشـار الواسع للتجـارة داخـل الدولـة الزيريـة . 4 / الأسعـار:

تختلف الأسعـار من سلعة إلى أخرى ومن مكـان إلى آخر وتعرف الزيـادة في الأسعـار بأسـماء عدة على حسب الزيـادة فإذا كـانت الزيـادة عن القيمة المتوسطة زيـادة يسيرة قيل" تحرك السعر" فإذا زاد السعر عن هذا الحد قليلا قيل" نفق السعر" فإذا زاد عن هذا الحد قيل" ارتقى السعر" فإن زاد قيل" غلى السعر" فإن زاد قيل" تناهى" (1) .

والأسعـار ترتفع وتنخفض نتيجة لمجموعة من العوامل ويعتبر عـامل العرض و الطلب المتحكم الرئيسي في سـعر الـسلعة ، كمـا أن نظرة النـاس إلى تلك السلعة عـاملا آخر يؤثر على سعرهـا ، ويؤثر الاحتكـار وتخزين السلع وقطفهـا قبـل أوانـا في سعرهـا (2) ، ويحدثنـا ابن خلدون عن عـامل مهم متحكم في الأسعـار وهو حجم المدينة ، فكلمـا كبرت المدينة كـبر معهـا السوق وهذا يؤدي إلى رخص أسعار الضروريـات وارتفـاع أسعـار الكمـاليـات ، وإذا كـان سكـان المدينة قليلون انخفـضت أسعـار الكمـاليـات وارتفعت أسعـار الضروريـات ، والأسعار بصفة عـامة تكون في المدينة مرتفعة أكثر مقـارنة بالريف والسبب يرجع إلى المكوس والمغارم التي تكون في المدينة كثيرة وعـالية في حين تكون في الريف قليلة أو معدومة (3) .

وهنـا يمكن أن نقول أن الأسعـار تختلف بين المدينة والريف للأسبـاب السابقة الذكر كمـا أن النقل له أيضـا دوره إذ كلمـا كـانت مسـافة التنقل كبيرة كلمـا ارتفعت معها الأسعـار والعكس هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الكمية المنقولة لهـا أيضـا دور في التحكم في الأسعـار إذ أن نقل كمية كبيرة يؤدي إلى انخفـاض الأسعـار والعكس .

ومن الأسبـاب التي تؤدي إلى ارتفـاع الأسعـار مخـاطر الشحن حيث أن التـاجر في كل مرة يحـاول جـاهدا استعـادة بعض المـال نتيجة للشحنة المفقودة في البحر ، كمـا أن استئجـار الوسـائل الخاصة بالنقل ودفع الضرائب يؤديـان بدورهما إلى ارتفـاع أسعـار هذه السلع وغـالبـا مـا يكون هذا في التجـارة الخـارجية (4) .

ومن العوامل المتحكمة في الأسعـار الظروف الطبيعية كالأوبئة و المجـاعـات أضف إلى ذلك ظروف أخرى كانعدام الأمن وقـد وصف لنـا ابن الأثير وابن عذارى بعض هذه الأوبئة والمجـاعـات وكيف أثرت على الأسعـار داخل الدولة الزيرية ومنهـا :

الوبـاء الذي ضرب إفريقية عـام 394 هـ /1003 م أدى إلى غلاء الأسعار وهلاك النـاس و" ذهـاب الأموال من الأغنيـاء وكـان يموت في اليوم الواحد من خمس مـائة إلى سبع مـائة شخص"(5) .

وعم القحط في أرجـاء الدولة الزيرية سنة 395 هـ/1004 م وهذا مـا أدى كمـا عبر ابن عذارى" إلى إهلاك الفقير وذهـاب مـال الغني وغلاء الأسعـار وانعدام الأقوات وهجرة أهل البـادية " كمـا وقع في تلك السنة طـاعون ووبـاء أدى إلى هلاك النـاس غنيهم وفقيرهم وأستعمل الأخدود الواحد لدفن مـائة شخص فأكثر ومس الموت أهل العلم والتجـار والصبيـان (6) ويفهم من هذا أن هذه الظروف تؤثر على الغني والفقير كمـا أنا تؤدي إلى هلاك عدد كبير من النـاس .

---

(1) الدمشقي : المصدر السابق ، ص11 .

(2)جودت :المرجع السابق ، ص ص 157-158 .

(3)ابن خلدون : المقدمة ، ص ص 255-256 .

(4)أوليفيا ريمي كونستبل : المرجع السابق ، ص 210 .

(5) ابن الأثير:المصدر السابق ، ج 8 ، ص33 .

(6)ابن عذارى : المصدر السابق ، ج1 ، ص 257 .

وفي سنة 396 هـ/1005 م عم الخصب وأدى ذلك إلى رخص الأسعار (1) ، وقد عـاودت الأسعـار إلى الارتفـاع من جديد سنة 406 هـ/ 1015 نتيجة لزحف الجراد و نشوب الحروب (2) ، وفي سنة 409 هـ/1018 م كـان غلاء كبير نتيجة للحروب التي وقعت بين الزيريين وبني حماد(3) ، واشتد الغلاء في كل إفريقية سنة 413 هـ/1022 م نتيجة للمجـاعة الشديدة الـتي ضـربت إفريقية (4) ، كما انخفضت من جديد عام 422 هـ/ 1030 م نتيجة للخصب الكثير ثم عـاودت إلى الارتفـاع عام 425 هـ/ 1033 م بعد مجاعة شديدة ضربت إفريقية لتنخفض مرة أخرى عـام 430 هـ/ 1038 م نتيجة للخصب الكبير الذي عـم أرجـاء إفريقية (5)، لترتفع الأسعـار مرة أخرى ويكون الغلاء شديدا سنة 432 هـ/ 1040 م بسب الجفـاف وسميت هـذه الـسنة" سـنة الغبـار" ودام الحـال حتى سنة 434 هـ/1042 م (6) ، وربـما يكون سبب هذه التسمية سنة الغبـار نتيجة للغبار الشديد الـذي يخلفه الجفاف ومن ثم تكون الأرض جـافة .

كمـا غلت الأسعـار نتيجة للمجـاعة الشديدة التي حلت بإفريقية عام 482 هـ/ 1089 م وانخفضت الأسعـار بسب الخصب سنة 484 هـ/1091 م (7) ،وكـان الغلاء شديدا عـام 491هـ/1097 م وهذا مـا أدى إلى هلاك الناس (8) ، وفي سنة 536 هـ/1141م كثر الموت نتيجة للغلاء الشديد ، فلجأت الدولة الزيرية إلى الاستيراد من صقلية (9) .

وهذا يدل دلالة واضحة أن الأسعـار تتحكم فيهـا ظروف طبيعية كالجفـاف والطـاعون وأخرى بشرية كالاحتكـار والحروب .

وفي ظل هذه الظروف وجد التسعير ، والتسعير هو أن يأمر السلطان أو ولي الأمر أهل السـوق بأن يبيعوا سلعهم بسعر كذا فيمنـع من الزيـادة عليه أو النقصـان (10)و التسعير مختلف فيه فهنـاك من يرى أنه من اختصـاصـات المحتـسب (11) وهنـاك من يرى أنه منهي عليه شرعـا ، لكن في مثل هذه الظروف يصبح ضرورة لأن مصلحة المسلمين تحتم وجوده ويقـاس هذا على فعل عمر بن الخطـاب رضي الله عنه عـام الرمـادة حيث عطل حد السرقة .

---

(1) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 257 .

(2)ابن الأثير : المصدر السابق ، ج8 ، ص 90 .

(3)ابن عذارى : المصدر السابق ، ج1 ، 269 .

(4)ابن الأثير : المصدر السابق ، ج8 ، ص138 .

(5)ابن عذارى : المصدر السابق ، ج1 ، ص275 .

(6)ابن الأثير : المصدر السابق ، ج 8 ، ص 248 .

(7) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج1 ، ص 302 ، ابن الأثير : المصدر السابق ، ج8 ،ص 462 .

(8)ابن الأثير : المصدر نفسه ، ج9 ، ص 17 ، النويري : المصدر السابق ، ص360 .

(9)ابن الأثير : المصدر السابق ، ج9 ، ص 325 .

(10) جودت : المرجع السابق ، ص 156 .

(11)عبـد الـرحمن الفاسـي : خطـة الحـسبة في النظـر والتطبيـق والتـدوين ،دار الثقافـة ، ط1 ، الـدار البيـضاء ، 1404 هـ/1984 م ، ص 29 .

ويكون التسعير في أمور عدة منهـا أن التجـار يشترون سلعهم من الجـالب أو من أصـحاب البسـاتين أو من المزارعين وبدون سعر محدد ويقوم صاحب السوق (المحتسب) بتحديد السعر بعد أن يعرف قيمة ما اشتروا به ، ومن ثم لا يكون لهم سبيل إلى فـرض أسعـار كبيرة على النـاس وأكل أموالهم (1) .

وهنـاك مواد تسعر ومواد لا تسعر فمن الأمور التي يجب على المحتسب تسعيرهـا التسعير على الجزارين فيأمرهم بالبيع بقدر مـا يرى من شرائهم فيلزمهم بسعر يبيعون به أو يخرجهم من السوق ومن الأمور التي لا تسعر سلع أهل الحرف والسبب يرجـع إلى الجـودة والرداءة ومن الذين لا يسعر عليهم الجـالب والمحتكر ، حيث يقوم المحتسب بأمر المحتكر بإخراج الطعـام الذي احتكره إلى السوق بعـد الاحتفـاظ بقوته وقوت عيـاله ويبيع كيف يشـاء دون أن يسعر له (2)

والأصل في التسعير النهي عنه شرعـا الرسول صلى الله عليه وسلمً يا أيهـا النـاس إن غلاء أسعـاركم ورخـصـها بيـد الله سبحـانه وأنـا أرجو أن ألقى الله وليس لأحد عندي مظلمة من مـال ولا من دمً (3) ، ولذا لو اجتمع أهل السوق علـى أن يبيعـوا بالسعر الذي يريدون فأضروا بالنـاس وأفسدوا السوق فإنه من واجب المحتسب هنـا أن يتدخل ويقوم بإخراجهم من السوق وإدخـال غيرهم فإن رجعوا عن ذلك ورضوا بالربح القليل ولم يدخلوا مغرة على النـاس أعيدوا إلى السوق (4) ، ونفس العمل يجب على المحتسب القيـام به مع من قـام بإنقـاص السعر على أهل السوق ولم يرض بأن يبيع بمثل مـا يبيع به أهل السوق فيقول له إمـا أن تبيع كمـا يبيع أهل السوق وتكون واحدا منهم ، وإلا فاخرج من السوق وهذا مـا قـاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه للذي كـان يبيع الزبيبً إمـا أن تزيد في السعر وإمـا أن ترفع من سوقنـاً (5) .

وتعتبر دراسة الأسعـار صعبة للغـاية لأن بعض المصـادر تتحدث عن سنوات القحط ومصـادر تتكلم عن سـنوات الرخـاء ولـذا من الصعب اعتمـادها في الظروف والسنوات العـادية ويجب هنـا مقـارنتهـا مع بعضهـا البعض (6) .

فنرى سعر الزيتون في عهد ابن حوقل مـا بين ستين قفيزا (*) بدينـار إلى مـائة قفيز بدينـار على حـسب الإنتـاج (7) ، وتحدث البكري عن الزيت فقـال أن زيت سفـاقس ثمنه أربعين ربعـا قرطبية بمثقـال واحد(*)(8) ، في حين تتحـدث رسـائل الجنيزة أنه بيع 25 رطلا بدينـار(1) .

---

(1)الونشريسي : المعيـار ، ج5 ، ص260 .

(2)اليلدي : التيسير في أحكام التسعير ، تقديم وتحقيق موسى لقبال ، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، بـلا تـاريخ ، ص ص 51-53 .

(3)النبهـاني : المرجع السـابق ، ص 31 .

(4)يحي بن عمر : النظر والأحكام ، ص ص 43-44 .

(5)المصدر نفسه ، ص 46 .

(6)الحبيب الجنحاني : الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الإسلامي ، ص ص 71-72 .

(*)القفيز في القيروان يسـاوي 32 ثمن والثمن يسـاوي 6 أمداد من أمداد الرسول صلى الله عليه وسلم ، أنظر المقديسي : المـصدر السـابق ، ص240 .

(7)ابن حوقل : المصدر السـابق ، ص 73 .

(*) المثقـال الشرعي في إفريقية يزن 4.722 غ أنظر : فـالتر هنتس : المكـاييل والأوزان الإسلامية ومـا يعـادلها في النظـام المتري ، ترجمه عن الألمـانية كمـال العسلي ، روائع مجدلاوي ، ط2 ، الأردن ، 2001 ، ص 18 .

(8)البكري : المصدر السـابق ، ص 20 .

أمـا أسعـار القمح فكـان قفيز بخمسين درهم والشعير دائمـا يكون دونه في السعر (2) ، والسعر ليس ثابتا ويختلف من سنة إلى أخرى ففي سنوات يكون سعر القفيز من القمح بدينـار وقفيزين من القمح بدينـار(3) ، ومن هنـا يمكننـا أن نقول أن سعر الشعير كـان يسـاوي نصف سعر القمح .

والأسعـار في بـاجة كانت دائما معتدلة (4) والسبب في ذلك ربمـا يرجع إلى كون بـاجة تعتبر منطقة غنية بإنتـاج القمـح والشعير وهذا مـا دفع بالبكري إلى تسميتها بـ " هرى إفريقية" (5) .

وكـان سعر لحم الضـأن رطل بدرهم قديم(*) ، و بـاقـي اللـحوم تكـون دونـه في السعر(6) .

كمـا كـان اللحم في القيروان خمسة أمنـاء بدرهم (7)ووصلت عشرة أرطـال منه بدرهم (8) ، في حين كـان سعر الدجـاجة الجيدة بدرهمين جديدين (9)، أمـا الحوت فهو على حد تعبير البكري رخيص في بنزرت ، دون أن يعطينـا ثمنه وقـال عنهـا" أرخص البلاد حوتـا" (10) .

أمـا فيمـا يخص سعر المرجـان فإنه كـان رخيصـا في مرسى الخرز إلى درجة كبيرة دفعت بالمقديسي إلى القول أنـه كـان يبـاع فيهـا جزافـا من غير كيل (11) .

وبخصوص العهد الزيري فهنـاك أسعـار لسلع نستقيهـا من وثـائق الجنيزة ، فقد أوردت إحدى الوثـائق وهي عبـارة عـن رسـالة من التـاجر إسحـاق الافي بن سمحـا النيسـابوري بالإسكندرية إلى أبي العلاء صـاعد جوزيف الدمشقي بالفسطـاط وهي مؤرخة بسنة 540هـ/1119 م مـا يلي" مرجـان غراب (غير منظوم) يبـاع اليوم في دار الصنعة (دار المكوس) بمبلغ 11 ونصف

---

(1) أمين توفيق الطيبي : المرجع السـابق ، ص 70 .

(2) القلقشندي : المصدر السـابق ، ج5 ، ص 115 .

(3) البرزلي : المصدر السـابق ، ج3 ، ص 142 .

(4)إدريس : المرجع السـابق ، ج2 ، ص 240 .

(5)البكري : المصدر السـابق ، ص 56 .

(*) الدرهم القديم هو الدرهم الذي كـان قبل سنة 441 هـ/1049 م ، والدرهم الجديد هو الذي ضربه المعز بن بـاديس سنة 441 هـ/ 1049 م ويكمن الفرق بينهمـا في الجودة إذ أن الدينـار القديم يسـاوي أربعة دنـانير ودرهمين جديدين ، ابن عذارى : المصدر السـابق ، ج1 ، ص 279 .

(6) القلقشندي : المصدر السـابق ، ج 5 ، ص 115 .

(1)المقدسي : المصدر السـابق ، ص225 .

(2)إدريس : المرجع السـابق ، ج2 ، ص274 .

(3)القلقشندي : المصدر السـابق ، ج5 ، ص 115 .

(4)البكري : المصدر السـابق ، ص 58 .

(5)المقدسي : المصدر السـابق ، ص 239 .

(6)أمين توفيق الطيبي : المرجع السـابق ، ص 72 .

(7)الونشريسي : المعيـار ، ج9 ، ص210 ، إدريس : المرجع السـابق ، ج2 ، ص 273 ، الحبيب الجنحـاني : المغرب الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص 73 .

دينـار وبيع بعضه حتى بثمـانية دنـانير ، بينمـا مـا عندي من المرجـان يسـاوي 20دينـارا ،وإلى الآن لم يصل من المرجـان شيء لا من بلاد الروم ولا من المغربً (1) .

أمـا بالنسبة لأسعـار الحيوانـات فإن سعر الجمل كـان مـا بين تسعة وعشرة دنـانير للجمل (2) .

في حين كـان سعر البغل على حسب بنيته ما بين ثلاثة وستة وتسعة دنـانير (3) ، وكـان ثمن ثورين للحرث يبلغ 41 دينـارا (4) .

أمـا بالنسبة للأقمـشة فقـد كـانت أسعـار عمـائم المـعمور الـتي تـصـنع في سوسة تسـاوي 10دنـانير للعمـامة الواحدة وقد تزيد عن ذلك (5) ، في حين كـانت أسعار الغزل في سوسة أيضـا غـالية إذ تصل زنة المثقـال الواحد منهـا مثقـالين من الذهب (6) ، كمـا وردفي إحدى رسـائل الجنيزة المرسلة من أبي فرج نسيم إلى سليمـان بـن إبـراهيم - وكـان الأول في الفسطـاط والثاني في المهدية - إن سعر القمـاش يساوي 4 دنـانير على الأكثر في حين الأصنـاف الأخرى دونـهـا في الـسعر ، والفوطة المقصرة سعرهـا 7 دنـانير للعشرة (7) .

أمـا أسعـار الصـابون فإنـهـا تختلف بين بداية المواسم ونـهايته فتكون في نـهاية الموسم بين ثلاثة عشر وأربعة عشر دينـارا للقنطـار وتكون في بداية الموسم عشر دنـانير ونصف للقنطـار ومنتصف الموسم بين إحدى عشر واثنـا عشر ونصف للقنطـار (8) ، ومن هنـا يمكن أن نقول بأن سعر الصـابون يكون منخفضـا مع بداية الموسم لتوفر المـادة الأولية في صنعه وهي الزيت وكلمـا قلت المـادة الأولية ارتفع سعره فيكون مرتفع في وسط الموسم ويصل إلى قمة ارتفاعه مع نـهاية الموسم نتيجة لقلـة المـادة الأوليـة وندرتـهـا .

أمـا أسعـار العبيد في إفريقية فكـانت على حسب جمـالهـا فقد يصل سعرهـا إلى ألف دينـار وأكثر (9) ، وقـد بيعـت جـارية بعد الغزو الهلالي بخمسين

دينـارا فقط (1) .

---

(3)الونشريسي : المعيـار ، ج10 ، ص350 ، إدريس : المرجع السـابق ، ج2 ، ص273 .

(4)الحبيب الجنحـاني : المغرب الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص 73 .

(5) مجهول : الاستبصـار ، ص 119 .

(6)البكري : المصدر السـابق ، ص 36 ، مجهول : الاستبصـار ، ص119 .

(7) أمين توفيق الطيبي : المرجع السـابق ، ص70 .

(8) البرزلي : المصدر السابق ،ج3ص100 ، إدريس : المرجع السـابق ،ج2 ،ص 269 .

(9) الأصطخري : المسـالك والممـالك ، تح محمد جـابر عبد العـال الحيني ، مراجعة محمد شفيق غربـال ، دار القلـم ، المملكـة العربية المتحدة ، 1381 هـ/1961م ، ص37 .

وبلغت أسعـار الدور مائتي دينـار وهذا مـا نستخلصه من سؤال قدم إلى الفقيه المـازري حول من بـاع دار بمـائتي دينـار على أن يقبضهـا على دفعـات ويقبض في كل شهر أربعة دنـانير (2) .

ولعل حديثنـا عن الأسعـار جـاء بشيء من الاختصاص والتفصيل رغم أن كتب الجغرافيـا حدثتنـا في كثير من الأحيـان عن الأسعـار السـائد بصفة عـامة ، فنرى مثلا ابن حوقل أثنـاء كلامه عن مدينة بونة يقول" والأسعـار في مدينة بونة رخيـصة" وعـن أسعـار مدينة سبيبة قـال" أسعـار الفواكه في سبيبة رخيصة على مد الأيـام" وقـال عن قسطيلية و" الأسعـار في قسطيلية غـالية لأنـا كـانت تجلب إليهـا من المنـاطق الأخرى عدا التمر" (3) .

وتكلم البكري عن بـاجة فقال" : إن الأسعـار فيهـا رخيصة إلى درجة أن سعر الحنطة بـا وفر بعير بدرهمين" والسبب يرجع إلى الكمية الكبيرة التي تصلهـا من السلع كل يوم (4) .

أمـا الإدريسي فقـال عن توزر دون تفصيل" وأسعـار الطعـام في توزر غـالية الثمن في أغلب الأوقـات" والسبب يرجـع إلى كونه كـان يجلب إليهـا من منـاطق أخرى (5).

ومن دراستنـا للأسعـار نخلص إلى مجموعة من النتـائج وهي أن الأسعـار تختلف من مدينة إلى أخرى وسبب الإختلاف يرجع إلى موقع المدينة وإلى إنتـاجهـا و سوقهـا ،ونعني بذلك إقبـال النـاس على السلع فنرى مثلا توزر تجلب إليها السلع من منـاطق أخرى والأسعـار مرتفعة ، في حين بـاجة تمول إفريقية بالسلع والأسعـار فيهـا منخفضة والسبب هنـا يرجع ربمـا إلى مـا يعـرف بقـانون العرض والطلب فتكون السلع المجلوبة إلى توزر قليلة والطلب عليها كثير فيرتفع ثمنهـا ، وربمـا أيضـا لقلة السكـان في هـذه المنطقة لا تجلب إليها سلع كثيرة ،كمـا أن بعد المسـافة أيضـا أدى إلى ارتفـاع الأسعـار إذ أنـا منطقة صحراوية ، أمـا بالنـسبة لبـاجة فرغم كثرة السلع الخارجة منها ومع ذلك الأسعـار منخفضة هذا ربمـا نتيجة للإنتـاج الكبير الذي تنتجه إفريقية لذا سميت هرى إفريقية .

كمـا نلاحظ أن الأسعـار ليست ثـابتة وليس لها مستوى طوال العـام وإنمـا يختلف السعر بين بداية وسط و نـاية الموسم .

ونلاحظ أيضـا أن هنـاك مـا يصطلح عليه اليوم بالبيع بالتقسيط وهذا مـا التمسنـاه من السؤال الذي قدم إلى المـازري حول من يشتري دارا على أن يدفع ثمنهـا على دفعـات .

5/الشركـة :

وهي كمـا عرفهـا ابن عرفة" جعل مشتر قدرا لغيره باختيـاره ممـا اشتراه لنفسه بمنـابة من الثمن" (6) ، وللشركة شروط يجب أن تبنى عليها حتى تكون شركة شرعية فيجب أن يكون التساوي في الشيء المشترك سواء في الصفة أو العمل أو الربح ، أمـا إذا كـانت في طعـام فيجب التسـاوي في الصفة والكيل (7) ، وقد وجدت الشركة في العهد الزيري واستخدمت للتعبير عنهـا تعـابير عـدة منهـا " شراكة" " خلطة"" قراض" (8) ،والقراض هو تمكين المـال لمن يتجر به بجزء من الربح لا بلفظ الإجـارة (1) ،وقد وجـد

---

(1)الونشريسي : المعيـار ، ج10 ، ص 245 ، إدريس : المرجع السـابق ، ج2 ،ص 274 .

(2)البرزلي : المصدر السـابق ، ج3 ،ص 72 ، وقد خصصت ملحق خاص بالأسعـار أنظر الملحق رقم 1 .

(3) ابن حوقل: المصدر السابق ،ص77 ص 92.

(4) البكري : المصدر السابق ص 56.

(5) الإدريسي: المصدر السابق ص178.

(6)الرصاع : شرح حدود بن عرفة ، المطبعة التونسية ، ط1 ،1356 ، ص 281 .

(7) البرزلي : المصدر السـابق ، ج3 ، ص 436 .

(8) أوليفيـا ريمي كونستبل : المرجع السـابق ، ص125 .

القراض مع الإجـارة وهذا مـا ذكره المـازري حين قـال بأنه وجد كتـابا بخط يد أبي زيد القيرواني فيه إذا جـاءك فلان فخذ السلع التي عنده وادفع إليه دينـارا على سبيل الإجـارة ، وادفع له بقيت الثمن على سبيل القراض (2)، والقراض حكمه الجواز شرعـا ويجب أن تتوفر فيه شروط (3) .

ويرى أبو زيد القيرواني أن القراض يكون جـائزا في الدراهم والدنـانير ولا يجوز في العروض ، ويكون إذا نزل أجـيرا في بيعهـ ـا وعلى قراض مثله في الثمن وللعـامل كسوته وطعـامه إذا سـافر في المـال الذي له ، ويكون تقسيم الربح بعد إخراج رأسمـال(4).

وكـانت للشركـات أنواع منهـا شركة العنـان التي تكون في شيء ظـاهر ويتفق فيهـا المشتركـان علـى أن لا يتـصرف أحدهمـا بغير إذن الآخر (5) ،ويمكن تقسيم الربح بين الشركـاء بالتسـاوي ، ويمكن التبـاين في الربح رغم التسـاوي في رأسمـال ، على حسب الاتفاق كمـا يمكن لهذه الشركة أن تكون في نوع معين من البضـائع ويمكن أن تكون في أنواع عدة (6) .

وهنـاك شركةً المفـاوضةً وهي التي يفوض فيهـا كل شريك لشريكه حرية التصرف في الشركة في الغيبة والحضور (7) ، ويكون فيهـ ـ ـا رأسمـ ـ ـال متـ ـسـ ـاويا بـ ـين الـ ـشركـاء كمـ ـ ـا يتـ ـسـ ـاويان في الـ ـربح والخـ ـسـ ـارة (8) .

ومن الشركـات أيضـا شركة الأبدان ، ولجواز هذه الشركة يجب أن يعمل الشركـاء في موضع واحد وعملا واحدا أو متقاربـا (9) .

وهنـاك أيضـا شركة الضمـان والتي يسـاهم فيهـا التجـار برؤوس أموالهم ويتعـاونون في العمـل ويـشتركون في الـربح ويتحملون الخسارة كل على حسب نسبة رأسمـاله في الشركة (10) .

---

(1) الرصاع : المصدر السـابق ، ص 579 .

(2) البرزلي : المصدر السـابق ، ج3 ، ص 457 .

(3) وهي 1/إعطاء رأسمال للعـامل 2/يكون معلوم وغير مضمون 3/يكون مـا يتعـامل به في بلدهمـا سكة أو غيرهـا 4/يجب معرفة قيمة القراض 5/يكون مشـاعـا لا مقدر بعدد 6/ولا يختص بشيء معين إلا مـا يضطر إليه العـامل من نفقة ومعونة 7/اختـصـاص العـامل بالعمل 8/لا يضيق على العـامل بالتخصيص والتحجير 9/يكون غير محدد بأجل 10/يكون المضـاربين مسلمين بـالغين . أنظر البرزلي : المصدر نفسه ، ج3 ، ص440 .

(4)ابن أبي زيد القيرواني : الرسالة ، نشر مع الترجمة الفرنسية ليون بارشي ، المكتبة العربية الفرنسية + مكتبة الشعب العـسكرية ، ط5 ، الجزائر ، 1968، ص216.

(5)محمد بن حـارث الخشني : أصول الفتيـا على مذهب الإمـام مـالك ، تح وتعليق محمد مجدوب +محمد أبو الأجفـان ، عثمـان بطيخ ، الدار العربية للكتـاب ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985 ، ص 157 .

(6)جودت : المرجع السـابق ، ص 240 .

(7)الخشني : المصدر السـابق ، ص 157 .

(8)جودت : المرجع السـابق ، ص 240 .

(9) أبو زيد القيرواني : الرسـالة ، ص216 ، البرزلي : المصدر السـابق ،ج3 ، ص 436 .

(10) محسن العـابد : جوانب من الحيـاة الفكرية والاجتمـاعية والاقتصـادية بإفريقية في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن الـسادس الهجري من خلال فتـاوى عبد الحميد الصـائغ و المـازري ، مقـال منشور في مجلة العلو والتعليم ، الشركة التونسية لفنون الرسـم ، 1398هـ /1978م ، السنة الثالثة ، العدد 32 ، ص21 .

وهنـاك نوع آخر من الشركـات وهي التي يقوم فيهـا التـاجر بالإشتراك مع آخر على أن يسـافر أحدهمـا لجلب البـضـائع ويقتسمـا الربح على حسب رؤوس أموالهمـا وكل واحد منهمـا يبيع على حسب الطريقة التي يريدهـا (1) .

ومن الشركـات التي وجدت في العهد الزيري شركة لبيع الطعـام سئل عنهـا أبو زيد القيرواني ونص الـسؤال أن مـشتركين في طعـام غـاب أحدهما فجـاء الظـالم فأخذ نصيب الغـائب فمـاذا يفعل الشريكـان هنـا فأجـاب بأن بـاقي الطعـام شركة بينهمـا (2) .

ومن الشركـات أيضـا الشركة التجـارية التي كـانت تعمل على شراء المواد الغذائية وكـان أصحـاب هـذه الـشركة يسـافرون إلى صقلية ويشترون منهـا القمح، ويكون عقد هذه الشركة في أصل المـال و الإختلاف في عـين الـسلعة بـين الجـودة والرداءة (3) ، كما سئل أبو زيد القيرواني عن شركة بين رجلين بـاعـاهـا وذهبـا يقتضيـان ثمنهـا فربطـا دوابهمـا فتلفى فأعطى أحدهمـا دراهم لمن يطلبهـا فوجدهـا عند رجل ، فهل مـا أعطى الرجل عليه وحده أم يشتركـان فيه ؟ فأجـاب بأنه إذا لم يـؤمره بدفع الأموال فلا شيء عليه (4) ، كمـا كـانت هنـاك شركة للألبـان إذ قـام بعض ملاك الأغنـام باسـتخلاص الجـبن وبيعـه واقتسـام الربح بينهم ، كمـا قـام ثلاث صيـادين بالاتفـاق على إقـامة شركة فأحضر الأول شبكة وأحـضر الثـاني شـبكتين وأحضر الثـالث ثلاث شبكـات واقتسموا الربح على حسب المسـاهمة في الشركة (5) .

وكـانت الشركة حتى عند السمـاسرة وتكون جـائزة إذا اجتمع السمـاسرة على بيع السلعة الواحدة ثم اقتسـام الربح ، لكـن إذا بـاع كل واحد وحده ثم اقتسموا الربح على سبيل الشركة فهذا غير جائز (6) ، كمـا وجدت الشركة بين الدلالين والجلابين وهنـا تكون الشركة غير جـائزة إذا كان أحدهم يتصرف ويمشي والآخر يتعب في أعمـال مختلفة (7)

أمـا في مسألة القراض فقد سئل الفقيه البوني (*) عن رجل سـافر من سفـاقس بمـال القراض إلى طرابلس وأخذ قراضـا آخر ، فلمـا قفل راجعـا إلى سفـاقس هـاجمه العدو فقتل هو وسلم المـال ، كمـا سئل أيضـا عن من أخذ أربعين دينـارا قراضـا من سفـاقس إلى تونس يشتري بـها ثم يسـافر إلى قـابس برا ثم رجع بحرا فسلبه العدو كل مـا معه من المـال ، كمـا سئل أبـو زيـد القيرواني عن من دفع قراضـا إلى صاحب مركب على أن يحمل السلعة ويكون الربح بينهمـا، وسئل المـازري عن من دفـع إلى رجـل مـال على سبيل القراض يسـافر به إلى المشرق (8) والسبب في إيرادنـا لمثل هذه الإشـارات هنـا هو محـاولة منـا أن نـبين أن القراض كـان موجودا في العهد الزيري .

---

(1) عز الدين موسى : المرجع السـابق ، ص282 ، القـادري بوتشيش : مباحث في التاريخ الاجتمـاعي للمغـرب والأنـدلس ، ص 167 .

(2) أبو زيد القيرواني : الفتـاوى ، ص 254 ، البرزلي : المصدر السـابق ، ج5 ، ص 205 .

(3) البرزلي : المصدر نفسه ،ج 3 ، ص 434 .

(4)البرزلي: المصدر السـابق ، ج3 ، ص555 ، الونشريسي : المعيـار ، ج8 ، ص 220 .

(5) كمـال السيد أبو مصطفى : جوانب من حضارة المغرب ، ص 87 .

(6) الأبيـاني : المصدر السـابق ، ص 66 .

(7) البرزلي : المصدر السـابق ، ج3 ،ص 435 .

(*)البوني اسمه مروان بن علي القطـان من سكـان بونة وهو من الفقهـاء المفتين ، القـاضي عيـاض : المصدر السـابق ، مـج2 ، ج4 ، ص 71 .

(8) الونشريسي : المعيـار ، ج8 ، ص ص 204-206 .

ولا تكون الشركة دومـا بين أصحـاب الديـانة الواحدة فقد تكون بين أصحـاب ديـانـات مختلفة ، فقد جـاء في إحـدى رسـائل الجنيزة مؤرخة بعـام 476هـ/1083م أنه كـانت هنـاك شراكة بين يهودي ومسلم وهي عبـارة عن شكوى قـدمت إلى المحكمة اليهودية في دانية (**) مفـادها أن إسحـاق بن إبراهيم قدم مجموعة من السلع إلى خـادمه أبو الحسن قـاسم ،وكـان هذا الأخير وكيلا متنقلا مهمته بيع البضـائع بنفسه ،لكن قام هو بتسليمها إلى شريك آخر يدعى حسن بن حسن ،فرأت المحكمة أنه لا يمكـن إثبـات الحـالة والملاحظ من الأسمـاء أن الشركة كـانت بين يهودي ومسلم وقد بعثت الشحنة إلى المهدية (1).

ومـا يمكن ملاحظته على الشركة أن في العهد الزيري لهـا عدة أسمـاء كمـا لهـا أنواع وكلهـا تبقى مشروعة مـا لم تفقـد ركن من أركـانـا ، كمـا أن هذه الشركـات كـانت تسبب في بعض الأحيـان مجموعة من المشـاكل بين الشركـاء وهذا مـا دفعهم إلى اللجوء للفقهـاء وطرح أسئلة عليهم بالخصوص .

6/ المكـاييل والموازين:

تختلف المكـاييل والموازين من منطقة إلى أخرى لكن الشيء المتفق عليه هو أن هنـاك أشيـاء تبـاع بالكيل وأشيـاء أخـرى تبـاع بالوزن ، وقد بينهـا لنـا اليلدي فقـال أنَّ النقود والذهب والفضة تبـاع بالوزن" أمـا سـائر الأمور الأخـرى" كـالقمح والشعير وكل ما تؤدى منه زكـاة الفطر تبـاع بالكيل" ، وهنـاك أمور أخرى تبـاع كيلا ووزنـا كالحب لكن المتعـارف عليه عند النـاس هو الكيل (2) .

ومن المكـاييل المعروفة في الدولة الزيرية القفيز ، والقفيز حسب المقديسي هو اثنـان وثلاثون ثمنـا والثمن ستة أمداد بمد النبي صلى الله عليه وسلم أي 32 × 6 = 192 مدا نبويـا (3) .

في حين يرى البكري أن القفيز بالقيروان ومـا جـاورهـا ثمـاني ويبـات والويبة أربعة أثمـان والثمن ستة أمداد بمد أوفى من مد الرسول صلى الله عليه وسلم وتكون الزيـادة في القفيز كله اثني عشر مدا فالقفيز في القيروان على حسب البكري يسـاوي 8 × 4 × 6 + 12 = 204 مدا نبويـا (4)

ويوافق القلقشندي المقدسي ويقول أن القفيز ستة وعشرون ويبة والويبة تسـاوي اثنـا عشر مدا قرويـا فالقفيز يـسـاوي 192 مدا قرويـا (5) ويكون القلقشندي هنـا سـاوى بين المد القروي والمد النبوي فالقفيز يسـاوي 192 مدا نبويـا .

وكان القفيز الواحد يساوي 32 ثمنـا وكل ثمن يسـاوي 6 أمداد من مد النبي صلى الله عليه وسلم ، و يسـاوي 201.877 لتر ، هذا في القيروان وهي نفس القيمة التي يساويهـا في تونس (6) .

ومن المكـاييل أيضـا نصف القفيز ففي عهد الفقيه البهلول بن راشد (*)فقد أمر البهلول بأنَّ يشتري له ربع نصف قفيـز" (1) وهذا يدل على وجود نصف القفيز وربع القفيز وهو نصف النصف لأن قولنـا الربع قد يخلطهـا مع وحدة أخرى هي الربـع وهنـاك

(**)دانية :وهي مدينة بشرق الأندلس وهي على البحر أنظر : الحميري :صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب روض المعطـار في خـبر الأقطـار ، نـشر و تعليـق وتـصحيح ليفـي بروفنـسـال ، دار الجيـل ، ط2 بـيروت لبنـان ، 1408هـ/1998م ص76.

(1) أوليفيا ريمي كونستبل :المصدر السابق ص133.

(2)اليلدي : المصدر السـابق ، ص ص 58-60

(3) المقديسي : المصدر السـابق ، ص 240 .

(4) البكري : المصدر السـابق ، ص 26 .

(5) القلقشندي : المصدر السـابق ، ج5 ، ص114 .

(6) فالتر هنتس : المرجع السـابق ، ص 68 .

وحدة أخرى وهي النصف التي تحدث عنهـا البهلول بن راشد وهي تسـاوي ثمن القفيز وربمـا يكون هذا المكيـال بقي مـستعملا في العهد الزيري .

ومن المكـاييل المد ، والمد الشرعي حفنة من البر أو غيره بكلتي اليدين مجتمعتين من ذي يدين متوسطتين بين الـصغر والكـبر (2) ،وكان في إفريقية الزيرية مد نبوي نسبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ومد قروي نسبة إلى القيروان ، وقد سئل الفقيه السيوري هل المد النبوي مسـاو للمد القروي فأجاب أنهـا ليسـا متسـاويـين (3) .

وكـان المد النبوي تؤدى به الزكـاة وهو لا يزيد عن رطل ونصف ولا يقل عن رطل وربع ،أي يكون تقريبـا رطـل وثلـث ، والرطل يسـاوي اثني عشر أوقية فالمد النبوي يسـاوي ستة عشر أوقية (4) ، أما المد القروي فإن أثنى عشر مدا منه هو يسـاوي ويبـة واحدة وستة عشر ويبة تسـاوي قفيز(5)

ومن المكـاييل أيضـا الربع ويذكره المقدسي على انه ثمانية عشر رطلا (6) ، وإذا اعتبرنا أن الأرطـال هنـا بغدادية يكون الربـع 18 × 308.8 = 6.854 كلغ وهو مختلف عن ربع القفيز (7)، وهنـاك أيضـا الثمن وهو على حسب المقديسي سـتة أمـداد بمـد الرسول صلى الله عليه وسلم (8) ، في حين البكري ذكر الثمنة وهي تسـاوي ستة أمداد بمد أوفى من مد النبي صلى الله عليه وسلم (9) .

ومن المكاييل أيضـا الصـاع وهو أربعة أمداد بمد الرسول صلى الله عليه وسلم ويسـاوي الصـاع خمسة أرطـال وثلث رطـل عراقي ، ومن المكـاييل أيضـا الوسق وهو يعـادل ستون صـاعـا بإجمـاع العلمـاء بصـاع النبي صلى الله عليه وسـلم فالوسـق يسـاوي 240 مدا نبويـا (10) .

(*)البهلول بن راشد (128-182هـ /745-798م) وهو من أصحـاب مـالك قـال عنه هذا عـابد بلده سمع منـه الإمــام سحنون أنظر : ابن فرحون المـالكي : المصدر السـابق ، ج1 ، ص315 .

(1) القاضي عيـاض : المصدر السـابق ، مج1 ، ج1 ، ص 332 .

(2)الونشريسي : المعيـار ، ج11 ، ص 144 .

(3) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص73 .

(4) كمـال السيد أبو مصطفى : جوانب من حضارة المغرب ، ص 81 .

(5) مجهول : تقييد جديد حول النقود والأوزان والمكـاييل المغربية ، تقديم وتحقيق محمد الشريف ضمن كتـاب الغرب الإسلامي نصوص دفينة ودراسـات ، كلية الآداب والعلوم الإنسـانية جـامعة عبد الملك السعدي ، ط2 ، تيطوان ، 1999 ، ص 90 .

(6) المقدسي : المصدر السـابق ، ص240 .

(7) جودت : المرجع السـابق ، ص 186 .

(8) المقدسي : المصدر السـابق ، ص 240 .

(9) البكري : المصدر السـابق ، ص 27 .

(10) يحي بن عمر : النظر والأحكـام ،ص 39 ، مجهول : تقييد جديد حول النقود ، ص 90 ، جودت:المرجع السـابق ، ص187 ، كمـال السيد أبو مصطفى : جوانب من حضارة المغرب ، ص82 .

ومن المكـاييل أيضـا القلبة وهي ثمن الصـاع، وهنـاك الويبة وهي تستعمل لكيل الحبوب (1) ، وهي على حسب البكري أربعة أثمـان والثمنة ستة أمداد بمد أوفى من مد النبي صلى الله عليه وسلم أي 4 × 6 = 24 مدا قرويـا فالويبة حسب البكري 24 مدا قرويـا (2) ، أمـا الويبة في بـاغـاية فهي 64 مدا نبويـا أي قفيز ونصف قفيز من مكـاييل قرطبة (3) .

ومن المكـاييل المعروفة آنذاك مكيـال فـاطمي يسمى الدوار وهو أرفع بقليل من الويبة المصرية وصفة الدوار أنـهـا تـشتمل في جزئهـا الأعلى على عـارضة معدنية متصلة بالقـاع بواسطة محور عمودي مرتكز على قطعة حديدية تدور حول فتحة المكـاييل وعند امتلاء المكيـال يتم تدوير القطعة الحديدية التي تسوي المحتوى بمستوى الفتحة وتسمح بالتعرف على الكيل المضبوط (4) .

ومن المكـاييل الكر وهو مكيـال ذكره أبو المهلب بن سليمـان القيسي في كتـابً أدب القـاضي والقـضـاةً إذ جـــاء في إحدى فتاواهً لو أن رجلا أشهد على نفسه بكر حنطةً ومنه يفهم أنه كـان لكيل الحبوب ومن المكـاييل القسط وهو يستعمل في كيـل الزيت والسوائل (5) ، وهو في العراق ستون قفيزا ، وأربعون أردبـا في مصر (6) ، ولا توجد لدينـا معلومـات حـول قيمـة هـذا المكيـال في إفريقية .

ومن المكـاييل المطر والمطيرة وهو حسب مـا دلنـا عليه البكري كيل يسع خمسة أقفزة من الزيت وقفيز الزيت ثلاثـة أرطــال فلفلية وعليه فإن المطر يسـاوي 15 رطلا فلفلية (7) .

وهنـاك القلة وهي من مضـاعفـات المطر وهي ثلاثة أمطـار أي 3 × 5 = 15 قفيز زيت ، و 15 × 3 = 45 رطلا فلفليـا ، وهنـاك الحفنة وهي ملأ كفي رجل من ذي الأيدي المعتدلة و وضعهمـا جنبـا إلى جنب ، وهنـاك القبضة وهي ملأ كـف واحـدة مضمومة (8) .

أمـا بالنسبة للموازين فإن الميزان العـادل يجب أن يتصف بصفـات منهـا أنه يكون مثقوبـا في قصبته ، ويكون الثقب موسـع الجهتين مشرك الوسط ويعمه مسمـار ، أمـا صفـات الميزان المغشوش فيكون ثقبه في اللسـان أو في القصبة وغير مـشرك في الوسـط ويكون مسمـاره رقيـقـا (9)

وكـانت الأوزان عـادة تصنع من الرصـاص ويطبع عليهـا اسم الحـاكم ويعـاد طبعهـا من حين لأخر ويعـاقب كل مـن يتلاعب بـها أو يغش في الأوزان ، وقد اتخذ الفـاطميون بعض الأوزان من الزجـاج وكـانوا يطبعونـها وتسمى صنجـا ومفردهـــا صنجة (10) .

---

(1) موسى لقبـال : المرجع السـابق ،ص 73 ، جودت : المرجع السـابق نص 187 .

(2)البكري : المصدر السـابق ،ص 26 .

(3)إدريس : المرجع السـابق ، ج2 ، ص 264 .

(4) المرجع نفسه ،ج 2 ، ص 263 .

(5)جودت : المرجع السـابق ، ص 189 .

(6) مجهول : تقييد جديد حول النقود ، ص 90 .

(7)البكري : المصدر السـابق ، ص 27 .

(8)جودت : المرجع السـابق ، ص 189 .

(9) السقطي : في آداب الحسبة ، مطبوعـات معهد العلوم المغربية ، الجزء 21 المطبعة الدولية ، بـاريس ، 1931 ، ص 14 .

(10)جودت : المرجع السـابق ، ص 183 .

ومن الموازين المعروفة في العهد الزيري الأوقية وهي أربعون درهمـا بدراهم الكيل(*)، والدينـار يسـاوي عـشرة دراهـم ، فالأوقية تسـاوي 4 دنـانير (1) .

ومن الموازين المعروفة الرطل وقد كـان قبل العهد الفـاطمي يسـاوي 140 درهمـا أي 406.52 غ لكنه في العهد الفـاطمي والزيري ارتفع وزنه إلى 140 درهمـا أي أصبح وزنه 437.5 غ (2) ،و كـان يصنع الرطل من النحـاس ويكتب عليه اسـم أمـير المؤمنين والغرض من ذلك القضـاء على الغش (3) .

والأرطـال تختلف من منطقة إلى أخرى وقـال المقدسي ً أن الموازين في بلاد المغرب كـانت أرطـالا بغدادية إلا مـ ـا كـ ـان يوزن به الفلفل ً والرطل الفلفلي يزيد عن البغدادي بعشرة دراهم (4) .

والرطل في تونس يزن 12 أوقية ويسـاوي 16 درهم (5) ، بينمـا الرطل المستعمل في القيروان لوزن اللحم والتين يسـاوي عشرة أرطـال فلفلية (6) .

أمـا القلقشندي فيقول عن زنة الأرطـال ً كل رطل ستة عشر أوقية والأوقية واحد وعشرون درهمـا (7)

ومن الموازين أيضـا المن وهو لم يذكر بصفة مبـاشرة وإنمـا جـاءت في قول الجغرافيين فالأصطخري يتكلم عن ً من ً بغداد يقول أن ً المن مستعمل بجميع فـارس وعـامة مـا دخلته من أمصـار المسلمين ً (8) ، ونفهم من هذا أن الأمصـار التي زارهـا الأصطخري يستعمل فيهـا المن البغدادي .

ولقد وصف ابن حوقل المن الأصغر بفـارس وقـال أنه كمن العراق وهو بعـامة أمصـار وبلدان المسلمين أمـا وزن المـن فهـو يسـاوي (9) أي 260 ×2.975 = 773.5 غ(10) أمـا المقدسي فيقول أن ً المن معروف في جميع بلاد المسلمين غير أنهم يـسمونه

(*)درهم الكيل هو الذي تركب منه الأوقية والرطل والمد والصـاع ويحقق قدر كل واحد منهـا به ، مجهول :تقييد جديد حول النقود ، ص 83 .

(1)يحي بن عمر : النظر والأحكـام ، ص38

(2)فـالتر هنتس : المرجع السـابق ، ص 36 .

(3)جودت : المرجع السـابق ، ص 181 .

(4)المقدسي : المصدر السـابق ، ص 240 .

(5)إدريس : المرجع السـابق ،ج2 ، ص 264 .

(6) البكري : المصدر السـابق ، ص 27 .

(7)القلقشندي : المصدر السـابق ،ج5 ، ص 114 .

(8)الأصطخري : المصدر السـابق ، ص 94 .

(9)ابن حوقل : المصدر السـابق ، ص 263 .

(10)جودت : المرجع السـابق ، ص 182 .

رطلاً ورطل العراق يســاوي نصف المن (1) أي أن المن يســاوي 382.5 × 2 = 765 غ (2) .

ومن الموازين أيضــا القرسطون وكــان يستعمل في وزن الدراهم والفلوس (3)

وهنــاك المثقــال وهو يعتبر وحدة وزن يعــادل وزنــا الدينــار تقريبــا في حين كــان درهم الكيل يعــادل درهم الوزن (4) ، ويكون وزن المثقــال 3.722 غ وبذلك يكون وزن الحبة 0.0787 غ (5) ، وهنــاك الأوقية وهي كذلك تختلف من مكــان إلى آخر ويكون وزن الأوقية الشرعية على 119 غ وحسب ابن حوقل فإنــا تكون 478 ÷ 15 = 31.86 غ وحــسب المقدســي تكــون 380.8 ÷ 12 = 31.72 غ (6)

كل هذه الموازين كــان النــاس يتعــاملون بــا في أسواق المدن ، أمــا أسواق القرى البعيدة عن المدينة فإن بيــع الموزونــات فيهــا من لحم وسمن وخضر وفواكه يكون بالتقريب ودون ميزان وذلك نــاتج عن الضرورة وشدة الحــاجة ، وكــان من عــاداتم في شراء الحبوب أنه لا يكتــال من بــائعه حتى يهز الصــاع في كيله ويحركه في يده ، قد كــان الفقهــاء المغــاربة يرون أن ذلــك مــن الغرر ولذا رأوا كراهة الوزن بذه الطريقة (7) .

أمــا بالنسبة لقيــاس المســاحة فكــانت تقــاس بالزوج وهو مــا يعــادل المســاحة المحروثة بواسطة دابتين مقرونتين في موســم واحد ، كمــا كــانت تقــاس بالميل الذي يــشتمل علــى 1000 خطــوة ، والخطــوة تــســاوي 1.45 م أي ثلاثــة أذرع (8) وهنــاك أيضــا الفرسخ وهو يســاوي 5250 م وهنــاك أيضــا اليوم والمرحلة (9) .

وحسب الإدريسي فاليوم والمرحلة يســاويان 25 ميلا حيث قــالً وكذلك من قسنطينة إلى مدينة بجــاية ستة أيــام ، أربعة منهــا إلى جيجل ، ومن بجــاية إلى جيجل خمسون ميلاً (10) ، وهنــاك أيضــا الشبر والقبضة و الإصبع (11)وهي تــســاوي في العهــد الحفصي الذراع 0.48 م و الشبر 0.24 م والقبضة 0.08 م والإصبع تســاوي 0.02 م(12) .

---

(1)المقدسي : المصدر الســابق ، ص 99 .

(2) جودت : المرجع الســابق ، ص 182 .

(3) كمــال السيد أبو مصطفى : جوانب من حضــارة المغرب ، ص82 .

(4)إدريس : المرجع الســابق ، ج2 ، ص 263 .

(5) ڤالتر هتس : المرجع الســابق ، ص 11 .

(6)جودت : المرجع الســابق ، ص 181 .

(7)كمــال السيد أبو مصطفى : جوانب من حضــارة المغرب ، ص 74 .

(8) إدريس : المرجع الســابق ، ج2 ، ص 267 .

(9) رشيد بورويبة : الدولة الحمــادية تــاريخهــا وحضــارتــا ، ديوان المطبوعــات الجــ ـامعية + المركــز الــوطني للدراســ ـات التــاريخية ، الجزائر ، 1977 ، ص 149 .

(10)الإدريسي : المصدر الســابق ، ص 167 .

(11)إدريس : المرجع الســابق ،ج2 ،ص 267 .

(12) بورويبة : المرجع الســابق ، ص 147 .

وربمـا تكون هذه الوحدات المستعملة في العهد الحفصي قد استمدت من الزيريين الذين سبقوهم ، لكن يبقى هذا مجرد افتراض لأنـه لا توجد دلائل على ذلك .

7/السكة :

عرفت الدولة الزيرية أنواع من النقود كـان يتعـامل بـها ، فقد تعـامل سكـان الدولة بسكة الفـاطميين ، ثم سكة الاستقلال ثم سكة ملوك الطوائف وسنحـاول التعرف على هذه الأنواع .

والسكة كمـا عرفهـا ابن خلدون هي" الختم على الدنـانير والدراهم المتعـامل بـها بين النـاس بطابع من حديد ينقش فيه صورا أو كلمـات مقلوبة ويضرب على الدنـانير والدراهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليهـا ظاهرة مستقيمة" وتكون الدنـانير والـدراهم على شكل دائري والكتـابة فيهـا متوازية يكتب في أحد الوجهين أسمـاء الله تليلا وتحميدا والصلاة على النبي صلى الله عليه وسـلم ، ويكتب في الوجه الآخر التاريخ واسم الخليفة (1)

وكانت الدنانير والدراهم تضرب في دور الضرب ومنهـا دور الضرب الموجودة في المهدية والقيروان (2) ، وقد سهلت النقود عملية التبـادل التجـاري ولم يكن اختلاف العملة عـائقـا أمـام العمليـات التجـارية إذ أن النقود تكون مقبولـة في الدولـة الأخـرى وكـان يراعى في النقود الأجنبية الوزن لا العد (3) ، ولذا كـانت مراطلة النقود واستبدالهـا جـائز ، وقد سئل الفقيه أبو زيد القيرواني عن مراطلة الدراهم بالدراهم ثم وجد في أحدهـا زيوف هل ينقض البيع فأجـاب بنقض البيع على قدر الزيوف فقط (4) .

و الدنـانير تكون ذهبية والدراهم فضية ، ويتجزأ الدينـار الذهبي إلى نصف الدينـار وربع الدينـار (الربـاعي) وثمن الدينـار (الثمـاني) وسدس الدينـار (السدس) ، وكـان صرف الدينـار ثمـاني دراهم من الفضة ، ويتجزأ الدرهم الفضي إلى نصف الدرهم (القيراط) وربع الدرهم ، وثمن الدرهم ، ونصف ثمن الدرهم ويسمى (الخروبة) ، والخروبة تصنع من النحـاس وكـانت المبـادلات تتم بـها في جربة (5).

وكـانت السكة الزيرية تضرب باسم الخليفة الفـاطمي قبل الاستقلال وكـانت النقود المضروبة في القـاهرة والنقود المـضروبة في إفريقية لا تتميز إلا بمكـان الضرب (6).

و النقود عبـارة عن قطع مستديرة تفصل بين نصوصهـا حلقـات من خطوط معدنية يتراوح قطرهـا بين 20 ملم و 22 ملـم أمـا وزنـا فهو إمـا 3.62 غ أو 4.36 غ وكـانت هذه القيمة طوال حكم بلكين بن زيري (361 –373 هـ/972-984 م) و المنصور بن بلكين (373-386 هـ/984-996 م) وبـاديس بن المنصور (386-406 هـ/ 996-1016 م) وفترة المعز بن بـاديس (406-454 هـ/1016-1062 م) حتى سنة 439 هـ/ 1047 م وقد كـانت هذه النقود تدل على التبعيـة الزيريـة للفـاطميين وهذا مـا يفهم من العبـارة التي كتبت في الوجه الأول على الهـامش الخـارجي" علي أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين" (7) ، كمـا في نقود أخرى عبـارة" علي خير صفوة الله" وضربت هذه الكلمة على نقود الخليفة الفـاطمي العزيز (365-386 هـ

---

(1) ابن خلدون : المقدمة ، ص ص 183-184 .

(2)البرزلي : المصدر السـابق ، ج3 ، ص 157 ، الونشريسي : المعيـار ، ج6 ، ص 74 .

(3)جودت : المرجع السـابق ، ص 236 .

(4)البرزلي : المصدر السـابق ، ج3 ، ص 352 .

(5)إدريس : المرجع السـابق ، ج2 ، ص ص 256-261 .

(6) المرجع نفسه ، ج 2 ، ص 148 .

(7)صـالح بن قربة : المسكوكـات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حمـاد ، المؤسسة الوطنية للكتـاب ، الجزائـر ، 1986 ، ص ص 475-476 .

/ 975-996 م) كمـا كتبت على الهـامش الداخلي لنموذج من الدنـانير المضروبة في المنصورية أعوام (367 هـ/ 977 م) (369 هـ/ 979 م) (370 هـ/980 م) (375 هـ/ 985 م) (376 هـ/ 986 م) (377 هـ/ 987 م) (380 هـ/ 990 م) إلى (387 هـ/ 997 م) ، وبنفس النقوش على النقود المضروبة في المهدية أعوام (366 هـ/ 976 م) (369 هـ / 979 م) (370 هـ/980 م) (371 هـ/ 981 م) (372 هـ/986 م) (373 هـ/ 983 م) (1) .

وكـانت كلمةً علي ولي اللهً قد كتبت على دنـانير الخليفة الفـاطمي العزيز أعوام (767 هـ/977 م) (368 هـ/978 م) (369 هـ/979 م) (374 هـ/984 م) (375 هـ /985 م) (376 هـ/986 م) (378 هـ/988 م) إلى سـنة (385 هـ/995 م) كمـا كتبت على نقود الحـاكم بأمر الله (386 -411 هـ/996 -1020 م) في مركز الوجـه الثـاني وعلى الدراهم المضروبة في المنصورية أعوام (389 هـ/998 م) (394 هـ/1003 م) (401 هـ/1010 م) (404 هـ/1013 م) (2)

كمـا دونت هذه العبـارة على نقود الخليفة الظـاهر (411 –427 هـ/1020 – 1035 م) بنفس المكـان مـن مركـز الوجه وعلى النقود المضروبة في المنصورية (414 هـ/ 1023 م) إلى (429 هـ/ 1037 م) كمـا نقشت نفس العبـارة وفي نفس المكـان على نقود ذهبية ضربة في زويلة عـام (414 هـ/ 1023 م) (3) .

كمـا نقشت هذه العبـارة على السطر الأخير من كتـابـات مركز الوجه على النقود الذهبية المضروبة في المنصورية أعوام (430 هـ/ 1038 م) إلى (436 هـ/1044 م) و (438 هـ/ 1046 م) وفي نفس المكـان على النقود المضروبة في المهدية أعوام (437 هـ /1045) (439 هـ/1047 م) (450هـ/ 1057 م) (451 هـ/1058 م) (453 هـ/ 1059 م) (4)

كمـا كتبتً غبطة من اللهً على دنـانير تعود إلى 415 هـ / 1024 م على الوجه والظهر ، وكـانت غبطة في مركز الوجه و كلمة من الله في مركز الظهر ، وربمـا كـان هذا الشعـار يدل على الرخـاء الاقتصـادي الكبير الذي عرفته إفريقية في عهد المعز بـن بـاديس (406 –454 هـ/1016 – 1062 م) (5)

والملاحظ على النقود المضروبة بين(439 – 440 هـ/1047 – 1048 م) أنه أدخل عليهـا تغيير في اسـم المنـصورية الـتي أنشأهـا المنصور الفـاطمي(299 – 341 هـ/911 – 952 م) وعوضت باسمهـا القديم صبرة (6).

وقد قـام المعز بن بـاديس (406 – 454 هـ/ 1016 – 1062 م) بإرسـال سؤال إلى الفقيه أبو بكر(*)يقول فيه مـا حكم الصلاة ولبس الطرز التي فيهـا أسمـاء بني عبيد كالظـاهر والحـاكم فقـال الفقيه بأن الـسؤال أحمق فسأله المعز عن سبب هذا الجواب فقـال لأن السكة تضرب باسمهم وبنودهم تخفق فوقك فقـال المعزً والله مـا أبقيـت الـسكة

(1)عـاطف منصور محمد رمضـان : الكتـابـات غير القرآنية على النقود الإسلامية في المغرب والأندلس ، مكتبة زهراء الشرق ، ط1 ، القـاهرة ، 2002 ، ص 180 .

(2) المرجع نفسه ، ص ص 184-186 .

(3)نفسه ، ص 188 .

(4)عـاطف منصور : المرجع السـابق ، ص 190 .

(5) المرجع نفسه ، ص 346 .

(6) إدريس : المرجع السـابق ، ج2 ، ص 149 .66

(*)أبو بكر : ربمـا يكون الفقيه أبو بكر بن عبد الله بن أبي زيد لأنه كـان واليـا على القضـاء في هذه الفترة ، أنظر القـاضي عيـاض : المصدر السـابق ، مج2 ، ج4 ، ص717

والبنود إلا لأجل الحجـاج والمسـافرين" (1) ، ثم أقدم عـام 441 هـ / 1049 م على تغير السكة ونقش على سكته الآية الكريمة " ومن يبتغ غير الإسلام دينـا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخـاسرين" (2) ، وهذا مـا اعتبره الخليفة الفـاطمي خروجـا عـن طـاعته ودفعه إلى القول" والله لأرمينه بجيوش لا أتحمل فيهـا مشقة" وسمح للعرب بعبور النيل إلى المغرب (3) .

والشيء الملاحظ هو أنه ورغم إلغـاء الدنـانير الفـاطمية إلا أن الأسواق في القيروان وغيرهـا من المدن الزيرية لم تتـأثر بـذا الإلغـاء والسبب يرجع إلى أن دار السكة ضربت كميـات كبيرة كفت الطلب وزادت (4) .

وكـانت نقود الاستقلال هذه تندد بالفـاطميين وترميهم بالكفر ، وهذه النقود تجسد الاسـتقلال السـيـاسي والمـذهبي عـن الفـاطميين ومن ميزاتـا أنـا نقشت إلى جـانب الآية السـابقة الآية الكريمة " يـا أيهـا النبي إنّـا أرسلنـاك شـاهدا ومبـشرا ونذيرا وداعيـا إلى الله" (5) .

وهذه الآية نقشت لأول مرة على النقود المغربية ، وهي تمثل اتجـاهـا سنيـا صريحـا ، ومن ميزات نقود المعز بن بـاديس هـذه أنه لم يقم بنقش اسمه ولقبه على السكة كمـا كـان يفعل الأغـالبة والفـاطميون ، كمـا أنه استعمل في الكتـابة الخط الكوفي البسيط ولم يستعمل الخط الكوفي المعروف ، والسبب يرجع إلى كون الخط الكوفي المورق يرمز إلى المذهب الشيعي الإسمـاعيلي ، في حين الخـط الكوفي البسيط يرمز إلى المذهب السني (6) .

كمـا ظهرت كلمة" العزة" على النقود التي ضربـا المعز بن بـاديس في أعوام (441 هـ/ 1049 م) إلى(448 هـ/1056 م)والسبب في كتـابة عز الإسلام على النقود هو إبراز الاستقلال السيـاسي والمذهبي عن الفـاطميين الشيعة ، والـدخول في طـاعة العبـاسيين السنة ،كمـا ظهرت عبـارة عز الإسلام مرة أخرى على نقود يحي بن تميم (501-509 هـ/1108-1116 م) الـتي ضربت في صبرة والقيروان عـام (505 هـ/ 1111م) .

وقد سمي الدينـار الذي ضربه المعز بن بـاديس بـ" الدينـار التجـاري" (7) ، وربمـا يكون السبب وراء تسمية هذا الدينـار بالتجـاري هو لأجل استعمـاله في كل المعـاملات هذا من الجهة والدفع به إلى الرواج من جهة أخرى .

وقد أقدم المعز بن بـاديس عـام (449 هـ/1057 م) إلى إعـادة ضرب نقود جديدة بعد خضوعه من جديد إلى الفـاطميين ، وهذه الدنـانير تشبه دنـانير الفترة الأولى والفرق بينهمـا يكمن في مدينة الضرب إذ أصبحت تضرب في مدينة المهدية وجـاءت تحمل نقود وخصـائص مـا قبل الاستقلال (8)

وبذا رجعت الدولة الزيرية إلى حضن الدولة الفـاطمية وإعـادة ضرب النقود بأسمـاء ملوكهم بعد قطيعة مـن (441هـ ـ إلى 449 هـ/ 1049م إلى 1057 م) .

---

(1) الدبـاغ : المصدر السـابق ، ج3 ، ص 167

(2) الآية 35 من سورة آل عمران .

(3)لسـان الدين ابن الخطيب : المصدر السـابق ، ص ص 74-75 .

(4) سعد زغلول عبد الحميد : تـاريخ المغرب الكبير ، نشأة المعـارف ، الإسكندرية ، بلا تـاريخ ، ج 3 ،ص 393 .

(5) الآية 44 من سورة الأحزاب .

(6)صـالح بن قربة : المرجع السـابق ، ص 486 .

(7)ابن عذارى : المصدر السـابق ، ج 1 ، ص 278 .

(8)صـالح بن قربة : المرجع السـابق ، ص 495 .

وبعد الهجرة الهلالية تعددت العملات ومـا يدل على ذلك سؤال طرح على الفقيه السيوري ونصه أن رجلا أوصى بدنـ ـانير ولم يذكر صنفهـا وفي البلد سكك مختلفة ومتسـاوية النفـاق (1)

وبعد خضوع إفريقية لأمراء الطوائف استبد بنو جامع من بني هلال بقـابس وبنو الرند من مغراوة بقفصة ، وبنو مليل من برغواطة بسفـاقس ، وبنو خرسـان بتونس وبني الورد من لخم ببـ رت (2) ، وكـانت النقود تضرب باسم ملوكهم وكـان ذهبهم دون الذهب المصري في الجودة فهو ينقص عنه في السعر (3) ، بل أصبح صـاحب السكة يضربـا لنفسه ويبيعهـا للنـاس وهم لا يعلمـون مـ ـا فيهـا من فضة (4) ، ومن العمـلات الرائجة الدنـانير الرشيدية نسبة إلى رشيد بن كـامل من بني جامع صـاحب سفـ ـاقس (5) ، وهنـاك الدنـانير التميمية والدنـانير السفـاقسية المسمـاة بالربحية ، ودنـانير إفريقية تسمى الثلثية ولواتية وسوسية وهنـاك دنـ ـانير مرابطية وطرابلسية (6)

أمـا بالنسبة للدراهم فقد كـانت هنـاك دراهم قديمة وجديدة ، فقد سئل الفقيه أبو إسحـاق التونسي عن مراطلـة الـدراهم القديمة بالدراهم الجديدة ، فأجاب بجواز ذلك (7) ، وكـان وزن القديمة والجديدة واحدا إلا أن القديمة مغشوشة بالنحـ ـاس في حين الجديدة خالصة الفضة ، وكـان سعر عشرة دراهم قديمة يسـاوي ثمـانية دراهم جديدة (8) .

ومـا يمكن ملاحظته على السكة الزيرية هو وجود الزيوف بـا وهذا مـا نفهمه من سؤال طرح على أبو زيد القـيرواني حـول مراطلة الدراهم بالدراهم فوجد بـا زيوف (9) ، ولذا لجأ التجـار الأجـانب إلى بيع سلعهم بالدنـانير المتداولة في البلد ثم يقدمون بعد ذلك على شراء العملة المتداولة دوليـا وخـاصة الدنـانير المرابطية (10) .

ومـا يمكن ملاحظته على السكة الزيرية هو أنـا مرت بمراحل : مرحلة التبعية الفـاطمية وهي لا تختلف عنهـا إلا في مكـ ـان الضرب ، و مرحلة الاستقلال وفيهـا استقلت السكة الزيرية استقلالا تـامـا عن السكة الفـاطمية ثم رجعت في المرحلة الثـ ـالثة إلى التبعية الفـاطمية من جديد ، وبعد سيطرت العرب الهلالية على إفريقية أصبح لكل أمير سكة خـاصة به ، وهذا مـا دفع إلى تشبيه هذا الوضـع بالوضـع السـائد في الأنـدلس وسمـي عهـد ملـوك الطوائـف . لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنـا هو مـادامت للدولة الزيرية سكة خـاصة بـا فهل كـان التعـامل يتم بالسكة فقط أم هنـ ـاك طرق أخرى للتعـامل ؟

---

(1) البرزلي : المصدر السـابق ، ج 3 ، ص485 ، الونشريسي : المعيـار ، ج9 ، ص 372 .

(2) حسن حسني عبد الوهـاب : ورقـات ، ج1 ، ص449 .

(3) القلقشندي : المصدر السـابق ، ج5 ، ص 124 .

(4) البرزلي : المصدر السـابق ، ج6 ، ص 161 .

(5) حسن حسني عبد الوهـاب : ورقـات ، ج1 ، ص 450 .

(6) البرزلي : المصدر السـابق ، ج3 ، ص 314 ، الونشريسي : المعيـار ، ج8 ، ص 207 .

(7)البرزلي : المصدر السـابق ، ج3 ، ص 310 .

(8) القلقشندي : المصدر السـابق ، ج5 ،ص 124 .

(9)البرزلي : المصدر السـابق ، ج3 ، ص 352 ، الونشريسي : المعيـار ن ج6 ، ص 104 .

(10)أمين توفيق الطيبي : المرجع السـابق ، ص 65 .

لقد كـان التعـامل وخـاصة في أوقـات الجدب عند أهل البـادية يتم بالدين فهم يقومون بشراء مـا يلزمهم وإذا حل وقـت الحصـاد قـالوا لدائنيهم لا نملك إلا الطعـام فيلجأ أصحـاب الدين إلى أخذ الطعـام خوفـا من ذهـابه نتيجة لفقرهم وقد أفتى بجواز هذا البيع فقهـاء المذهب المـالكي عدا المـازري (1) .

ومن طرق التعـامل غير نقدي مـا روى لنـا ابن حوقل عن طريقة التعـامل بالصكوك وقـال أنه رأى في أودغـشت صكـ ـا ذكر فيه حق على تـاجر من أودغشت وهو من أهل سجلمـاسة وفيه اثنين وأربعين ألف دينـار وكـانت هذه الطريقة يتعـامل بـها في المغرب فقط ولهذا قـال ابن حوقلً ومـا رأيت ولا سمعت بهذه الحكـاية شبهـا ولا نظيرا وقـد حكيتهـ ـا بـالعراق وفـ ـارس وخرسـان فاستطرفتً (2) .

ومن طرق التعـامل أيضـا طريقة تبـادل البضـائع بغير الدفع وهذه الطريقة تحدثنـا عنهـا وثيقة من وثـائق الجنيزة وتذكر بأن هذه الطريقة كـان يتعـامل بـها كل تجـار البحر المتوسط (3) .

ومن هنـا يمكن أن نقول أن طرق التعـامل في الدولة الزيرية كـانت متعددة فقد تعـاملوا بالنقد كمـا تعـاملوا بالـصكوك ، وتعـاملوا أيضـا بالطرق المعروفة في ذلك العهد كالمقـايضة .

8/الحسبة :

ولهـا عدة تسميـات فهنـاك صـاحب السوق ، أحكـام السوق ، صـاحب المظـالم ، الحكمـاء ، الأمنـاء ، وكل هـذه التسميـات موروثة عن الأغـالبة ، ويكون المصطلح المتداول في القرن الرابع الهجري صـ ـاحب الـسوق ، أو أحكـ ـام الـسوق وصـاحب المظـالم ، ولم يتداول مصطلح المحتسب ، وكـان صـاحب السوق يعين من قبل القـاضي أو قـاضي القضـاة (4)

والحسبة هي الأمر بالمعروف إن ظهر تركه والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله والإصلاح بين النـاس (5) .

وكـان صـاحب السوق يعرف بالمحتسب لأن أكثر نظره كـان يتم في الأسواق من غش وخديعة وتفقد المكـاييل والموازين (6).

وخطة الحسبة تعود في سلطتهـا المذهبية إلى مذهب السلطة الحـاكمة ،فكـان المحتسب في الدولة الفاطمية شيعيـا (7) ، أمـا في الدولة السنية فكـانت مصـادر الحسبة تعتمد على موطأ الإمـام مـالك وهو عبـارة عن أحـاديث الرسول صلى الله عليـه وسـلم وأقوال الصحـابة والتـابعين وأهل المدينة ومختلف الفروع ،كمـا اعتمدوا على الأسدية وهي لأسد بن الفرات (213هـ ـ -828م) و العتبية وهي لمحمد بن أحمد بن عبد العزيز الأندلسي (ت 255هـ -868م)والتي سمـاها الفقهـاء المستخرجة ،كمـ ـا اعتمـدوا علـى

---

(1) البرزلي : المصدر السـابق ، ج3 ، ص 169 .

(2) ابن حوقل : المصدر السـابق ، ص 96 .

(3) جوايتـاين : المرجع السـابق ، ص 239 .

(4) بوبة مجـاني : دراسـات إسمـاعيلية ، مطبوعـات جـامعة منتوري ، قسنطينة ، 2002 ، 2003 ، ص ص 49 -50 .

(5)المـاوردي : كتـاب الأحكـام السلطانية والولايـات الدينية ، تح سمير مصطفى ربـاب ، المكتبة العـصرية ، بـيروت 2001 ، ص260 ، الونشريسي : كتـاب الولايـات والمنـاصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية ، نشر وتعليق محمد الأمين بالغيث ، مطبعة لافوميك ، بلا تـاريخ ، ص28 ، ابن الأخوة : معـالم القربة في أحكـام الحسبة ، نقل وتصحيح روبن ليوى ، مطبعة دار الفنـون ، كيمبرج ، 1937 ، ص 07 .

(6) الونشريسي : المعيـار ، ج10 ، ص 77 ، الولايـات ص77

(7) بوبة مجاني: دراسات إسماعيلية ص51 .

كتــاب الموازية لمحمد بن إبراهيم الإسكندري المعروف بابن المواز (ت 269هـ 882م)والذي تعتبره المالكية أهم كتــاب ألف في المذهب من حيث صحة المســائل و مراعــاة الشمول (1).

أمــا في الأريــاف والبوادي فقد كــانوا يبعثون أمنــاء الأشراف على المعــاملات اليومية وكــان أبو سعيد سحنون بــن ســعيد التنوخي (*) أول من قــام بهذا العمل وقد واصل من جــاء بعده بهذا العمل وحتى الشيعة ولكن بصبغة مذهبية ، ونلاحظ أن حــاكم السوق الذي يعمل في البــادية يسمى بالأمين أمــا الذي يعمل في الحضر فيسمى صــاحب السوق (2).

وهنــاك جملة من الشروط يجب أن تتوفر في المحتسب وهي أن يكون مسلمــا حرا بــالغــا عــاقلا قــادرا عــادلا (3) ، كمــا يجب أن يكون ذكرا فلا تجوز الحسبة للمرأة (4) ، ويجب أن يكون قــائمــا مع الحق متفقهــا في الدين ويكون عليمــا عــارفــا بجزئيــات الأمور وأن يكون بعيدا عن الطمع ولا يخــاف في الله لومة لائم (5) ، ويكون فطنــا لا يرتشي فتسقط هيبتــه ولا يكــون مــن خســاس النــاس ولا من من يأكل أموالهم بالبــاطل كمــا يجب أن يكون ذا مــال وحسب ويجب أن تضرب له أجرة من بيت مــال المسلمين (6) ، ويجب عليه أنّ يمحص نفسه ويترك شهوته ويتبع الفرض ويحكم بالسنة ، ولا يكون ممن أمر غيره ونــاه ، وأهمل نفــسه واتبع هواهً (7) ، ومن صفــاته أيضــا أن يكون لين القول طليق الوجه لأن ذلك أسهل لاستمالة القلوب وبلوغ القصد (8) .

وهنــاك أعمــال عديدة يقوم بــا المحتسب فهو يقيم مــا يرى فيه مصلحة المسلمين من أمور جليلة ويحــارب مــا فيه ضرر من أعمــال قبيحة (9) ، كمــا يقوم أيضــا بإجبار أهل الذمة على لبس الغيــار ، ويلزم الســادة بحقوق العبيد والإمــاء وحقوق البهــائم من علف و حمل فوق الطــاقة (10) ، كمــا يقوم بمنع المصــاب بالجذام من بيع الزيت والخل وســائر الموائع ، كمــا يمنع من بيع لبن

---

(1) موسى لقبال :المرجع السابق ص ص 67.68.

(*)سعيد بن سحنون التنوخي من فقهــاء إفريقية ولي القضــاء فيهــا وبقي قــاضيــا فيهــا حتى مــات سنة 240هـ/854 م ، ابن فرحون المــالكي : المصدر الســابق ، ج1 ، ص ص 37-39 .

(2) بوبة مجاني : دراسات إسماعيلية ص53 .

(3) الماوردي : المصدر السابق ص261 ، ابن الأخوة : المصدر الســابق ، ص ص 67-68 .

(4)اليلدي : المصدر الســابق ، ص 43 .

(5)السقطي : المصدر الســابق ، ص 05 .

(6)ابن عبدون الإشبيلي : رســالة في القضــاء والحسبة ، نشر وتعليق ليفي بروفنســال ضمن الجريدة الأسيوية ، أفريل جوان 1934 ، ص 18 .

(7)ابن عبد الرؤوف : آداب الحسبة والمحتسب ، تح فــاطمة الإدريسي ، دار ابن حزم ، ط1 ، بيروت ، 1425 هـ ـ / 2005 م، ص 25 .

(8)ابن الأخوة : المصدر الســابق ، ص14 .

(9)اليلدي : المصدر الســابق ، ص 44 .

(10)الونشريسي : الولايــات ، ص 29 .

غنمه ويرد بيعه إذا باعه ويكون البيع جائزا إذا علم المشتري بذلك لكن لا يجوز له بيعها في أسواق المسلمين (1) . هذه بعض الأعمال التي يقوم بها المحتسب وهناك أمور أخرى كثيرة من اختصاص المحتسب تكلمت عنها كتب الحسبة بكثير من التفصيل (2) .

وما يمكن قوله عن الحسبة في العهد الزيري أن المصادر التي بين أيدينا لم نعثر فيها على أي إشارة تدل على الحسبة في هذه الدولة لكن هذا لا ينفي وجودها وإنما نقول أن ما يدل عليها يكون قد ضاع ، ولذا قمنا هنا بمحاولة الإسقاط بالاعتماد على كتب الحسبة لمؤلف تونسي وهو يحي بن عمر وإن كان بعيدا نوعا ما عن الفترة الزيرية إلا أنه وبصفتها منطقة جغرافية واحدة فقد تكون الحسبة لم تتغير كثيرا ، وبالإضافة إلى ذلك اعتمدنا على كتب الحسبة الأندلسية وسبب اعتمادنا عليها لكونها متوفرة أولا ثم لأنها تتكلم عن الحسبة على مذهب الإمام مالك وإفريقية الزيرية مالكية المذهب في أغلب فتراتها التاريخية .

الفصل الرابع : التجارة الخارجية :

لقد كان توجه الدولة الزيرية نحو التجارة الخارجية نتيجة طبيعية للتطور الاقتصادي الكبير الذي شهدته هذه الدولة ، وقد نجم عن هذا التطور رخاء اقتصادي واسع تحدثت بعض المصادر عن نماذج منه (3) .

---

(1)يحي بن عمر : أحكام السوق ، ص 129 ، البرزلي : المصدر السابق ، ج3 ، ص 221 .

(2)أنظر : ابن عبدون : المصدر السابق ، ص ص 38-56 ، ابن عبد الرؤوف : المصدر السابق ، ص ص54-87 ، السقطي : المصدر السابق ، ص ص 9-11 ، يحي بن عمر : النظر و الأحكام ، ص ص51-71 .

(3)أنظر : ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، مطبعة النهضة ، تونس ، 1350 هـ ، ص 77 ، محمد بن محمد السراج : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1984 ، المجلد 2 ، ص 69 .

ومن المعروف أن التجارة لا تتطور إلا إذا كـانت الطرق التجـارية متوفرة وآمنة فحركية التبـادل التجـاري تتوقف دومـ ـا على الطرق التجـارية ، وقبل التطرق للطرق التجـارية يجب تحديد الإطـار المكاني للدولة الزيرية هذا رغم صعوبة الضبط المكـاني نتيجة لانحصارهـا تـارة وتوسعهـا تـارة أخرى بسب الحروب فهي تبدأ من طرابلس شرقـا إلى بونة غربـا ومن البحر المتوسط إلى بداية الصحراء جنوبـا .

1/ الطرق التجـارية :

تنقسم الطرق التجارية إلى برية وبحرية .

أ/ الطرق البرية :

لمـا كـانت المراكز التجـارية في إفريقية الزيرية تتركز في الداخل وخـاصة قبل الغزو الهلالي فإن الطرق التجـ ـارية الرئيـسية كـانت طرق داخلية وليست على السـاحل ، وكـانت هذه الطرق كثر عند القيروان (1) .

ومن بين الطرق التجـارية الطريق من القيروان إلى طرابلس وقد قـال المقديسي أنه يبدأ من القيروان وينتهي في طرابلس مرورا بكل من اليسر وكنانة وبئر الزيتونة وقـابس، والفوارة وآبـار دخت وقصر الدرق وبحر الحمـالين وصولا إلى طرابلس(2) ، ويبدو أن هنـاك طريق آخر يربط القيروان بطرابلس والذي تكلم عنه البكري وقـال يمر بقصر الريـاح وطرفي وسفـاقس وغـافق ، وتـاورفي ، وعـين زيتونة وقـابس وصبرة وصولا إلى طرابلس (3) . وتحدث الإدريسي عن الطريق الرابط بين قـابس وطرابلس فقـال أنه على يبـدأ مـن قـابس مرورا بكل من وادي أحنـاس وبئر زنـاتة وتـامدفيت وآبـار العبـاس وتـافنـات وبئر الصفـا وصولا إلى طرابلس (4) .

ومن برقة ينطلق طريق إلى الإسكندرية مرور بكل من قصر الندامة إلى تـاكنست إلى معـار الرقيم إلى جب حليمة إلى واد مخيل إلى جب الميدان إلى جنـاد الصغير إلى مرج الشيخ إلى العقبة إلى حوانيت أبي حليمة إلى خربة القوم إلى قصر الشمـاس إلى سكة الحمـام إلى جب العوسج إلى كنـائس الحرير إلى الطـاحونة إلى حنية الروم إلى ذات الحمـام إلى ثونية إلى الإسكندرية (5)

وهنـاك طريق سـاحلي من الإسكندرية إلى رأس الكنـائس إلى مرسى الطوائف إلى أول جون رمـادة إلى عقبة السلم إلى مرسـى عمـارة إلى الملاحة إلى لكة إلى طبرقة (6) .

وكـان الطريق من القيروان إلى الإسكندرية عـامرا ومـا يدل على ذلك إتصـال العمـارة بين المدينتين والقوافل تمشي فيه لـيلا ونـارا (7) .

وهنـاك طريق آخر من القيروان إلى مسيلة تكلم عنه ابن حوقل وقـال من القيروان إلى جلولا ومنهـا إلى آجر ومنهـا إلى آربس إلى تـامديت إلى تيفـاش ومنهـا إلى القصر الإفريقي ومنه إلى أركوا ومنهـا إلى تيجس ومنهـا إلى نمردوان إلى تـامسنت إلى دكمـة ومنهـا إلى أوسجيت ومنهـا إلى مسيلة وبين المدينة وأخرى مرحلة خفيفة (8) .

---

(1)عز الدين موسى : المرجع السـابق ، ص 306 .

(2)المقديسي : المصدر السـابق ، ص 246 .

(3)البكري :المصدر السـابق ، ص ص 19-20 .

(4)الإدريسي : المصدر السـابق ، ص ص 197-198 .

(5) المصدر نفسه ، ص ص 219-220 .

(6) نفسه ، ص 220 .

(7) عبد الواحد المراكشي : المصدر السـابق ، ص 432 .

(8) ابن حوقل : المصدر السـابق ، ص ص86-87 .

وهنـاك طريق آخر من قفصة إلى قسطيلية إلى نفطة إلى مدالة إلى تـامديت إلى بادس إلى تـاهوذا إلى بسكرة إلى طبنة إلى مقرة إلى مسيلة (1)

ويتكلم الإدريسي عن الطريق الرابط بين القيروان والمسيلة فقـال من القيروان إلى الجهنين إلى سبيبة إلى مرمجـانة إلىمجـ ـانة إلى مسكيـانة إلى بـاغية وصولا إلى المسيلة (2) ، كمـا تكلم الإدريسي عن طريق ثـاني يربط القيروان بالمسيلة وهو نفسه الطريق الأول الذي تكلم عنه ابن حوقل (3)

وهنـاك طريق من القيروان إلى وادي الرمل إلى سبيبة إلى قلعة الديك ومنهـا إلى السكة إلى مجـانة المطـاحن ومنهـا إلى تبـسة إلى مسكيـانة إلى مدينة بـاغـاية إلى فـاسـاس إلى قبر مدغوس إلى بلزمة لمزاتة إلى نقـاوس إلى طبنة إلى مقرة إلى قلعة أبي طويل (4) .

وهنـاك طريق من القيروان إلى مدينة أُبة إلى لربس إلى نـر ملاّق إلى تـامديت إلى تيفـاش إلى القصر الإفريقي إلى واد الدنـانير إلى مدينة تيجس إلى توبوت إلى تـابسلكي إلى النهرين إلى تـامسلت إلى دكمة إلى الغدير إلى قلعة أبي طويل (5)

وينطلق طريق من القيروان إلى الغزة إلى تـاجنة إلى تنيس (6) .

وهنـاك طريق من القيروان إلى جلولا إلى الأربس إلى تيفـاش إلى القصر الإفريقي إلى أزكو إلى البردوان إلى النهريين إلى أوسـحنت إلى المسيلة (7) .

وهنـاك طريق من القيروان إلى الغزة إلى تـاجموت إلى عين الصبحى إلى تـاغريبت إلى ترت (8) .

وهنـاك طريق آخر يربط القيروان بتهرت يبدأ من القيروان إلى الجهنين إلى سبيبة إلى مرمجـانة إلى مجـ ـانة إلى تـيجس ومنهـ ـا إلىمسكيـانة إلى بـاغـاي إلى دوفـانة إلى دار ملول إلى طبنة إلى مقرة إلى مسيلة ومنهـا إلى جوزامنهل إلى هـاز إلى حرتيل إلى ابن مـامة إلى ترت والمسـافة بين المدينة وأخرى مرحلة (9) .

في حين يعطينـا البكري وصفـا مقتضبـا لهذا الطريق وقـال من القيروان إلى الغـزة إلى تـ ـاجموت إلى عـين الـصبحى إلى تـاغريبت إلى ترت (10)

وهنـاك طريق يربط وهران بالقيروان مرورا بقصر منصور بن سنـان ومنهـا إلى أحسـاء عقبة بن نـافع ثم سـاقية بن خـزر ، ومنهـا إلى بنطيوس إلى بسكرة إلى تونا إلى بـاديس إلى قيطون بيـاضة إلىنفطة إلى توزر إلى قفصة إلى فج الحمـ ـار إلى الهرويـة إلى

---

(1) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 87 .

(2) الإدريسي : المصدر السـابق ، ص 195 .

(3) المصدر نفسه ، ص 196 .

(4) البكري : المصدر السـابق ، ص ص 49-51 .

(5) المصدر نفسه ، ص ص 53-54 .

(6) نفسه ، ص 66 .

(7) الإدريسي : المصدر السـابق ، ص 196 .

(8) البكري : المصدر السـابق ، ص 66 .

(9) ابن حوقل : المصدر السـابق ، ص ص 84-86 .

(10) البكري : المصدر السـابق ، ص 66 .

قمونية ثم مذكود إلى جمنوس الصـابون ومنهـا إلى مجدول ثم إلى بني دعـام وصولا إلى القيروان وبين القيروان ووهران ثلاثـة وأربعـون مرحلة (1) .

أمـا بالنسبة للمغرب الأقصى فقد كـان هنـاك طريق تجـاري يربط القيروان بفـاس ويمر بقفصة وقسطيلية وترت ومنهـا إلى فـاس (2) ، ويقول البكري بأن الطريق من القيروان إلى فـاس به أربعون مرحلة وأشهر المدن التي يمر بـها هذا الطريق من فـاس باتجاه القيروان فـاس إلى مرج بن هشـام إلى قلعة جرمـاط إلى تسول إلى تلمسان ومنهـا إلى ترت إلى حصن تـامغيلت إلى حصن موزية إلى المسيلة ومنهـا إلى مقرة إلى طبنة إلى بـاغية إلى مجـانة إلى مرمجـانة وفي الشتـاء يسلك الطريق نحو مسكيـانة إلى تبسة ومنهـا إلى سبيبة إلى الجهنيين إلى القيروان (3) .

وهنـاك طريق من نكور إلى بني يصليتن إلى نر كرط إلى قلوع جـارة إلى وادي ملوية إلى مدينة جراوة ومنهـا إلى القيروان (4) .

وهنـاك طريق يربط القيروان بوجدة مرورا بكل من قفصة وبلاد الجريد وقسطيلية وبلاد الزاب وترت وتلمسـان وصولا إلى وجدة (5) .

أمـا بالنسبة لبلاد السودان فهنـاك طريق صحراوي بين تـادمكة والقيروان يمر بأورجلان وقسطيلية (6) .

وهنـاك طريق أخر بين تـادمكة وغدامس وهو على أربعون مرحلة ومنهـا إلى جبل نفوسة على سبعة أيـام ومنهـا إلى طرابلس على ثلاثة أيـام (7) .

وهنـالك طريق من غـانة إلى أودغست ومنهـا إلى ورجلان (8) .

ومـا يمكن أن نقوله هنـا هو أنه رغم وجود تقـارب زمني بين الجغرافيين الذين وصفوا لنـا الطرق التجـارية إلا أننـا نجد أن هذه الطرق تتغير من وقت إلى آخر، وربمـا يكون العـامل الأمني هو المتحكم في ثبوت و زوال الطرق .

ب/ الطرق البحرية :

كـانت هنـاك طرق بحرية تربط سواحل الدولة الزيرية بالسواحل الأندلسية ، وقد ركز البكري في حديثه عن المراسي علي ذكـر المراسي المغربية ومـا يقـابلهـا من المراسي الأندلسية (9) ،وهذا يدل على الاتصال بين هذه المراسي .

وهنـاك طرق تجـارية تربط سوسة بصقلية وصقلية بتونس وهذا مـا يفهم من سؤال وجه إلى الفقيه ابن شبلون (*) (1).

---

(1) المصدر نفسه ، ص ص 70-75 .

(2) المقدسي : المصدر السـابق ، ص 226 .

(3) البكري : المصدر السـابق ، ص ص 141-146 .

(4) المصدر نفسه ، ص 99 .

(5) الحبيب الجنحـاني : الحيـاة الاقتصـادية في سجلمـاسة ، ص 152 .

(6) البكري المصدر السـابق ، ص 182 .

(7) المصدر نفسه ، ص 99 .

(8) الإدريسي : المصدر السـابق ، ص89 .

(9) البكري : المصدر السابق ص ص 81-88

وكـان هنـاك طريق بحري يربط المهدية بالإسكندرية يبدأ من مرسى المهدية إلى مرسى سلفطة إلى مرسى قبوديـة فمرسـى رأس الجسر إلى مرسى الزرقـاء الكبيرة والصغيرة وهـا جزيرتـان ومنهـا إلى جزيرة قرقنة إلى مرسى رأس الرملة إلى الجرف ومنها إلى قـصر الروم ثم إلى قـابس ثم إلى جربة ثم إلى مرسى الأندلوسين ثم إلى قصر الدرق ثم إلى عقيبلات ثم إلى جبل قنطير ثم إلى مرسى طرابلس ثم إلى رأس الشعراء إلى لبدة ثم إلى رأس فـانـان ثم إلى رأس العبـادي ثم إلى سرت، ثم إلى أجدابية ثم إلى اليهودية ثم إلى حجر عبـدون ثم إلى عين أبي زيـاد ثم رأس أوثـان ثم إلى برقة ثم إلى شقة الفلفل ثم إلى شقة التيس ومنها إلى مرسى درنة ومنهـا إلى مرسى تينى ثم إلى طبرقة إلى جزيرة القرشي ومنهـا إلى الطرفة ومنهـا إلى جزيرة الحمـام ثم إلى وادي ملالي ومنه إلى رأس الملاحة ثم إلى مرسى الزيتونة ومنهـ ـا إلى مرسى عمـارة إلى مرسى السلوم ثم إلى رأس العوسج ثم إلى الكنـايس ومنه إلى الشقر ومنه إلى مرسى الزجـاج ومنـه إلى منـ ـاء الأندلوسين ومنه إلى منـار الإسكندرية (2) وكـانت هنـاك طرق تجـارية بحرية بين إفريقية الزيرية و المدن الإيطـالية خـاصة بيزا وجنوة (3) .

و الملاحظ أنه عندمـا تتوقف الملاحة البحرية في فصل الشتـاء فإن التجـارة تتحول إلى ثلاث قوافل برية تمر من سجلمـاسة إلى القيروان فطرابلس فبرقة حتى تصل إلى مصر وتعمل القوافل البرية على سد الفراغ الذي يتركه توقف الرحلات البحرية (4) .

2/أهم الموانئ :

إذا نظرنـا إلى المخطط العـام لبلاد المغرب نرى شريطـا سـاحليـا يمتد من الشرق إلى الغرب وفي الشرق توجد السواحل الزيرية (5) ، وبسـاحل إفريقية توجد عدة سواحل تجـارية نسعى في هذا المقـام إلى ذكر أهم الموانئ الزيرية .

1/ المهدية :

وهي مدينة بنـاهـا عبيد الله المهدي في نحر البحر بـا سور من الحجـارة ولهـا بـابـان (6) ، وتعتبر المهدية من أكبر الموانئ وكـانت محطة للسفن التجـارية القـادمة من بلاد المشرق والمغرب والأندلس وبلاد الروم (7) ، وهذا المينـاء فقـد مكـ ـانته بعـد انتقـال الفـاطميين عن المدينة (8) ، وقد حفر مينـاؤهـا في الصخر ويمتد على 26 متر على 57 متر مع ممر يبلغ عرضه حـوالي 15 مترا (9) ، وهذا المينـاء يتسع لثلاثين سفينة وعلى طرفي المرفأ برجـان عليهمـا سلسة إذا أريد إدخـال سفينة أرسل أحد طرفي السلسلة

(*)ابن شبلون عبد الخـالق بن أبي سعيد من فقهـاء القيروان وكـان مفتي بـا له كتـاب المقتصد ، توفي سنة 391هـ ـ /1000 م وقيل سنة 390 هـ / 999 م ، القـاضي عيـاض : المصدر السـابق ، مج2 ، ج4 ، ص 528 .

(1) البرزلي : المصدر السابق ج3 ص647 .

(2)البكري : المصدر السـابق ، ص ص 85-86 .

. (2)George Jehel : Gène et Tunis au moyen âge , on l'alternative de la guerre et de la paix , in Cahier de Tunisie N° 169, 170 et 3 trimestre , 1995, tome XL VIII , p 91 .

(4)جوايتـاين : المرجع السـابق ، ص 219 .

(5) موريس لمبـار : المرجع السـابق ، ص 94 .

(6)ابن حوقل : المصدر السـابق ، ص 73 .

(7) البكري : المصدر السـابق ، ص 30 ، الإدريسي : المصدر السـابق ، ص 182 .

(8) ابن حوقل : المصدر السـابق ، ص 73 .

(9) موريس لومبـار : المرجع السـابق ، ص 99 .

حتى تدخل السفينة ثم مدت والهدف من ذلك هو منع مراكب الروم من الدخول إليهـا (1) ، فهي حصن منيع أكثرهـا في البحر والجزء الذي يقع في البر له أربعة أبراج ، على كل برج أربعين رجلا لحمـايتهـا (2) ، وقد وصفهـا ابن سعيد بقولهً مستطيلة في البحر وهـو دائر بـها في غير مكـان واحد ضيقً (3) .

2/ سفـاقس :

وقـال عنهـا البكري أنـهً مدينة على البحر مصورةً (4) وأسوارهـا من الحجـارة وأبواب عليهـا صفـائح من حديد وقد وضع على أسوارهـا محـارس (5) ، وهي مدينة تقصدهـا السفن وقت تحرك الجزر وتغـادرهـا مع المد (6) .

3/ سوسة :

وكـانت تصنع بـها المراكب البحرية (7) ،وهي مدينة أحـاط بـها البحر من ثلاث جهـات شمـالا وجنوبـا وشرقـا ، وعليهـا سور منيع من الصخر وبـها منـار عـال اسمه خلف الفتى ، ولهـا ثمـانية أبواب أحدهـا كبير جدا منـه تـدخل الـسفن وتغـادر (8) .

4/ تونس :

لهـا بحر يقـال رادس ومرسـاهـا يسمى مرسى رادس (9) ، ومدينة تونس خـارج البحر ولذا يصلهـا بالمينـاء واد ، وتصل المراكب إلى مينـاء رادس ثم تدخل إلى النهر واحدة واحدة لأن النهر لا يتسع لأكثر من واحدة (10) ، أمـا ابن سعيد فقـال يـسمح للمراكب الصغيرة فقط بالدخول إليهـا ولا ترسوا فيهـا المراكب الكبيرة (11) .

5/ طبرقة :

---

(1) البكري : المصدر السـابق ، ص 30 ، يـاقوت الحموي : المصدر السـابق ، ج4 ، ص 696 .

(2) النويري : المصدر السـابق ، ص350 .

(3) ابن سعيد : المصدر السـابق ، ص 144 .

(4) البكري : المصدر السـابق ، ص 19 .

(5) الإدريسي : المصدر السـابق ، ص 181 .

(6) البكري : المصدر السـابق ، ص 20 .

(7) إسمـاعيل العربي : المرجع السـابق ، ص 232 .

(8) البكري : المصدر السـابق ، ص 34 .

(9) البكري : المصدر نفسه ، ص 37 .

(10) الإدريسي : المصدر السـابق ، ص 187 .

(11) ابن سعيد : المصدر السـابق ، ص 140 .

وبها ميناء إليه يصل أهل الأندلس ومنه يركبون (1) ،فهي مدينة عامرة لورود التجار إليها وبالإضافة إلى مينائها بها نر تدخله السفن الكبار وتخرج منه إلى البحر (2) ، ومن هذا الميناء كان يحمل الخشب والقصب الفارسي إلى تونس (3) .

6/ جربة :

ذكر البكري الميناء الموجود في جزيرة جربة وقال بأن مراكب جزيرة جربة كانت تخرج منه إلى مرسى الأندلسيين (4) ، وكان من هذا الميناء ينطلق الزيت المصدر إلى مصر ، كما كانت المراكب التي تتوجه إلى بلاد الروم لتمويل سكان صقلية وإيطاليا و إنكبوردة وقلورية بالزيت تنطلق منه (5) .

7/ طرابلس :

وهي على شاطئ البحر (6) ، وقد كانت المراكب تصل إليها ليلا ونهارا محملة بمختلف أنواع التجارات وعلى مر الأيام وتأتي هذه المراكب من بلاد الروم ومن أرض المغرب (7) .

3/ وسائل النقل :

اختلفت وسائل النقل بين برية وبحرية ، والشيء المشترك بينهما هو أن الكراء فيهما يكون بالضمان كما يمنع التأجيل في المضمون وإذا كان على صاحب الوسيلة تأجيل الرحلة فعليه إرجاع ثمن الكراء كاملا ، كما يجب عليه تعين وقت السفر (8)

أ/ وسائل النقل البري :

ذكر المقدسي أن التجار المغاربة كانوا يستعملون في تنقلاتم التجارية الأحمرة المصرية والبغال (9) ، وهذا ما يرد أيضا في أسئلة قدمت إلى فقهاء العهد الزيري ومن ذلك سؤال قدم إلى الفقيه أبو زيد القيرواني عن من اكترى دابة من مصر إلى برقة ذهابا وإيابا ثم ذهب إلى إفريقية فأجاب بأن ربها مخير بين أخذ نصف الكراء مع قيمة الدابة يوم التعدي أو أخذ الكراء من برقة

---

(1) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 76 .

(2) البكري : المصدر السابق ، ص 57 .

(3) ابن سعيد : المصدر السابق ، ص 143 .

(4) البكري : المصدر السابق ، ص 85 .

(5) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 73 ، البكري : المصدر السابق ، ص 20 .

(6) البكري : المصدر نفسه ، ص 07 .

(7) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 72 .

(8) أبو بكر بن عاصم : متن العاصمية المسمى : تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام على مذهب الإمام مالك ، المطبعة الثعالبية ، ط1 ، الجزائر ، بلا تاريخ ، ص 189 .

(9) المقدسي : المصدر السابق ، ص 226 .

إلى إفريقية ذهـابـا و إيـابـا (1) ، كمـا سئل الفقيه المـازري عن من اكترى دابة وذهب بـها إلى المكـان المتفق عليه وحمل عليهـا فمـات الدابة من غير تفريط فأجـاب إن كـان ذلك من غير تفريط فلا ضمـان عليه مع يمينه على ذلك (2) .

ومن وسـائل النقل البري أيضـا الجمل والحصـان ، فالجمل كثير الاستعداد لهذه المهمة لخصـائصه المهمـة ، والحـصـان لـه خـاصية مهمة جدا وهي السرعة لكنه لا يستطيع تحمل مشـاق الصحراء (3) .

والسبب الذي دفع إلى استعمـال الجمل والحصـان هو تضـاريس المغرب التي جعلت الاتصـال بين مدنه أمرا عـسيرا ، ومـن المرجح أن التجـار الكبـار كـانوا يملكون وسـائل نقل البضـائع فيسيرون في قوافل منفردة أو مشتركين (4) ، وكـانت القوافـل تنطلق في وقت ومكـان معين وكل من يريد السفر مع الرحلة توجه إلى مكـان اجتماع المسافرين ، ويكون انطلاق الرحلة في وقت محدد والمقدم هو الذي يتحكم في زمن الانطلاق ويقوم بضرب الطبل معلنـا عن بداية الرحلة (5) ، والقـافلة المشتركة قد تضم ألف دابـة ، ويقوم أحد التجـار بدفع المصـاريف ومغـارم القـافلة ثم يتحصل فيمـا بعد على الثمن من الآخرين (6) ، ولا يشترط في المسـافرين مع القـافلة أن يقصدوا مكـانـا واحدا بل يمكن الانفصال عنهـا في أي مكـان ، كمـا يمكن لأي مسافر أن ينضم إلى القـافلة ، وكـان السبب وراء الترحـال مع القـافلة هو البحث عن الأنس والأمن من قطـاع الطرق ، وكـان للقـافلة دليـل لـه خـبرة بالطريق(7) .

ب/ وسـائل النقل البحري :

كـان التجـار يفضلون السفر بحرا على السفر برا وقد جـاء في إحدى رسـائل الجنيزة المؤرخة بعـام 535هـ /1140م أن يهوديـا إيطـاليـا كـان في طرابلس وأراد السفر إلى قـابس فنصحه أصدقـائه بأن يبحر على ظهر سفينة كبيرة كـانت مبحـرة إلى صقلية وتقطع الرحلة في حـالة الهدوء ثمـانية أيـام ثم يتحول إلى سفينة كبيرة أخرى متجهة إلى المهديـة ومنهـا إلى البلـدة الـتي يريدهـا ، وإذا نظرنـا إلى الإشـارات في وثـائق الجنيزة حول السفر برا وبحرا ، فإن إشـارات السفر بحـرا تفـوق خمـسين مـرة الإشـارات للسفر برا ، وربمـا يرجع السبب في ذلك إلى كون عدد كبير من الوثـائق جـاءت في النصف الثـاني عشر وهي الفترة التي تعرضت الطرق البرية فيهـا للاضطراب بسبب الزحف الهلالي (8) .

وكـانت تستعمل في النقل البحري السفن والمراكب وقد سئل الداودي عن أجر المركب الذي ترده الريح فأجاب بأنه لا شيء على المسـافرين فيه أما أبو عمران الفاسي فأجاب بأنه عمل أصحاب المركب لا يذهب بـاطلا (9) .

ويقوم التـاجر بكراء مركب لنقله وسلعته ويتعهد المؤجر بنقل التجـار وسلعته في رحلة خـاصة ويوضح فيهـا الطريق ويـشحن المواد خلال الرحلة ويقوم المستأجر بدفع المبلغ سواء استأجر المركب كله أو جزءا منه ، ويمكن للمؤجر أن لا يسافر مع الرحلة إذ أنه يمكن

---

(1) البرزلي : المصدر السـابق ، ج3 ،ص 628 .

(2) المصدر نفسه ، ج3 ،ص 641 .

(3) جودت : المرجع السـابق ، ص 314 .

(4) عز الدين موسى : المرجع السـابق ، ص 286 .

(5) جودت : المرجع السـابق ، ص211 .

(6) عز الدين موسى : المرجع السـابق ، ص286 .

(7) جودت : المرجع السـابق ، ص212 .

(8) جوايتـان : المرجع السـابق ، ص ص217 ، 218 .

(9) البرزلي : المصدر السـابق ، ج3 ، ص641 .

أن يؤجر عددا من المراكب في وقت واحد و لهذا كـانت المراكب تسير بإمرة قبطـان (ربـان السفينة)، ولهذا كـانت العلاقـات بين المستأجر والمؤجر منتظمة ومرتبة منذ لحظة الإيجـار وإلى تفريغ الحمولة في المكـان المقصود ، وكـان للمستأجر الخيـار بين عقدين الأول مصنف تحت اسم" مضمون" أي ضمـانة للمستأجر لا تحدد كل مـادة مضمونة ، والثـاني تحت صيغة" تعين" حيث يجب هنـا ذكر أنواع الحمولة مقدمـا ، وهنـا في حـالة غرق القـارب أو احتراقه يقوم القضـاة بتحديد الثمن بنـاء على مـا ذكر في العقـد . (1)

وكـان يشـار إلى المراكب بألقـاب أصحـابـا لا بأسمـائهم فهنـاك مركب السلطـان ، ويبدو من هذه التسمية أنه ملـك لحـاكم تونس (2) ، وهنـاك مركب القـائد ، وهنـاك أسماء أخرى للسفن مثل الميمون والمبـارك ، وهي على مـا يبـدو سـفن حكومية كمـا أشارت رسـائل الجنيزة إلى السفن التي كـانت تملكهـا " السيدة الجليلة" وربمـا كـانت هي السيدة" أم العلو" أخت المعز بن بـاديس والتي كـان مهرها مليون دينـار اشترت به سفن (3)، وكـانت هنـاك سفن خـاصة يمتلكهـا أشخـاص وهذا مـا يفهم من أسمـائها حيث كـانت تسمـى بأصحـابـا أو ربـانـا أو أسمـاء خيـالية مثل" سـفينة الجزار" وربمـا سميت بذا الاسم لسرعتهـا في قطع الأمواج ، وأسمـاء أخرى مثل" عبور" و" عروس" وسميـت في حـالات نـادرة بأسمـاء الموانئ ومثـال ذلك" المركب البنـزرتي" وهو ملك لرجل من بـ رت (4) .

ومن أنواع السفن التي ذكرت في الرسـائل الجنيزة السفن الملاحية المسمـاة " العنبر" وكـانت مخصصة لنقل البضـائع الثقيلة والركـاب ، كمـا وجد نوع آخر يعرف" بالغراب" وهي سفينة تسير بمجاديف أو بدونـا وتستخدم للسفر والنقل ، وهنـاك نـوع شـائع من السفن في البحر المتوسط وهي" الخ يرة" ولا علاقة لهذا الاسم بالحيوان المعروف ، كمـا عرفت هذه السفينة باسم" الدوامـة" وتأكد وجودهـا في صقلية وتونس وطرابلس ومصر ، وقد أوردت رسـائل الجنيزة خبر سفينة من نوع " الخ يرة" قـادمة من إفريقية و مبحرة في نر النيل ، كذلك نجد كلمة" الشخطور" وقد أوردت وثيقة من وثـائق الجنيزة مؤرخة بعـام 525هـ/1130م أن سـفينة من نوع " الشخطور" قـامت برحلة من الإسكندرية إلى ألمرية بالأندلس في ظرف خمسة وستين يومـا ، وقد وصلت قبـل سـفينتين أخرتين أقلعتا معها في وقت واحد ، وهذا يدل على سرعتها ، وقد ورد ذكر" الشخطور" بصفة خـاصة على الطريق الرابط بـين تـونس وطرابلس ومصر ، وكذلك نجد اسم" الحجم" وهو نوع من السفن كثيرة الإبحـار بين صقلية ومصر مرورا بسواحل الدولة الزيرية كمـا استخدم نوع آخر في هذا الطريق عرف باسم" القرابة" بمعنى الصندوق (5) .

ومن هذه الأسمـاء تكون رسـائل الجنيزة قد ذكرت اسم 150 مركبـا من مراكب المسلمين في القـرن الخـامس الهجـري الحـادي عشر الميلادي ، وكـان هذا عندمـا كـانت السيطرة على البحر المتوسـط للـدول الإسـلامية (6) . 4/

الفنـادق :

تستعمل المصـادر العربية كلمة " فندق" للتعبير عن مقر إقـامة التجـار المسيحيين وهي نفس الكلمة المستعلمة في الوثـائق اللاتينية ، وهي ليست الكلمة نفسهـا المتداولة اليوم ، بل هي تعني الحي الكبير أو مدينة صغيرة (1) ، وتكون فيهـا أبنية من عدة طوابق تخصص

(1) أوليفيـا ريمي كونستبل : المرجع السـابق ، ص ص 195-196 .

(2) أمين توفيق الطبي : المرجع السـابق ، ص 67 .

(3) جوايتـان : المرجع السـابق ، ص242 .

(4) المرجع نفسه ، ص245 .

(5)نفسه ، ص ص 222-223 .

(6) أمين توفيق الطيبي : المرجع السـابق ، 67 .

الطوابق العليـا للسكن في حين تكون الطوابق الأرضية مخـازن وحوانيت (2)، وكـانت الفنـادق تسمى بأسماء أصحابـها أو بأسمـاء السلع التي تباع فيهـا (3)،فهنـاك فنـادق نسبت إلى تجـارة مرسيليا وهناك فنـادق نسبت إلى تجـارة جنوة(4) وهنـاك فندق سمي بفندق" الكتـان" وفندق آخر عرف باسم فندق" الفحم"(5) ، وربمـا يكون هذا مـا يقصده ابن حوقل حين قـال " يقصد كل فنـدق بمـا يعلم أنه يغلب على أهله من أنواع التجـارة" (6) .

ومـا يمكن ملاحظته على الفنـادق أنـها كـانت متجـاورة ففنـادق كل من بيزة وجنوة والبندقية متجـاورة لكن لا يـسمح للتجـار بالانتقـال من فنـادقهم إلى الفنـادق الأخرى ويفصل بينهم بسور (7) .

وغـالبـا ما تكون الفنادق في ضواحي المدن كمـا هي في الفنـادق الموجودة في زويلة ضـاحية المهدية (8) .

وقـد كـانت الفنـادق تحتوي على مقر سكن القنصل و كنيسة و مقبرة و فرن ومكـان كـاتب العدل وربما يكون فيه حمـ ـام عمومي(9).

و كـانت الفنـادق الموجودة في كثير من الأحيـان ملك لأشخـاص،فقد سئل الفقيه المـازري عن شريكين في فنـدق تـوفي أحدهما و ترك ورثة ثم توفي الآخر وترك ورثة و قد أدى هذا إلى وقوع نزاع بين الورثة على الفندق (10)،كـ ـما كـ ـانت هنـ ـاك فنـادق ملك للدولة ،وكـانت الإقـامة في الفندق تكلف التـاجر غـاليا فهو يقوم بتسليم أمواله لصـاحب الفندق و هو يشتري لـه مـا يريد ،و يمكن أن يشتري له جـارية إذا أراد ذلك (11) .

---

(1) القـادري بوتشيش : تـاريخ الغرب الإسلامي قراءات جديدة في بعض قضـايـا المجتمع والحضـارة ، دار الطليعـة للطبـ ـاعة والنشر ، ط1 ، بيروت ، 1994 ، ص 95 .

(2) سـامي سلطـان سعد :الجاليات الإيطـالية التـجارية في المغرب الإسلامي حتى نـهاية القرن الرابع عشر الميلادي ، مقـال منشور في مجلة سيرتـا ، دار البعث للطبـاعة والنشر ، قسنطينة ، السنة السـادسة ،العدد 10، أفريل 1988، ص 95 .

(3) عبد العـالي عبد المنعم الشـامي : المرجع السـابق ، ص158 .

(4)القـادري بوتشيش : تـاريخ الغرب الإسلامي قراءات جديدة في بعض قضـايـا المجتمع والحضـارة ، ص95 .

(5) جودت : المرجع السـابق ، 243 .

(6) ابن حوقل : المصدر السـابق ، ص 362 .

(8)Mas-Latrie : traites de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les Arabes de l'Afrique septentrionale au Moyen-Age, Paris 1827p186.

(8) Mas-Latrie :Ibid ,p 82 .

(9)القادري بوتشيش : تاريخ الغرب الإسلامي قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة ،ص95 .

(10) البرزلي :المصدر السابق ، ج3 ، ص97 .

(11) جودت :المرجع السابق ، ص244.

وقد تحدثت المصـادر الجغرافية عن الفنـادق التي وجدت في المدن الزيرية ومن ذلك مـا قـاله ابن حوقل " وكـانت هنـ ـاك خـانـات و فنـادق في المهدية" (1)،وربمـا تكون هي نفسهـا الفنـادق التي تكلم عنها الإدريسي عند كـلامه مـن زويلـة ربض المهدية التي قـال عنهـا ": و بمدينة زويلة فنـادق كثيرة" (2) ،وأشـار ابن حوقل إلى فنـادق سوسة (3).

وتحدث البكري عن فنـادق المدن الزيرية و ذكر تقريبـا كل المدن التي بـا فنـادق فقـال عن قـ ـابس" وكـ ـانت بـ ـا فنـادق" (4)،ويكون وصف يـاقوت الحموي مشـابا لوصف البكري حين قـال" وكـانت هنـاك مجموعة من الفنـادق في قـابس" (5).

وقد ذكر البكري فنـادق في مدن أخرى فأشـار إلى فنـادق في مدينة القصر القديم ،ثم تحدث عن مدينة" قلشـانة التي تبعد عن القيروان بعشرين ميلا و بـا عشرين فندقـا" ، وقـال أن في مدينة تمـاجر فندق واحد (6)،وقـال عن تونس أن بـا" فنـادق كثيرة" (7)،وهو مـا قالـه عن مستنير عثمـان و فنـادق بـاجة (8).

وذكر أن في مدينة فج الحمـار فندق واحد ،أمـا مذكود ففيهـا فنـادق عدة (9)و قرية جهنين فيهـا فنـادق كثيرة ،بينمـا سـاقية ليس فيهـا فندق واحد (10).

و مـا دامت الفنـادق عبـارة عن منشـآت تجـارية و سكنية للتجـار الأجـانب في حي تجـاري (11)،فالسؤال الذي يطرح نفسه هنـا هو هل كـان التجـار المسلمون حين سفرهم إلى أوربـا يقيمون في فنـادق بـا ؟.

لقد شغل السفر إلى بلاد الكفر بـال الفقهـاء منذ القدم و هذا ما دفع بفقهـاء المذهب إلى الإفتـاء بأنه لا يجـوز لأحـد مـن المسلمين الدخول إلى أرض الشرك لغرض التجـارة و غيرها إلا في حـالة واحدة و هي مفاداة مسلم من الأسر فإذا جعلهـا لغير ذلـك وهو طـائع غير كـاره فان إمـامته تسقط وشهـادته لا يعتد بـا (12)، ومن هنـا يمكن أن نقول بأنه مـا دام السفر إلى بلاد الكفر حرام ويؤدي ذلك إلى درجة سقوط الشهـادة هذا بمجرد السفر فمـا بـالك بالإقـامة في بلاد الكفر .

---

(1) ابن حوقل :المصدر السابق ، ص73.

(2) الإدريسي : المصدر السابق ، ص184.

(3) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص74.

(4) البكري :المصدر السابق ، ص20.

(5) ياقوت الحموي :المصدر السابق ، ج4 ، ص03.

(6) البكري :المصدر السـابق ، ص28-29.

(7)المصدر نفسه ، ص56.

(8) نفسه ، ص56.

(9) نفسه ، ص75.

(10)نفسه ، ص146.

(11) عبد العـالي عبد المنعم الشـامي :المرجع السـابق ، ص157.

(12) أبو عبد الله محمد الرهوني الوزاني : الرسـالة الوجيزة المحررة في أن التجـارة إلى أرض الحرب وبعث المـال إليهـا ليس من فعـل البررة ، تح وتخريج وتعليق أبي اويس محمد بوخبزة ، أبو الفضل بدر الدين عبد الإله العمراني،نشر في كتـاب ضم أجوبة عن مـسـائل مختلفة وأربعون حديثـا في الجهـاد وشرحهـا ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت 1424 هـ/2003م ، ص 159 .

لكن رغم صدور هذه الفتـاوى التي تحرم التعـامل مع بلاد الكفر إلا أن التعـامل معهم ظل قـائمـا وكـانت هذه الفتـاوى أحكـامـا فقهية غير مطبقة في الواقع ، ومـا دام التعـامل موجود فمن المحتمل وجود فنـادق للتجـار المسلمين داخـل الـدول المتعـامل معهـا .

فبنيـامين التيطلي في رحلته تكلم عن منـاطق عدة ومنهـا منطقة مونبولييه وقـال عنهـا" يجتمع فيهـا التجـار من نصـارى ومسلمين ومن مختلف الأقطـار من عدوة الغرب ولمبردية ومهـالك رومية الكبرى وفلسطين" وبلدان أخرى ثم يقول بأنم" يتكلمون بكـل لغة ولسـان" وتكلم عن نغروبنت وقـال" بلدة كبيرة على شـاطئ البحر يؤمهـا التجـار من كل حدب وصوب" (1)

ومن هذا يمكن أن نقول أن مـادام بنيـامين التيطلي يتحدث عن هذه المدن التجـارية التي يقصدهـا التجـار المسلمون من كـل مكـان فهذا يعني أن هذه المدن تحتوي على فنـادق لأنه لا يمكن دخول التجـار وخروجهم من المدينة في نفس اليوم ويمـارسون البيـع والشراء .

5/ منـاطق التبـادل التجـاري (العلاقـات التجـارية):

سعت الدولة الزيرية إلى إقـامة علاقـات تجـارية مع مجموعة من الدول بهدف تصدير الفـائض من إنتـاجهـا وجلـب مـا ينقصهـا من سلع ومن الدول التي أقـامت معهـا علاقـات تجـارية :

أ/مصر :

أقـامت الدولة الزيرية علاقـات تجـارية متميزة مع مصر و أكبر دليل على هذه العلاقـات هو اتصـال العمـارة من القـيروان إلى الإسكندرية وعلى مسـافة خمسة وأربعون مرحلة ، وكـانت القوافل تمشي ليلا ونـار (2) ،وقد قـام الفـاطميون عند انتقـالهم إلى مصر بتشجيع أعداد كبيرة من التجـار المغـاربة وخـاصة من قبيلة كتـامة على السفر إلى مصر بغرض الاستفـادة مـن خـبرتم التجـارية (3) ، ومن دلالات العلاقـات الجيدة و المتميزة بين الزيريين والفـاطميين في مصر إقدام المعز بن بـاديس عـام 420هـ / 1029م على إرسـال هدية جليلة إلى الظـاهر لإعزاز دين الله 411-427هـ /1020-1035م ، تمثلـت في عـشرين جـ ـارية حسنـاء ومعهم جـارية تفوقهن حسنـا ، وبعث له ثلاث جيـاد من الخيل الثمينة سرج الأول بسرج من ذهب وسرج الثـاني من لؤلؤ ، والثـالث سرج بسرج من ذهب ، كمـا بعث له ثلاثة آلاف قنطـار من الزعفران وعشرون خـادمـا وألف وخمسمـائة ثوب من سـائر ألوان الخز المغربي ، ومن الرمـاح مـا لا يعد ومن الأقفـاص المملوءة بالسيوف مثل ذلك ، ومن الثيـاب السوسي والعمـ ـائم الصقلية عدة آلاف وفي جملة الهدية ألف قنطـار من الذهب ، ثم أرسل له هدية أخرى سنة 424 هـ/1032 م هدية اشتملت على أربعة سبـاع وعشرون كلبـا سلوقية وعدة نمور وشمع كثير ومتـاع جم من ثيـاب الخز والثيـاب السوسي والصقلي والزعفران وعبيد وغير ذلك (4) .

وكـانت العلاقـات التجـارية بين الزيريين والفـاطميين في بعض الأحيـان تتوتر رغم التبعية ومن أمثلة ذلك إقدام الحـ ـاكم الفـاطمي الحـاكم بأمر الله(386-411 هـ / 991-1020 م) عـام 403هـ/1012م على منع بيع الزبيب الوارد من إفريقيـة

(1) أحمد الشحـان : رحلة ابن يونة الأندلسي التيطلي ، مقـال منشور في كتـاب الرحلة بين الشرق والغرب اتصـال أم انفـصـال (ندوة) ، منشورات كلية الآداب ، ط1 ، الربـاط ، 2003 ، ص 192 .

(2)عبد الواحد المراكشي : المصدر السـابق ، ص 432 .

(3) عطية القوصي : المرجع السـابق ، ص 24 .

(4) القـاضي الرشيد بن الزبير : الذخـائر والتحف ، تح محمد عبد الله ، تقديم ومراجعة صـلاح الدين المنجد ، دار المطبوعـات والنشر ، الكويت ، 1959 ، ص ص 59-74 .

في هذه السنة ، كمـا رفع المكوس على الغلات الواردة إلى مصر وخـاصة الرطب والصـابون والحرير (1) ، ممـا أدى إلى تضـاؤل التبـادل التجـاري بين الفـاطميين و الزيريين .

كمـا أن الظروف السيـاسية سـاهمت في التقليل من حجم التبـادل التجـاري خـاصة بعد انفصـال الزيريين عن الفـاطميين وإقدام المعز بن بـاديس على سك العملة سنة 441 هـ/1049 م وتحريم تداول العملة الفـاطمية (2) .

وقد سـاءت العلاقـات التجـارية كثيرا بعد عـام 446 هـ/1054 م وذلك لأن الغزوات الهلالية أوقعت خرابـا ودمـارا ونبت الأراضي الزراعية الواقعة بين قـابس و بونة ، كمـا أن الصنـاعة لاقت نفس المصير ، وقد أدت أعمـال التخريب إلى قطـع طريق البريد بين سبتة والإسكندرية (3)

ويرى إدريس أنه على الرغم من القطيعة بين الزيريين و الفـاطميين إلا أن ذلك لم يؤثر على العـلاقات و الطرق التجـارية الـتي خربت مع الغزو الهـلالي إذ أن هذه الطرق قد تحولت إلى بحرية ،و اعتبر إدريس أن مصر كـانت تعتبر نقطة انطـلاق بين العـلاقـات التجـارية بين حوض المتوسط و الشرق الأقصى فمصر هي نقطة الوصل بين الشرق الأقصى و إفريقية (4)

و قد عـادت العـلاقـات التجـارية إلى سـابق عهدها مع عودة الدولة الزيرية إلى حضن الفـاطميين ،فقد أقـدم المعـز بـن بـاديس عام 452هـ/1060م إلى إرسـال هدية إلى الخليفة الفـاطمي المستنصر بـالله 427 –487هـ/1035-1094م قومت بأربعين ألف دينـار و من جملتها ورقة مكللة بالجواهر كـانت للمهدي الفـاطمي (5).

ب/مع الشرق :

عندمـا نقول المشرق فإن مصر تعتبر دولة مشرقية لكن نتيجة للعـلاقـات الكبيرة بين مصر و إفريقية تكلمنا عنهـا كعـلاقة مـستقلة دون أن تكون في ظل الكـلام عن المشرق ،و رغم وجود عـلاقـات تجـارية بين الدولة الزيرية و دول المـشرق إلا أن المعلومـات حولها قليلة ،و السبب في ذلك يرجع إلى أن مصـر كـانت تعتبر نقطة عبور رئيسية بين المشرق والمغرب (6).و قد كـان للتجـار المغـاربة دور كبير و هـام في نقل السلع نحو المشرق خصوصـا الأحجـار الكريمة (7)

و نستنتج من بعض الفقرات التي وردت في المصـادر الجغرافية وجود علاقـات تجـارية بين إفريقية الزيرية وبلاد المشرق فقد ذكر الإدريسي أن زيت زويلة" يتجهز به إلى سـائر بلاد المشرق"(8) وهذا يدل هنـا على العلاقـات بـين إفريقيـة و دول المـشرق دون استثنـاء فهذا الزيت يصل إلى الشـام و العراق و الحجـاز .

---

(1)أبو عبد الله محمد الصنهـاجي : أخبـار ملوك بني عبيد وسيرتم ، تح وتعليق جلول أحمد بدوي ، المؤسـسة الوطنيـة للكتـاب ، الجزائر ، 1984 ، ص 63 .

(2) لسـان الدين ابن الخطيب : المصدر السـابق ، ص ص 74-75 ، حسن خضري أحمد : المرجع السـابق ، ص 128 .

(3) أرشبـاد لويس : القوى البحرية والتجـارية في حوض البحر المتوسط 500-1100 ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربـال ، مكتبة النهضة المصرية ، القـاهرة ، مؤسسة فرانكلين للطبـاعة والنشر ، ص 385 .

(4) إدريس :المصدر السابق ،ج2 ، ص ص 286-288 .

(5) القاضي الرشيد بن الزبير :المصدر السابق ، ص76.

(6) إدريس :المرجع السابق ، ج2 ، ص 288.

(7) موريس لومبار :المرجع السابق ، ص ،321.

(8) الإدريسي :المصدر السابق ، ص184.

كما أن العلاقـات التجـارية مع المشرق قد تدخل في الإشـارات العـامة التي تتحدث عنها المصـادر مثل قول البكـري عـن سفـاقس" يقصدها التجـار من الآفـاق" (1) ،وهذا أيضـا يدل على وصول التجـار من المشرق إلى المغرب و هذا دليل على العلاقـات التجـارية بين المشرق وإفريقية .

والإدريسي يتكلم عن قـابس فيقول بأن" زيتهـا يتجهز به إلى سـائر النواحي"(2)، و بلاد المشرق مقصودة بذه الكلمـة النواحي ، وقوله عن مرسى الخرز و عن استخراج المرجـان بـه" ويقصد التجـار من سـائر البلاد هذه المدينة فيخرجون منه الكثير إلى جميع الجهات" (3).

والإدريسي هنـا يتحدث عن التجـار الذين يقصدون مرسى الخرز لصيد المرجـان والسفر به إلى مختلف البلاد ومن هؤلاء التجـار تجـار مشـارقة .

ودليل وجود علاقات مع المشرق قدوم التـاجر العـالم هشـام بن عطـاء بن أبي زيد بن هشام الطرابلسي إلى إفريقية والذي يفهم من اسمه أنه من طرابلس الشرق كمـا أشرنـا إلى ذلك سـابقـا (4)

وعلى كل حـال فإن التجـار المشـارقة كـانوا يقدمون إلى إفريقية الزيرية وتجـار زيريون يسـافرون إلى المشرق دون أن تكون هنـاك عوائق تذكر .

جـ/مع السودان :

من المنـاطق التي تربطهـا مع إفريقية الزيرية علاقـات تجـارية بلاد السودان والتي تفصلهـا عن إفريقية صحاري كـبيرة (5) ، وهنـاك محطتـان رئيسيتـان للانطلاق واستقبـال تجـارة السودان الأولى أجدابية والتي تمر بـها" القوافل الصـادرة والواردة من بـلاد السودان" (6) ، وسجلمـاسة التي لهـا" تجـارة غير منقطعة منهـا إلى السودان" (7) وسجلمـاسة هي آخر نقطة في طريق الـسودان وتعتبر بوابة الذهب (8) ، وقد أشرف تجـار يهود من الدولة الزيرية على العمليـات التجـارية بـسبب وجـود علاقـات تجـارية بين اليهود كمـا سبق وأن أشرنـا (9) ، وقد تعرقل النشـاط التجـاري بين إفريقية وبلاد السودان بعد الغزو الهـلالي وهـذا مـا يدل عليه نقص الذهب في المهدية ، وقد حـاول بنو هلال فيمـا بعد إعـادة تنشيط الحركة التجـارية وذلك بحمـاية القوافـل (10)

د/ مع الأندلس :

---

(1) البكري : المصدر السابق ، ص 20.

(2) الإدريسي :المصدر السابق ، ص181.

(3) المصدر نفسه ، ص151 .

(4) ابن بشكوال : المصدر السـابق ، مج2 ، ص507 .

(5) ابن حوقل : المصدر السـابق ، ص 65 .

(6) المصدر نفسه ، ص 70 .

(7)نفسه ، ص 96 .

(8)الحبيب الجنحـاني : الحيـاة الاقتصـادية في سجلمـاسة ، ص 152 .

(9)محمد شحـاته ريه : المرجع السـابق ، ص75 .

(10) إدريس : المرجع السـابق ، ج2 ، ص ص 191-192 .

كـان النشـاط التجـاري بين الأندلس وإفريقية متذبذبـا يرتفع في فترة ويقل في فترة أخرى ، فمثلا لم تكن إفريقية مينـاء كبيرا لسفن الأندلس أثنـاء الفترة الفـاطمية نتيجة للصراع الفـاطمي الأموي لكنهـا أصبحت سوقـا تجـارية مهمة خلال القرن الخـامس الهجري / الحـادي عشر الميلادي (1) ، فكـانت إفريقية بفضل موقعهـا الجغرافي الممتـاز تقوم بدور الوسيط التجـاري بين التجـارة الشرقية والأندلسية ، وذلك عن طريق مينـاء المهدية وميناء طبرقة لكن بدأت التجـارة الأندلسية تتحول باتجـاه غرب المتوسط بعد أن أصبح مرسى الخرز موطنـا للقراصنة ، وهذا مـا أدى إلى فقدان طبرقة لطـابعهـا الاقتصـادي و حلـول بونـة محلهـ ـا وقيـ ـام الأندلسيين ببنـاء مراكز تجـارية في كل من بجـاية ومرسى الدجـاج (2) ،لكن من الإجحـاف القول بأن العلاقـات التجـارية بين الأندلس وإفريقية توقفت تمـامـا ، بل ظلت قـائمة خـاصة إذا عرفنـا أن التجـار بقوا يحملون البضـائع ذهـابـا وإيـابـ ـا ، وكـان التوقف في الموانئ من أجل البيع والشراء والراحة والتموين وإصلاح الأعطـاب وجمع المعلومـات التجـارية دليل على بقـ ـاء العلاقـات التجـارية بين الأندلس وإفريقية (3) ، وقد كـانت المراكب الأندلسية ترد إلى عدد من موانئ الدولة الزيريـة كطبرقـة (4) والمهدية (5) .

هـ/مع صقلية :

عرفت صقلية ازدهـارا كبيرا تحت حكم الكلبيين (337-440 هـ / 948-1048 م) ولذا كـانت ملجأ لعـدد كـبير مـن سكـان إفريقية الراغبين في التخلص من حكم بني زيري ، وبدأ هذا الازدهـار في التلاشي تدريجيـا ، وأدى ذلك إلى نشوب حـروب داخلية طويلة تدخل فيهـا البيزنطيون من جهة والزيريون من جهة أخرى فانقرضت دولة الكلبيين و بانقراضهـا حـاول ابن الثمنـة أن يصبح أميرا على الجزيرة ودعى النورمـان إلى فتحهـا (6) ، وقد كـانت العلاقـات التجـارية تخضع لضوابط شرعية وفتـاوى فقهية فقد شدد الإمـام مـالك على كراهية التجـارة مع بلد الحرب نتيجة لحكم المشركين عليه وقـال المـازري هنـا أن الكراهة تقـضي التحريم ، وقـال مـا دامت أحكـام الكفر جـارية على من يدخلهـا من المسلمين فالسفر إليهـا لا يجوز (7) ، وقد جمـع الأمـير الزيري تميم بن المعز (454-501 هـ/ 1062-1108 م) الفقهـاء لإصدار فتوى حول التعـامل مع صقلية فأفتى المـازري بعـدم جواز التعـامل معهم رغم الحـاجة واستشهد في ذلك بقوله تعـالى" إنمـا المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عـامهم هـذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنكم الله من فضله إن الله عليم حكيم"(8) ولذا وجب على المسلمين الإقتداء بالمسلمين الأوائل وتفويض الأمر إلى الله (9)،كمـا أن الفقيه عبد الحميد الصـائغ أصدر فتوى أيضـا تمنع المتـاجرة معهم و السفر إليهم وحجته في ذلك أن التعـامل معهم

(1) أوليفيـا ريمي كونستبل : المرجع السـابق ، ص 74 .

(2) إدريس : المرجع السـابق ، ج2 ، ص294 .

(3) أوليفيا ريمي كونستبل : المرجع السـابق ، ص ص 99،100 .

(4) ابن حوقل : المصدر السـابق ، ص 76 .

(5) البكري : المصدر السـابق ، ص 30 ، الإدريسي : المصدر السـابق ، ص 182 .

(6) أندري بوروزو : المسلمون في صقلية وتأثيرهم في القرون الوسطى ، مقـال منشور في كتـاب الملتقى العـاشر للفكـر الإسـلامي المنعقد في عنـابة 10-19 يوليو 1976 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية ، المجلد الثـاني، ص ص 198-199 .

(7) البرزلي : المصدر السـابق ، ج2 ، ص 54 .

(8) سورة التوبة الآية 28 .

(9) إدريس : المرجع السـابق ، ج2 ، ص 283 .

يقوي جـانبهم في محـاربة المسلمين (1) ، كمـا أنه قـال إذا ذهبنـا إليهم فسترتفع الأسعـار ويستلمون منـا أمـوال طـائلة ويستعملونـا في حربم ضدنـا (2) .

ورغم صدور تلك الفتـاوى إلا أن العلاقـات ومنهـا التجـارية لم تتوقف بالكلية النورمـان ، بل إن الزيريين سعوا إلى كسب النورمـان مـادامت علاقـاتم متوترة مع الفـاطميين والحمـاديين ، وقبل النورمـان إقـامة علاقـات معهم مـادامت لهم مصـالح في إفريقية (3) ، ومـا يجسد هذه الاتفـاقيـات الاتفـاقية المبرمة مع الملك روجـار عـام 468هـ/1075م(4).

ومـا يجسد هذه الاتفـاقية أنه في عـام 490هـ /1096 م خرج ملك الفرنج بوردويل وأرسل إلى روجـار يقول له إني سـائر إليك ومن عندك خـارج إلى فتح إفريقية فاستشـار روجـار أصحـابه وقـال لهم" إذا وصلوا إلي احتـاجوا إلى كلفـة كـثيرة مـن مراكب تحملهم إلى إفريقية وعسكر من عندي ، وإذا فتحوا البلاد كـانت لهم والمؤونة من صقلية وينقطع عني مـا يصل من مـال من ثمن الغلات كل سنة" ورفض مسـاعدة بردويل (5) .

وكـانت العلاقـات الزيرية النورمـانية يشوبـا في كثير من الأحيـان التوتر لأسبـاب عديـدة منهـا محـاولة الزيـريين احتكـار النقل البحري وإخفـاقهم في حمـاية السفن النورمـاندية وأيضـا توترت لمـا تحـالف الزيريون مع المرابطين لضرب صـقلية قـام النورمـان كرد فعل عن ذلك باحتلال موانئ الدولة الزيرية من طرابلس إلى بونة وبذلك تقلصت تجـارتـا وقضي علـى المهديـة كمركز تجـاري (6) .

و/مع الجمهوريـات الإيطـالية :

بحلول القرن الرابع الهجري النصف الثـاني من القرن العـاشر الميلادي بدأت التجـارة بين العـالم الإسـلامي والجمهوريـات الإيطـالية تنمو ، ومن مظـاهر هذا النمو أن نقل السلع في البحر المتوسط أصبح يتحكم فيه الإيطـاليون ، وكـانت إمـارتي البندقيـة وأمـالفي أول من ربط علاقـات تجـارية مع تونس ومصر والشـام ثم حلت جنوة وبيزة محل أمـالفي (7) ، والسبب يرجـع إلى أن مينـائي بيزة وجنوة المقـابل للسواحل الإفريقية واستخدام منطقتي كورسيكـا وسردينيـا محطـات إبدال ومخـازن للسلع (8) ، وقـد وجد التجـار الإيطـاليون الاستقبـال الجيد في المدن الزيرية (9) .

---

(1)محسن العـابد : المرجع السـابق ، ص 21 .

(2) إدريس : المرجع السـابق ، ج2 ، ص 283 .

(3)عز الدين موسى : المرجع السـابق ، ص 264 .

(4) أرشبـاد لويس : المرجع السـابق ، ص 86 .

(5)أمبرتو ريتسيتـانو : المرجع السـابق ، ص 180 .

(6)عز الدين موسى : المرجع السـابق ، ص 264 .

(7)منتجمري واط : فضل الإسلام على الحضـارة الغربية ، ترجمة حسين أحمد أمين ، دار الـشروق ، ط1 ، بـيروت ، 1983 ، ص ص29-30 .

(8)Anna-Mascarello : Quelques aspects des actioites italiennes dans le Maghreb médiéval .in Revue d histoire et de civilisation du Maghreb n 05 Juillet 1968, faculté des lettres d Alger , p 63 .

(3)Andre Sayous :le commerce des Européens a Tunis depuis le XII siècle jusque la fin du XVI , Paris , société d etitions géographiques , maritimes et coloniale 1929 , p24

(4)Anna Mascarello : opcit, p64.

كمـا أن العلاقـات التجـارية بين الزيريين والمدن الإيطـالية كـانت في كثير من الأحيـان تتوتر إذ أن الفتوحـات الإسلامية قبل العهد الزيري وصلت حتى البحر الأدريـاتيكي ، واقتربوا من البندقية عـام 232هـ/846 م ، وقد هـاجموا ووصلوا حتى جنـوة عـام 323هـ/ 934 م ،وحدث نفس الشيء لبيزة عـام 396هـ/1005 م (1) ، وكرد فعل على ذلك أقدمت البندقيـة عـام 361 هـ/ 971 م على منع تجـارهـا من منع تصدير المواد الأسـاسية المستعملة في الحرب كالأسلحة والخشب المستعمل في بنـاء السفن إلى البلاد الإسلامية ، وهذا استجـابة للإمبراطورية البيزنطية وتمـاشيـا مع تعـاليم البـابوية التي كـانت في حروب مقدسة ضد الإسلام ، وقد طبقت هذه التعـاليم على ثلاث سفن كـانت بصدد الإقلاع اثنتـان في اتجـاه المهدية والثـالثة إلى طرابلس (2) .

كمـا أقدم البيزيون على مهـاجمة بونة عـام 426 هـ/ 1034م (3) ، كمـا هوجمت سوسة عـام 445 هـ/ 1053 م (4) ، كمـا أقدمت بيزة وجنوة عـام (480-481 هـ/1087-1088 م) بمهـاجمة المهدية ومحـاصرتـا ، والتي كـان بـا عدد كبير من الأسرى المسيحيين الذين حرروا على الفور ، وحصل المحـاصرون مقـابل الجلاء عليهـا وعدا من الأمير تميم بـن المعـز (454-501 هـ/1062-1108 م) بعدم التعرض لسفنهم في الميـاه الإفريقية فكـن هذا الوعد بمثـابة معـاهدة غير مكتوبة للبيزيين والجنويين لإرسـال التجـارية إلى الموانئ الزيرية (5) و أعطوهم إعفـاءات من الضرائب الجمركية التي كـانوا يدفعونـا ، في حـين حصل منهم الأمير الزيري تميم على هبـات وعطـايـا بمجرد إمضـاء هذه المعـاهدة (6) .

وهنـا ظهرت مدينة تونس وأصبحت المدينة الرئيسية في إفريقية بعد أن خربت القيروان ووقعت المهدية في يد البيزيين والجنويين وقد أصبحت سنة 494 هـ/1100 م جـاهزة اقتصـاديـا لتلعب دورا كبيرا في التجـارة الخـارجية (7) .

أمـا العلاقـات التجـارية مع سـالرنو ونـابولي فقد كـانت قديمة ويرجع عهدهـا إلى القرن الثـالث الهجـري التـاسع الميلادي وبالضبط إلى سنة 226هـ/875م ، ومـا يدل على هذه العلاقـات هي أن سفن هذه البلدان إضـافة إلى سـفن أمـالفي كـان في القرن الرابع الهجري العـاشر الميلادي تفرغ حمولتهـا وتتـاجر في إفريقية ، وكـانت تجـارة العبيد من أشهر التجـارات ازدهـارا بين هذه المدن وإفريقية (8) ، وقد أقدمت سـالرنو في الفترة الممتدة بين (444-470هـ/1052-1077 م) على إبعـاد بيزة وجنوة عن تجـارة المغرب فقـامت بمهـاجمة سفنهـا (9) .

ومـا يمكن ملاحظته على العلاقـات بين الدولة الزيرية والمدن الإيطـالية أنـا كـانت في كثير من الأحيـان متوترة والـسبب يرجع إلى الصراع الديني بين الطرفين وقد أثر هذا الصراع على التجـارة ، كمـا أن الفتـاوى التي أصدرت في التعـامل مـع غـير المسلمين أثرت على التعـامل التجـاري .

---

(2)إدريس : المرجع السـابق ، ج2 ، ص 160 .

(3) Anna Mascarello : opcit, p64, Gorge Gehel : opcit, p92.

(4) Gorge Gehel : ibid. , p92 .

(5)Mas Latrie : opcit , p33 , Anna Mascarello : opcit , p p 64-65 .

(6) Anna Mascarello : ibid. , p65 .

(7) Andre Sayous : opcit , p 27 .

(8)Andre Sayous : ibid. , p 24.

(9)سـامي سلطـان سعد : المرجع السـابق ، ص 86 .

لكن رغم هذا بقيت العمليـات التجـارية غير المعلنة (التهريب) موجودة حتى أثنـاء الحروب (1) .

و/ مع الهند :

كـانت هنـاك علاقـات تجـارية بين إفريقية الزيرية وبلاد الهند وخـاصة تجـارة الكـارم وهذا مـا تـدل عليـه أسمـاء لعـائلات من أصل مغربي كـانت تعمل في تجـارة الهند (2) ، كمـا انتقل تجـار من مدن زيرية معروفة نحو مصر ومنهـا نحو الهنـد وخـاصة من تونس والمهدية والقيروان وهؤلاء التجـار كـانوا يكـابدون مشـاق الرحلة نحو الهند وفي بعض الأحيـان يـسـافر إليهـا أكثر من مرة (3) ، وتشير وثـائق الجنيزة إلى أن موانئ البحر الأحمر والجزيرة العربية والهند كـانت بـها أعداد كبيرة من تجـار المغرب الذين قدموا إليهـا من أقـاليمهـا ومدنـها المختلفة مثل : برقة ، طرابلس ، جبل نفوسة ، القيروان ، المهدية ، جربـة ....إلخ (4).

ومـا يدل على العلاقـات الزيرية الهندية هو أن صـاحب الاستبصـار في أثنـاء حديثه عن مرجـان مرسى الخرز قـال" وهو أنفس مرجـان الدنيـا وهو أنفق شيء بالهند والصين" (5) .

وكـانت العلاقـات التجـارية مع الهند يتحكم فيهـا يهود من الدولة الزيرية واختصوا بتجـارة الأحجـار الكريمة وكـان لهم وكلاء يقومون بإرسـال تجـاراتهم إليهـم (6).

6/ الصـادرات والواردات :

أ/ الصـادرات :

لقد عملت الدولة الزيرية على تصدير فـائضهـا من الإنتـاج إلى عدة دول .

فكـانت تصدر الزيت السفـاقسي إلى مصر والمغرب وصقلية وبلاد الروم والأندلس(7) وبلاد المشرق وتعتبر زويلة هي المدينة الرئيـسية التي يعصر بـها الزيت (8)، كمـا حمل إلى مصر أيضـا مستخرجـات الزيت كالشمع والصـابون (9) .

ومن صـادرات الدولة الزيرية القمح وكـانت تصدره إلى صقـلية والأندلـس وذلك بواسطة السفن ، وعملت على تصديره إلى سجلمـاسة عن طريق القوافل التجـارية (10)، وصدرته أيضـا إلى مصر (11) .

كمـا صدرت الفستق القفصي إلى مصر والأندلس وسجلمـاسة وإلى بلاد المغرب (1).

---

(1)إدريس : المرجع السـابق ، ج2 ، ص 277 .

(2) عطية القوصي : المرجع السـابق ، ص 24 .

(3)جوايتـاين : المرجع السـابق ، ص 270 .

(4)عطية القوصي : المرجع السـابق ، ص 24 .

(5)مجهول : الاستبصار ، ص 126 .

(6)محمد شحـاته ريه : المرجع السـابق ، ص 80 .

(7)البكري : المصدر السـابق ، ص 20 ، مجهول : الاستبصـار ، ص 117 .

(8)الإدريسي : المصدر السـابق ، ص 184 .

(9)جوايتـاين : المرجع السـابق ، ص 240 ، أمين توفيق الطيبي : المرجع السـابق ، ص 64 .

(10)موريس لومبـار : المرجع السـابق ، ص 242 .

(11) محسن العـابد : المرجع السـابق ، ص 13 .

وصدر الزيريون أيضــا الفواكه بمختلف أنواعهــا فكــانوا يصدرون التمر والزبيب إلى بلاد الحبشة (2) ، وصدروا الـمـوز الــذي كــان ينتج في قــابس إلى بلاد المغرب الأوسط (3) ، وصدروا اللوز المقشر إلى مصر (4) .

كمــا صدروا الزعفران إلى صقلية (5) .

كمــا عملوا على تصدير المرجــان الذي كــان يستخرج من مرسى الخرز ويوجد فيهــا بكثرة ومن صفــاته أنه ذو جودة رفيعة وذو حجم كبير ، وقد صدر إلى المشرق واليمن والهند والصين وســائر البلاد (6) ، ويرجع السبب في الإقبــال الكبير علــى مرجـــان مرسى الخرز هو كون البلاد التي كــانت تستورده كــانت تعرف المرجــان الأبيض فقط أمــا المرجــان الأحمر فلم يكــن معروفـــا لديهــا ، وكــان رمزا من رموز الحظ السعيد (7) .

وكــانت تصدر الزرنيخ (نبــات يستعمل كدواء وكسم) نحو الأندلس ونحو بلاد المغرب (8) .

كمــا عمل الزيريون على تصدير الجلود المدبغة المصنعة في قــابس إلى كل بلاد المغرب وإلى الأندلس (9) .

وكــان نتيجة لتطور صنــاعة النسيج اشتهــار مجموعة من المدن في العهد الزيري مثل سوسة وسفــاقس والقيروان ، وقد قـــام الحكــام الزيريون بإرســال منتجــاتــا كهدايــا لملوك أوربــا الذين فضلوهــا على ســائر الثيــاب (10) ، كمــا كــانت هــذه الثيــاب تصدر إلى ســائر بلدان العــالم (11) ، و صدر القمــاش الموشى بالذهب الذي كــان ينسج في القيروان ويجهــز في المهديــة ويصدر إلى مصر (12) .

---

(1)البكري : المصدر الســابق ، ص 47 ، مجهول : الاستبصــار ، ص 153 ، يــاقوت الحموي : المصدر الســابق ، ج4 ، ص 151 .

(2)الزهري : المصدر الســابق ، ص 124 .

(3)جودت : المرجع الســابق ، ص 221 .

(4) الطيبي : المرجع الســابق ، ص 64 .

(5)المقديسي : المصدر الســابق ، ص 239 .

(6) مجهول : الاستبصــار ، ص126 ، ابن الأكفــاني : نخب الذخــائر في أحوال الجواهر ، عــالم الكتب ، ط2 ، 1404هـــ - 1984 م ،ص 88 .

(7)موريس لومبــار : المرجع الســابق ، ص 101 .

(8)الزهري : المصدر الســابق ، ص124 ، كمــال السيد أبو مصطفى :تــاريخ الأندلس الاقتصــادي في عصر دولتي المرابين والموحدين ، مركز الإسكندرية للكتــاب ، مطبعة الإشعــاع ، بلا تــاريخ ، ص346 ، أوليفيــا ريمي كونستبل : المرجع الســابق ، ص 236 .

(9)ابن حوقل : المصدر الســابق ، ص 72 .

(10)كمــال السيد أبو مصطفى : تــاريخ الأندلس الاقتصــادي ، ص 346 .

(11)رشيد بــاقة : المرجع الســابق ، ص 94 .

(12)مجهول : الاستبصــار ، ص 126 ، الإدريسي : المصدر الســابق ،ص203 ، الزهري : المصدر الســابق ، ص 124 .

وكـانت تونس تقوم بصنع القمـاش الإفريقي من القطن والكتـان معـا أو من الكتـان وحده ، ثم تعمل على تصديره إلى كـل بلاد المغرب (1) ، كمـا صدر إلى مصر الكسـاء الطراقي (2) .

وقد صدرت إلى الهند السجـاد ومن كل الأوصـاف وخـاصة من النوع المعروف باسم القيلة والعرش ويتكون هذا النـوع مـن قطعتين من لون أخضر متعدن وعملت على تصدير الحرير الذي يعود موطنه إلى صقلية وإسبـانيـا وسرقسطة وقـد وردت إلى تـونس لإعـادة تصديره (3) .

كمـا صدرت إفريقية رخـام قرطـاجنة إلى كل بلاد العـالم وهذا مـا دفع بالإدريسي إلى وصف ذلك قـائلاً ولا يخرج منهـا إلا وبه رخـام كثيرً (4) .

كمـا صدرت الدولة الزيرية المعـادن كالفضة والرصـاص والزئبق وبعض المصنوعـات المعدنية إلى الهند (5) .

وقد سعى الزيريون إلى تصدير الجواري نحو المشرق (6) ، وهؤلاء الجواري أصبحن أمهـات للخلفـاء ، كـسلامة البربريـة أم أبي جعفر المنصور ، وقراطيس أم أبي جعفر هـارون الواثق ، وقنول أم أبي المنصور محمد القـاهر بن المعتضد ، كمـا صـدرت أيـضـا إلى المشرق الجواري الصقلبيـات (7) .

كمـا سعت الدولة الزيرية إلى تصدير الكتب نحو المشرق خـاصة وإذا عرفنـا أن القيروان كـانت تعتبر من أهم المراكز الثقـافية والتعليمية ومكـانـا نشيطـا لإنتـاج الكتب ، وكـان تجـار الكتب شغوفين بإمتلاك أشهر كتب العلمـاء وأندرهـا ، وقد وردت في رسـائل الجنيزة رسـالة من ابن عم تحرمي الذي كـان تـاجرا نشيطـا في تجـارة الكتب من الإسكندرية قـائلاً إني سمعت أن ابن أخت الديـان قـاضي القيروان اليهودي قد مـات وهو يملك مجموعة من التشريعـات المختـارة وكتب من مكتبـات أسيـادنـا ، نسيم ، حنـائيل ، وبروتشيـا ، أرجو أن تضع ذلك في اعتبـاراتكً وفي رسـالة أخرى وللشخص نفسه بين له تـاجر من المهديـة أن الحيـاة هنـالك لا تطـاق لكنه يضل بـاقي هنـاك من أجل أنه يأمل في الحصول على الكتب النـادرة من كتب العلمـاء الـذين كـانوا يعيشون هنـاك (8) ، كمـا أن جلود الكتب وأغلفتهـا كـانت أيضـا تصدر وقد صدرهـا الزيريون نحو مصر ووصفتهـا إحدى رسـائل الجنيزة بـً التجـارة المربحةً (9) .

ب /الواردات :

عملت الدولة الزيرية على استيراد حـاجيـاتـا من دول عدة ولم يقتصر استيرادهـا على الضروريـات بل تعـدى ذلـك إلى الكمـاليـات .

---

(1)أرشبـاد لويس : المرجع السـابق ، ص 329 .

(2)البكري : المصدر السـابق ، ص 47 .

(3)جوايتـاين : المرجع السـابق ، ص 239 .

(4)الإدريسي : المصدر السـابق ، ص 259 .

(5)جوايتـاين : المرجع السـابق ، ص 240 .

(6)ابن حوقل : المصدر السـابق ، ص 95 .

(7)مرمول محمد الصـالح : السيـاسة الداخلية للخلافة الفـاطمية في بلاد المغرب الإسلامي ، ديوان المطبوعـات الجـامعية ، الجزائـر ، 1983 ، ص 259 .

(8)جوايتـاين : المرجع السـابق ، ص 241 .

(9)أمين توفيق الطيبي : المرجع السـابق ، ص 66 .

ومن بين ورادات الدولة الزيرية القمح الذي كـانت تستورده من صقلية وهنـاك الجيد والرديء (1) ، كمـا استوردته أيضـا من جزيرة كريت (2) .

وكـان الزيريون يستوردون القمح في سنوات القحط ، كمـا استوردوه في سنوات استقرارهم في المهدية (3) .

كمـا عمل الزيريون على استيراد الزيت من الأندلس التي كـانت تنتج منه كميـات كبيرة (4) ، وهنـــا يمكـن أن نطـرح تسـاؤلا مهمـا وهو مـادامت الدولة الزيرية مصدرة للزيت وتعتبر سفـاقس من أهم منـاطق إنتـاج الزيتون في العـالم في هذه الفترة ، فمـا هي الأسبـاب التي دفعت بالزيرين إلى استيراد الزيت من الأندلس ؟ والجواب أنه ربمـا كـان ضعف إنتـاج الزيتون والقحط في فترة من الفترات هو مـا دفع بالزيريين إلى الاستيراد من الأندلس ولم يكن الاستيراد في كل الفترات .

وقد عملت الدولة الزيرية على استيراد الإنتـاج النبـاتي والحيواني فاستوردت من جزائر بني مزغنة السمن والتـين والعـسل (5) ، واستوردت التمور من فـاس (6) ، واستوردت لفستق الشـامي من بلاد الشـام ومـاء الورد من مصر (7) ، كمـا استوردت مـن صقلية القسطل والجوز (8) ، ونرى هنـا أن الدولة الزيرية رغم إنتـاجهـا للفستق القفصي إلا أنـا عملت علـى اسـتيراد الفـستق الشـامي وربمـا يرجع السبب هنـا إلى جودة الفستق الشـامي مقـارنة بالفستق القفصي .

وقد استوردت الدولة الزيرية السكر من بلاد السوس بالمغرب(9) ، كمـا استوردت أيضـا الحلويـات المصنوعة من السكر من صقلية (10) .

كمـا استورد الزيريون التوابل وخـاصة التوابل ذات الأهمية القصوى كالفلفل والقرفة والقرنفل والزنجبيل والمـر (11) ، كمـــا عملت على استيراد الكروية والكمون من سجلمـاسة (12) والقرنفل من الإسكندرية (13) .

---

(1)الونشريسي : المعيـار ، ج8 ، ص183 ، ج9 ، ص 114 .

(2)عز الدين موسى : المرجع السـابق ، ص 327 .

(3)إدريس : المرجع السـابق ،ج2 ، ص301 .

(4)كمـال السيد أبو مصطفى : تـاريخ الأندلس الاقتصـادي ، ص 346 .

(5)ابن حوقل : المصدر السـابق ، ص 79 .

(6) المقدسي : المصدر السـابق ، ص239 .

(7)عز الدين موسى : المرجع السـابق ، ص 327 .

(8)وداد القـاضي :الحرف الزراعية والصنـاعية في صقلية الإسلامية وأثرهـا على الحضـارة الأوربية ، مقـــال منـشور في الملتقـى العـاشر للفكر الإسلامي ، عنـابة (10-19 يوليو 1976) منشورات وزارة الشؤون الدينية ، الد 2 ، ص 42 .

(9) الزهري : المصدر السـابق ، ص 117 .

(10)وداد القـاضي : المرجع السـابق ، ص 73 .

(11)جوايتـاين: المرجع السـابق ، ص 241 .

(12)الإدريسي : المصدر السـابق ، ص 129 .

(13) محسن العـابد : المرجع السـابق ، ص 21 .

وتشير إحدى رسائل الجنيزة إلى إرسال كميات كبيرة من الفلفل والقرفة والقرنفل من مصر إلى تونس وتكون هذه التوابل إما مصرية وإما وصلت إلى مصر ومن هناك تنقل إلى إفريقية (1) .

وقد عمل الزيريون على استيراد البخور والعطور ومواد الصياغة والدباغة التي كانت تصل إلى مصر من بلاد المشرق ، وقد تكفل تجار مغاربة بنقلها إلى بلادهم عن طريق الإسكندرية (2) .

كما استوردوا المسك والكافور والبقم والدهنات (3) ، وتفيد إحدى رسائل الجنيزة المؤرخة بعام (476هـ/1083م) وصول كمية من الكبريت والزئبق من الأندلس نحو تونس وقد كانت تستعمل في الخضاب والصبغ والتلوين (4) .

ومن واردات الدولة الزيرية مواد كانت تستعمل في الصناعات النسيجية مثل القرمز والنيلة والشب وكانت تجلب من مصر وسوريا وأسيا الصغرى (5) ، كما استوردت القرمز من الأندلس فهناك رسالة من رسائل الجنيزة تعود إلى القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي يطلب صاحبها شحنة من القرمز من الأندلس وهو في تونس (6) ، ولم يستورد الزيريون الشب من الأندلس فقط بل استوردوه أيضا من بلاد السوس (7) .

ومن واردات الدولة الزيرية قماش البقلمون الذي كان ينسج في تنيس ولا ينسج في غيرها من بلدان العالم ،وهو نوع من القماش يتغير لونه مع ساعات النهار كما استوردت من مصر أيضا الأقمشة المذهبة والملونة التي كانت تصنع في تنيس ودمياط (8) ، كما استوردت من مصر الكتان المصري الذي يحتوي على سبعة عشر نوعا ومنه تصنع الثياب السوسية التي كانت تصدر إلى المشرق ، كما استوردت أنواعا عديدة من القماش المصّنع وخاصة ما يعرف بالأعلاق والذي كان يستورده أغنياء القيروان من إيران (9) ، وجلبت من بلاد فارس قماش يعرف بالتستري (10) ، واستوردت من الأندلس القطن الإشبيلي الذي كان يستعمل في الصناعات النسيجية (11) وحسب رسالة من رسائل الجنيزة مؤرخة بسنة 446هـ/1050م فإن سجادا أندلسيا شحن من تونس إلى مصر (12) وهذا يدل على أن هذا السجاد جلب من الأندلس أولا .

---

(1)أمين توفيق الطيبي : المرجع السابق ، ص 66 .

(2)حسن خضري أحمد : علاقات الفاطنين في مصر بدول المغرب ، مكتبة مدبولي ، ط1 ، بلا تاريخ ، ص 118 .

(3)جوايتاين : المرجع السابق ، ص 241 .

(4)أوليفيا ريمي كونستبل : المرجع السابق ، ص 281 .

(5)رشيد باقة : المرجع السابق ، ص 93 .

(6)أوليفيا ريمي كونستبل: المرجع السابق ، ص 260 .

(7) الزهري : المصدر السابق ، ص 117 .

(8)حسن خضري أحمد : المرجع السابق ، ص 116 .

(9)جوايتاين : المرجع السابق ، ص 242 .

(10) المرجع نفسه ، ص173 .

(11) كمال السيد أبو مصطفى : تاريخ الأندلس الاقتصادي ، ص 324 .

(12) أوليفيا ريمي كونستبل: المرجع السابق ، ص ص 267-273 .

كمـا عمدت الدولة الزيرية على استيراد الخشب الذي يستعمل في بنـاء السفن من يـابسة(*)(1) واستوردته أيضـا من الدولة الحمـادية وخـاصة من جبـال الرحمن ونـاحية بونة (2) ، كمـا استوردت الأخشـاب النفيسة التي كـانت تـستعمل في بنـاء القصور من الهند (3) ، وتتكلم المصـادر عن الأخشـاب الثمينة وخـاصة التـابوت المصنوع من العـود الهنـدي المرصـع بـالجواهر ومسـاميره من ذهب (4) .

كمـا عمل الزيريون على استيراد اللؤلؤ والأحجـار الكريمة والفيروز والأصفـاد الصغيرة من مصر (5) ، واستوردوا العـاج والتبر من بلاد السودان (6) .

ويصف لنـا الإدريسي تجـار الذهب فيقـول" وكـان تـجار ورقلة من التجـار الأغنيـاء ، وقد كـانوا يسـافرون إلى بلاد السودان (غـانة وبلاد نقـارة) ويجـلبون منها التبر" (7).

كمـا عمل الزيريون على الاستيراد من ألمرية آلات السفر ، والحديد والـسكـاكين (8)،واسـتوردت مـن الأنـدلس منتوجـات المنـاجم ومعـامل الأسلحة (9).

ومن واردات الدولة الزيرية الرقيق وقد اشتهرت منطقتان كـانتـا تزودان بلاد المغرب بالعبيد وهمـا الـصقـالبة وإفريقيـا السوداء ، فمن المنطقة الأولى كـان تجـار النخـاسة اليهود ينقلون العبيد إلى مدينة فردان VERDIN على الحدود الشرقية الفرنسية التي كـانت تعتبر مكـانا هـاما لتجمع اليهود ومن هنـاك ينقلونم إلى نـاربون جنوب فرنسـا ومنهـا إلى كـاطالونيا بإسبـانيـا وهنـاك يقوم مختصون يهود بـإخصـاء الذكور منهم وتوزيعهم على أقطـار المغرب (10)، أمـا من إفريقيـا السوداء فكـانوا يجلبون من منـاطق عديدة ، فقد ذكر صـاحب الاستبصـار منطقة زويلة (11) ،وذكر ابن سعيد منطقة أورجـلان (12).

7/ الضرائب و المكوس :

(*)يـابسة : هي جزيرة قرب مدينة دانية وبينهمـا مجرى ، انظر الإدريسي : المرجع السـابق ، ص 308 .

(1)عز الدين موسى : المرجع السـابق ، ص 289 .

(2) رشيد بورويبة : المرجع السـابق ، ص 150 .

(3) أرشيبـاد لويس: المرجع السـابق ، ص 331 .

(4) ابن عذارى : المصدر السـابق ، ج1 ، ص 272 .

(5) الخضري أحمد : المرجع السـابق ، ص 121 .

(6) حسن حسني عبد الوهـاب : بسـاط العقيق ، ص 20 .

(7) الإدريسي : المصدر السابق ص187 .

(8) عبد العزيز سالم : تـاريخ مدينة المرية الإسلامية قـاعدة أسطول الأندلس ، دار النهضة العربية للطبـاعة والنـشر ، بـيروت 1969 ،ص171.

(9) غوستـاف لوبـان : حضـارة العرب ، تر عـادل ريكز ، مطبعة عيسى اليـابي الحلبي ، ط1 ،1964 ص247.

(10) رشيد بـاقة : المرجع السـابق ، ص151.

(11) مجهول : الاستبصـار ،ص 140.

(12) ابن السعيد المغربي : المصدر السـابق ، ص126.

يسمى جـابي المكوس بالمكـاس وهو اسم ظل يطلق على من يتقـاضى ضريبة البيع في الأسواق و هي موجودة حتى الآن (1) .
أقدمت الدولة الزيرية على فرض ضرائب وغرامـات على التجـار سواء كـان التجـار مسلمون أو غير مسلمين . فكـان المسلم يدفع 2.5% من قيمة السلعة في حين كـان غير المسلم يدفع ضريبة قيمتها 5% من قيمة السلعة والحد الأدنى الـخاضع للـضريبة 40دينـ ـار بالنسبة للمسلم و20 دينـار بالنسبة لغير المسلم (2).

ومـا يدل على وجود هذه الضرائب مـا أوردته إحدى رسـائل الجيزة تتكلم عن الحرية التجارية التي كـان يتمتع بـا التجـار ، ولم تعترضهم أثنـاء نشـاطهم التجـاري إلا أنـا ذكرت أنم كـانوا مجبرين على حملة وثيقة تسمى" البراءة" وهي ليست عبـ ـارة عن جواز سفر ، وإنمـا هي عبـارة عن شهـادة تثبت بأن صـاحبهـا دفع مـا عليه من ضرائب (3). ومـا يؤكد رسـالة أخـرى تعود إلى القرن الخـامس الهجري أواخر القرن الحـادي عشر ميلادي ، إذ يقول فيهـا صـاحبهـا" إني تركت في جيب جبتي شهـادة الضريبة" (4)، وكـان التجـار الإيطـاليون يدفعون ضرائب في المغرب الإسلامي أهمها ضريبتـا الصـادر والوارد ، وضـريبة الـوارد مفروضة على جميع التجـار الإيطـاليين عبر العصور وتقدر ب 10% أي دفع عشر بيزنطيـات عن كل مـ ـائة بيزنطـي (دينـ ـار) وكـانت ضريبة الوارد تؤخذ على السلع التي يتم بيعهـا فقط ، فإن لم يجد من يشتريه منه فإنه يمكن له إعـادة تصريحها دون دفع ضرائب عنهـا، وتكون قيمة ضريبة الصـادرة ممـاثلة لضريبة الوارد(5).

وكـانت الضرائب تفرض على السفن التي تدخل إلى المراسي الزيرية وتختلف هذه الضرائب من مرسى إلى آخر وهذا مـا يظهر من سؤال وجه إلى الفقيه ابن شبلون عن من اكترى مركبـا من صقلية نحو سوسة فرمتهم الريح إلى تونس فـ لوا بـا وأدوا غرامة أكثر مـن المتعـارف عليهـا (6).

فالتجـار لم يكن باستطـاعتهم دخول أي مدينة دون دفع هذه الضرائب لأن المدن كـانت محـاطة بأسوار ولهـا أبـواب ومـن يدخلهـا يدفع المكس (7)،فالقيروان مثلا كـانت محـاطة بسور لا يمكن أن تجـاوزه إلا بدفع المكـس وذلـك بعـد الجـواز علـى صبرة (8) ، وقد كل مـا يعرض في الأسواق يتعرض إلى ضريبة يصطلح عليهـا مغرم السلطـان وقد سئل أبو زيد القيرواني عـن مـن يشتري سلعة على أنـا سليمة من مغرم السلطـان (9) .

(1)احسن بولعسل :الضرائب في المغرب منذ عهد الولاة حتى سقوط الموحدين ، رسـالة لنيل شهـادة المـاجستير ، تحت إشراف عبـد العزيز فيلالي ، السنة الجـامعية ، 1994-1995 ، ص89 .
(2) إدريس : المرجع السابق ،ج2 ، ص229.
(3) جوايتـاين : المرجع السـابق ، ص 213 .
(4) أمين الطيبي : المرجع السـابق ، ص70.
(5) سـامي سلطـان سعد: المرجع السابق ،ص ص 94-99 .
(6) البرزلي : المصدر السـابق ، ج3ص647 ، الونشريسي : المعيار ج8ص299.
(7) هوبكز : المرجع السابق ، ص92.
(8)البكري : المصدر السـابق ، ص 25 .
(9) الونشريسي : المعيـار ، ج6 ، ص183 .

وكـانت تفرض الضرائب والغرامـات على أصحـاب الدكـاكين وقد ذكر المقدسي ذلك حين تكلم عن أسـواق القـيروان" والضرائب كـانت موضوعة على أصحـاب الدكـاكين" (1) .

وإذا أردنـا أن نعطي إحصـائيـات عن مداخيل الدولة الزيرية من جراء الضرائب والمكوس فإننـا نقتبس من البكري في حديثـه عن صبرة هذه العبـارة " ولهـا خمسة أبواب وكـان دخل كل بـاب في اليوم ستة وعشرون ألف درهم" (2) ، ثم تكلم عب جبـ ـاية الأموال لبيت مـال المسلمين من القيروان وسوسة والمهدية وسفـاقس وتونس وقـال أنـها تصل إلى ثمـانين ألف مثقـال (3)، في حين بلغت مداخيل قسطيلية مـائتي ألف دينـار (4) .

ومداخيل مدينة بونة عشرون ألف دينـار (5) ، وهي مداخيل سنوية (6) .

وكـانت الضرائب تفرض على القوافل التجـارية الداخلة والخـارجة إلى بلاد السودان بقيمة العشر وقد بلغت" زهـاء أربع مـائة ألف دينـار" (7)

وبلغت مداخيل الخزينة في عهد المعز بن بـاديس من جراء العمل التجـاري وحده أربعة آلف درهم (8) .

وكـان الهدف من الضرائب والمكوس التي كـانت تفرض على التجـار والبـاعة والصنـاع هو تحصين الثغور (9)

ومن هنـا يمكن أن نقول أن الضرائب الزيرية كـان فيهـا الكثير من التجـاوز و الإسراف ، وكـان كل من يمتنع عن دفع مـا عليه من مغـارم يتعرض إلى مصـادرة سلعه من قبل الجبـاة (10)

ونتيجة لهذا التعسف فقد ظهر في الدولة من ثـار على تلك الأوضـاع ومن ذلك مـا قـام به سكـان ميلة سـنة 378 هـ ـ / 977 م من ثورة على نـائب الأمير الزيري عليهـا المنصور بن أبي الفتوح الذي تدخل وهـاجم المدينة وأجبرهم على الاستسلام وطلب الأمـان فأمنهم على أنفسهم ثم نفـاهم إلى بـاغية بعد تجريدهم من أموالهم وتخريب مدينتهم (11)

خـاتمة :

من خلال دراستنـا لهذا الموضوع خلصنـا إلى عدد من النتـائج والاستنتـاجـات أهمهـا أن الدولة الزيرية كـان لهـا اعتنـاء كبير بالجـانب التجـاري وذلك كنتيجة لوضعهـا السيـاسي فهي دولة خلفت الدولة الفـاطمية في حكم بـلاد المغـرب وكـ ـان مـن

---

(1) المقدسي : المصدر السـابق ، ص 225 .

(2)البكري : المصدر السـابق ، ص 25 ، مجهول الاستبصـار ، ص 115 .

(3) البكري : المصدر السـابق ، ص 36 .

(4)المصدر نفسه ، ص 49 .

(5) نفسه ، ص 55 .

(6) أرشبـاد لويس : المرجع السـابق ، ص 331 .

(7) ابن حوقل : المصدر السـابق ، ص 97 .

(8) عمر الركبـاني : خلاصة تـاريخ تونس ، مطبعة التلبي ، ط4 ، تونس ، 1939 ، ص 26 .

(9) كمـال السيد أبو مصطفى : جوانب من حضـارة المغرب ، ص 83 .

(10)الونشريسي : المعيـار ، ج9 ، ص 565 .

(11)أحسن بولعسل : المرجع السـابق ، ص 91 .

مصلحتهـا تنويع علاقـاتـا التجـارية للمحـافظة على بقـائهـا واستمراريتهـا ، وهكذا وجدنـا تجـار الدولة الزيرية ينتقلـون بسلعهم إلى منـاطق مختلفة من العـالم الإسلامي الأندلس والمشرق لإسلامي ،وحتى العـالم المسيحي صقلية والجمهوريـات الإيطـالية ووصلوا إلى المنـاطق النـائية الهند والصين .

وقد اعتنت الدولة الزيرية بتنظيم الأسواق سعيـا منهـا لتنشيط حركة التبـادل التجـاري الداخلي و الخـارجي كمـا حـاولت تأمين الطرق من كل المخـاطر التي تددهـا .

وقد وجدنـا أن بعض الأمراء والشخصيـات النـافذة في الدولة كالأمراء والفقهـاء كـانوا يزاولون النـشـاط التجـاري بالموازاة مع نشـاطهم الأصلي .

واستمرت الدولة الزيرية في تبعيتهـا للفـاطميين حتى سنة 441 هـ/ 1049 م وانعكس ذلك جليـا على النشـاط التجـاري حيث عمد الزيريون إلى تغير عملتهم وشعـاراتم ، كمـا عمد الزيريون إلى التضييق على الشيعة وفتح الـال أمـام السنة المـالكية للنشـاط بحرية في دولتهم ، وقد نتج عن القطيعة الزحف الهلالي الذي اجتـاح بلاد المغرب وأثر تأثيرا واضحـا يظهر في تخريب الطـرق التجـارية وتدمير المدن ومـا بـا من أسواق ، كمـا سيطر العرب الهلالية على التجـارة وخـاصة تجـارة الجنوب وبعـد الزحفـة الهلالية وجد الزيريون أنفسهم مضطرين إلى العودة إلى كنف الدولة الفـاطمية وتجسدت العودة في إرسـال هدايـا وتحـف إلى الملـوك الفـاطميين ، ومع عودت العلاقـات السيـاسية عـادت معهـا العلاقـات التجـارية بين الدولتين وأدى هذا إلى انتعـاش الـبلاد الزيرية من جديد ،ومـا دامت العلاقـات بين الزيرين والفـاطميين كـانت تتوتر في بعض الأحيـان فإن الزيريون لجئوا إلى إقـامة علاقـات تجـارية مع دول غير إسلامية فربطوا علاقـات مع صقلية وعلاقـات مع الجمهوريـات الإيطـالية وهـذا رغـم إصـدار الفقهـاء إلى فتـاوى تحرم التعـامل مع غير المسلمين .

والانتعـاش الذي عـاد إلى الدولة الزيرية مع عودت العلاقـات مع الفـاطميين لم يستمر طويلا إذ أن النورمـان عمدوا إلى مهـاجمة موانئ الدولة الزيرية لإخضـاعهـا وقد توالى سقوط هذه الموانئ والمدن إلى غـاية سقوط العـاصمة المهدية .

وبذلك اختفت الدولة الزيرية نـائيـا من الخـارطة السيـاسية لبلاد المغرب لتظهر على إثرهـا مجموعة من الويلات تمكن الموحدون من توحيدهـا وإخضاعهـا لسلطتهـا وتحريرهـا من الاحتلال النورمـاندي .

السلعة	البلد المصدرة إليه	المصدر

الزيت	مصر ، المغرب ، صقلية ، بـلاد الـروم ، الأندلس ،وبلد المشرق .	البكري : المصدر السابق ، ص 20 ، مجهـول : الاستبصـار، ص 117 .
القمح	صقلية ، الأندلس ، مصر ، سجلمـاسة .	موريس لومبـار : المرجع السـابق ، ص 242 . محسن العـابد : المرجع السـابق ، ص 13 .
المرجـان	المشرق ، اليمن ، الهند ، الصين ، مختلـف أقطـار العـالم .	مجهــول : الاستبــصـار ، ص 126 ، ابــن الأكفـاني : المصدر السـابق ، ص 88 .
الكتـان والثيـاب والنسيج	مصر ، بلاد المغرب ، الهند ، سـائر بلاد العـالم	مجهـول الاستبـصـار ، الإدريـسي : المـصدر الـسـابق ، ص 203 ، الزهــري : المــصدر الـسـابق ، ص 124 ، البكــري : المــصدر السـابق ، ص 47 ، أرشبـاد لويس : المرجـع السـابق ، ص 239 ، جوايتـايـن : المرجـع السـابق ، ص 239 .

ملحق رقم : 04 .

وهو خـاص بالصـادرات الزيرية .

السلعة	البلد الذي استوردت منه	المصدر
الزيت	الأندلس	كمـال السيد أبو مصطفى : تـاريخ الأندلس الاقتصـادي ، ص 364 .
القمح	صقلية ، جزيرة كريت .	الونشريـسي : المعيــار ، ج8 ، ص 183 ، ج9 ، ص 114 ، عـز الـدين موسى : المرجع السابق ، ص 327 .
الإنتـاج النبـاتي والحيواني	جزائر بني مزغنة ، فــاس ، الـشـام ، مصر ، صقلية .	ابن حوقل : المصدر السـابق ، ص 79 ، المقدسي : المصدر السـابق ، ص239 ، عز الدين موسى : المرجع السـابق ، ص 327 ، وداد القــاضي : المرجـع السابق ، ص 42 .
التوابل	سجلماسة ، الإسكندرية ، مصر	الإدريسي : المصدر السـابق ، ص 129 ،محسن العـابد : المرجع الـسابق ، ص 21 ، أمين توفيق الطيبي : المرجع السابق ، ص 66 .

ملحق رقم : 05 .

وهو خـاص بواردات الدولة الزيرية .

قـائمة المصـادر والمراجع :

1/المصـادر :

1-ابن الأبـار أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القـاضي (ت 685هـ/1260م): التكملة لكتـاب الصلة ، تح عبد السلام الهراس ، دار الفكر ، بيروت ، 1995/1415 .

2-الأبيـاني أبي العباس عبد الله بن أحمد بن إبراهيم التميمي (ت بين 352-361هـ/962-971م): مسـائل السمـاسرة ، تح محمد العروسي المطوي ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 1992 .

3-ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الجزري (ت 630هـ/2967م): الكـامل في التـاريخ ، تح أبو الفداء عبـد الله القـاضي ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، بيروت ، 1992 .

4-ابن الأخوة محمد بن محمد بن أحمد القرشي: معـالم القربة في أحكـام الحسبة ، نقل وتصحيح روبن ليـوي ، مطبعـة دار الفنـون ، كومبرج ، 1937 .

5-الإدريسي أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله (560 هـ/1166م) : القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق ، تح وتقديم وتعليق إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983 .

6-الأصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد(ت 340هـ/951م) : المسـالك والممـالك ، تح محمد جـابر الحيني ، مراجعة محمـد شفيق غربـال ، دار القلم ، المملكة العربية المتحدة ، 1381 / 1961 .

7-ابن الأكفـاني محمد بن محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري(ت 749هـ/1348م) : نخب الذخـائر في أحوال الجواهر ، عـالم الكتب ، ط2 ، 1404 هـ/ 1984 م .

8-البرزلي أبو القاسم بن أحمد بن محمد البلوي القيرواني(ت 841هـ/1438م): فتـاوى البرزلي المعروف بجـامع مسـائل الأحكـام لمـا نزل من القضايا بالمفتين والحكـام ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 2002

9-ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود القرطبي(ت 578هـ/1183م) : كتـاب الـصلة في تـاريخ علمـاء الأندلس ، تقديم وضبط وشرح صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية ، ط1 ، بيروت ، 2003 .

10-أبو بكر بن عـاصم : متن العـاصمية المسمى تحفة الحكـام ، في نكت العقود والأحكـام على مذهب الإمـام مـالك ، المطبعة الثعـالبية ، ط1 ، الجزائر .

11-أبو بكر بن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد المعـارفي(ت 543هـ/1148م) : ترتيب الرحلة للترغيب في الملة ، نشره سعد أعراب في كتاب مع القاضي بن العربي ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 1987 .
12-البكري أبو عبد الله عبد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ/1094م): المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، مقتبس من كتـاب المسـالك والممـالك ، نشره مع الترجمة الفرنسية كولين دوسلان ، مكتبة أمريكـا والشرق ، بـاريس ، 1965 .
13-التجـاني أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد(حي 717هـ/1318م) : رحلة التجـاني ، تقديم وتحقيق حسن إبراهيم حـسن ، الدار العربية للكتـاب ، ليبيـا ، تونس ، 1981 .
14-الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت في أواخر القرن التـاسع الهجري) : صفة جزيرة الأنـدلس منتخبـة مـن كتـاب الروض المعطـار في خبر الأقطار ، نشر وتعليق وتصحيح ليفي بروفنسـال ، دار الجيل ، ط2 ، بيروت ، 1408/ 1998 .
15-ابن حوقل أبو القـاسم النصيبي (ت 367هـ/977م): صورة الأرض ، منشورات مكتبة الحيـاة ، بيروت .
16-ابن خرداذبة أبو القـاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 272هـ/885م): المسـالك والممـالك ، نشر جون ديغومي ، مطبعة بريل ، 1889 .
17-الخشني أبو عبد الله محمد بن الحـارث بن أسد القيرواني(ت 361هـ/971م) : أصول الفتيـا على مذهب الإمـام مـالك ، تح وتعليق محمد مجدوب ، محمد أبو الأجفـان ، عثمـان بطيخ ، الدار العربية للكتـاب المؤسسة الوطنية للكتـاب ، الجزائر ، 1985 .
18-ابن الخطيب لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلمـاني (ت 776هـ/1374م): تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ، تح وتعليق أحمد مختار العبادي ، محمد إبراهيم الكتاني ، دار الكتب ، الدار البيضاء ، 1964.
19-ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد(ت 808 هـ/1406م) : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربـر ومـن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1992 .
20________كتـاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيـام العرب والعجم والبربر ومن عـاصرهم مـن ذوي الـسلطـان الأكـبر ،دار الكتـاب اللبنـاني ، بيروت ، 1968 .
21-________المقدمة ، المطبعة البهية المصرية .
19-الدبـاغ أبو يزيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي(ت 696هـ/1297م): معـالم الإيمـان في معرفة أهـل القـيروان ، أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القـاسم بن عيسى بن نـاجي التنوخي ، تح وتعليق محمد مـاضور ، المكتبة العتيقة تـونس ، مكتبـة الخـانجي مصر .
22-الدمشقي أبو الفضل (ق6هـ/12م) : الإشـارة إلى محـاسن التجـارة ومعرفة جيد الأعراض ورديئهـا وغشوش المدلسين فيهـا ، مطبعة المؤيد ، 1318 هـ .
23-ابن أبي دينار أبو عبد الله بن أبي القاسم محمد الرعيني(1110هـ/1698م): المؤنس في أخبـار إفريقية وتونس ،مطبعة النهـضة ، تونس ، 1350 هـ .
24-الرصـاع محمد بن قـاسم أبو عبد الله الأنصاري التونسي (ت894هـ -1491م): شرح حدود ابن عرفة ، المطبعة التونسية ، ط1 ، 1356 هـ .
25-الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت 556هـ/1160م) : كتـاب الجغرافيـا ، تح محمد حـاج الصـادق ، مكتبة الثقـافة الدينية ، بور سعيد .
26-ابن أبي زيد القيرواني أبي محمد عبد الله(ت 386هـ/996م) : الرسـالة ، نشر مع الترجمة الفرنسي ليون بـارشي ، المكتبة العربية الفرنسية ، مكتبة الشعب العسكرية ، ط5 ، الجزائر ، 1968 .
27-________:فتاوى ابن أبي زيد القيرواني ، جمع وتقديم حميد محمد لحمر ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 2004 .
28-السراج محمد بن محمد الأندلسي(ت 1149هـ/1736م) :الحلل السندسية في الأخبـار التونسية ، تقديم وتحقيق محمـد الحبيـب الهيلة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1984 .
29-ابن سعيد المغربي(685هـ/1386م) : كتـاب الجغرافيـا ، تح إسمـاعيل العربي ، ديوان المطبوعـات الجـامعية ، ط2 ، الجزائر ، 1982 .

30-السقطي أبو عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي (عاش في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع) : في آداب الحسبة ، المطبعة الدولية ، باريس ، 1931 .
31-الصنهاجي أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى (ت 628هـ/1230): أخبار ملوك بني عبيد وسيرتم ، تح وتعليق جلول أحمد بدوي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 .
32-ابن عبد الرؤوف أحمد بن عبد الله القرطبي(424هـ/1032م): آداب الحسبة والمحتسب ، تح فاطمة إدريس ، دار ابن حزم ، ط1 ، بيروت ، 2005/1425 .
33-ابن عبدون الإشبيلي(عاش في القرن السادس الهجري) : رسالة في القضاء والحسبة ، نشر وتعليق ليفي بروفنسال ضمن الجريدة الأسيوية ، أفريل جوان ، 1934 .
34-أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني (ت 333هـ /944م) : طبقات علماء إفريقية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، منشور مع كتاب علماء إفريقية للحارث بن أسد الخشني وكتاب طبقات علماء تونس لأبي العرب .
35-ابن فرحون المالكي(ت 799هـ 1396م) : الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، تح وتعليق محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث ، القاهرة .
36-القاضي الرشيد بن الزبير أحمد بن الرشيد (ت809هـ/1406م) : الذخائر والتحف ، تح محمد عبيد الله ، تقديم ومراجعة صلاح الدين المنجد ، دار المطبوعات والنشر ، الكويت ، 1959 .
37-القاضي عياض موسى بن عمرو اليحصبي (ت 544هـ/1149م): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تح أحمد بكير محمود، مكتبة دار الحياة بيروت ،مكتبة الفكر طرابلس ليبيا .
38-القلقشندي أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت821هـ/1418م) صبح الأعشى ، المطبعة الأميرية ،القاهرة ، 1915/1333 .
39-الماوردي أبو الحسن بم محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت 450هـ/1058م): كتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، تح سمير مصطفى رباب ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2001 .
40-مؤلف مجهول (ق 6هـ/ 12م) : كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، دار النشر المغربية ، دار البيضاء ، 1985 .
41-مؤلف مجهول (حي 904هـ/1496م) : تقييد جديد حول النقود والأوزان والمكاييل المغربية ، تقديم وتحقيق محمد الشريف ضمن كتاب الغرب الإسلامي نصوص دفينة ودراسات ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة عبد الملك السعدي ، ط2 ، تيطوان ، 1999 .
42-الـيلدي أحمد سعيد (ت 1094هـ/1683م) : التيسير في أحكام التسعير ، تقديم وتحقيق موسى لقبال ، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع ، الجزائر .
43-المراكشي عبد الواحد محي الدين بن علي (ت 647هـ/1249م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تح محمد السعيد عربان ، القاهرة .
44-المراكشي ابن عذارى أبو العباس أحمد (حي 712هـ/1312م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تح ومراجعة ج . س كولان ، إ . ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، ط5 ، بيروت ،1995 .
45-المعداني أبو علي بن الحسن بن رحال (ت 1140هـ/1728م): كشف القناع عن تضمين الصناع ، تح محمد أبو الأجفان ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط1 ، 1996 .
46-المقدسي أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 378هـ/988م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبة مدبولي ، ط3 ، القاهرة ، 1991 .
47-ابن منظور(ت 711هـ/1311م): لسان العرب ، دار صادر ، ط1 ، بيروت .
48-النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت 733هـ/1332م) : تاريخ المغرب في العصر الوسيط (إفريقية والمغرب والأندلس وافريطش) (27-719 هـ/647-1319 م) من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب ، تح وتعليق مصطفى أبو ضيف ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء .

49-الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي بن محمد التلمساني (ت 914هـ/1508 م): المعيـار المعرب والجـامع المغرب عن فتـاوى علمـاء إفريقية والأندلس والمغرب ، أخرجه جمـاعة من الفقهـاء بإشراف محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1981 .
50-______ : كتـاب الولايـات والمنـاصب الحكومية الإسلامية والخطط الشرعية ، نشر وتعليق محمد الأمـين بلغيـث ، مطبعـة لافوميك .
51-يـاقوت الحموي شهاب الدين بن عبد الله (ت 626هـ/1229م) : معجم البلدان ، مكتبة خيـاط ، بيروت .
52-يحي بن عمر(ت ق 3هـ/9م) : أحكـام السوق ، بقلم محمود علي المكي ، فصلة من صحيفة المعهد المصري ، الشركة التونـسية للنشر والتوزيع ، تونس .
53-______ : النظر والأحكـام في جميع أحوال السوق ، رواية أبو جعفر أحمد القصري القيرواني ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس .

2/المراجع :
1-إدريس هـادي روجي : الدولة الصنهـاجية (تـاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القـرن 12) تـر حمـادي السـاحلي ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 1982 .
2-آدم ميتز : الحضـارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، تر محمد عبد الهـادي أبو ريدة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنـشر ، ط3 ، القـاهرة ، 1957 .
3-أرشيبـاد لويس : القوى البحرية والتجـارية في حوض البحر المتوسط 500-1100 م ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مراجعة وتقـديم محمد شفيق غربـال ، مكتبة النهضة المصرية ، القـاهرة ، مؤسسة فرانكلين للطبـاعة والنشر .
4-أغنـاطيوس كراتشكوفسكي : تـاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمـان هـاشم ، مطبعة لجنة التأليف والترجمـة والنشر ، القـاهرة ، 1963 .
5-أوليفيـا ريمي كونستبل : التجـارة والتجـار في الأندلس ، تر فيصل عبد الله ، مكتبة العبيكـان ، ط1 ، الريـاض ، 2002 .
6-بشير عبد الرحمن :اليهود في المغرب العربي (22-462 هـ/ 642-1070 م) ، عـين للدراسـات والبحـوث الإنـسـانية والاجتمـاعية ، ط1 ، 2001 .
7-بوتشيش إبراهيم القـادري : إضـاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتـاريخه الاقتصـادي والاجتمـاعي ، دار الطليعة للطبـاعة والنشر ، ط1 ، بيروت ، 2002 .
8-______ : تـاريخ الغرب الإسلامي قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضـارة ، دار الطليعـة للطبـاعة والنشر ، ط1 ، بيروت ، 1994 .
9-______ : مبـاحث في التـاريخ الاجتمـاعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين ، دار الطليعـة للطبـاعة والنشر ، ط1 ، بيروت ، 1998 .
10-بورويبة رشيد : الدولة الحمـادية تـاريخهـا وحضـارتـها ، ديوان المطبوعـات الجـامعية ، المركـز الـوطني للدراسـات التـاريخية ، الجزائر ، 1977 .
11-الجنحـاني الحبيب : دراسـات في التـاريخ الاقتصـادي والاجتمـاعي للمغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت ، 1986 .
12-______ المغرب الإسلامي الحيـاة الاقتصـادية والاجتمـاعية (3-4 هـ/ 9-10م) الدار التونسية للنشر ، تـونس ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر .
13-جوايتـاين داو شلومو: دراسـات في التـاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ، تعريب عطية القوصي ، وكـالة المطبوعـات ، ط1 ، الكويت ، 1980 .
14-جودت عبد الكريم يوسف : الأوضـاع الاقتصـادية والاجتمـاعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثـالث والرابع الهجـريين (9-10م) ديوان المطبوعـات الجـامعية ، الجزائر .

15-حسن حسني عبد الوهاب : بساط العقيق في حاضرة القيروان وشاعرها ابن الرشيق ، المطبعة التونسية ، تونس ، 1330 هـ .
-16 ـــــــــــــــــــــ : ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية ، مكتبة المنار ، تونس ، 1972 .
17-خضري حسن أحمد : علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب ، مكتبة مدبولي ، ط1 ،القاهرة .
18-الدوري عبد العزيز : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، دار الشروق ، ط2 ، بيروت ، 1974 .
19-الركباني عمر : خلاصة تاريخ تونس ، مطبعة التلبي ، ط4 ، تونس ، 1939 .
20-رمضان عاطف منصور أحمد :الكتابات غير القرآنية على النقود الإسلامية في المغرب والأندلس ، مكتبة زهراء الشرق ، ط1 ، القاهرة ، 2002 .
21-زغلول سعد عبد الحميد : تاريخ المغرب الكبير ، نشأة المعارف ، الإسكندرية .
22-سالم السيد عبد العزيز : تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1969 .
23-سعد أحمد صادق : دراسات في المفاهيم الاقتصادية لدى المفكرين الإسلاميين " كتاب الخراج" لأبي يوسف ، دار الفرابي ، دار الثقافة الجديدة ، 1988 .
24-أبوصوة محمود : تاريخ العرب الاجتماعي والاقتصادي في العصر الوسيط ، قراءة معايرة ، منشورات إيلجا ، مالطا ، 2002 .
-25 ـــــــــــــــ : دراسات في تاريخ البحر الأبيض المتوسط في العصر الوسيط ، منشورات إيلجا ، مالطا ، 2000 .
26-مصطفى أبو ضيف : القبائل العربية في عصري الموحدين وبني مرين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982 .
27-العربي إسماعيل : المدن المغربية في الأدب الجغرافي العربي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 .
28-الفاسي عبد الرحمن : خطة الحسبة في النظر والتطبيق والتدوين ، دار الثقافة ، ط1 ، الدار البيضاء ، 1404 هـ/ 1984 م .
29-غوستاف لوبان : حضارة العرب ، تر عادل ريكز ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ط1 ، 1964 .
30-فيلالي عبد العزيز : مدينة قسنطينة في العصر الوسيط (دراسة سياسية ، عمرانية ، ثقافية) دار البعث ، قسنطينة ، 2002 .
31-فالتر هنتس : المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمه عن الألمانية كمال العسلي ، روائع مجدلاوي ، ط2 ، الأردن ، 2001 .
32-بن قربة صالح : المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 .
33-لقبال موسى : الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي (نشأتها وتطورها) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط1 ، الجزائر ، 1971 .
34-مجاني بوبة :أثر العرب اليمانية في تاريخ بلاد المغرب في القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، منشورات جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2003 .
-35 ـــــــــــــــ : دراسات إسماعيلية ، مطبوعات جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2002-2003 .
36-مرمول محمد الصالح : السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983 .
38-كمال السيد أبو مصطفى : تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين ، مركز الإسكندرية ، مطبعة الإشعاع .
-39 ـــــــــــــــــــ : جوانب من حضارة المغرب من خلال نوازل الونشريسي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1997 .

40-منتجمري واط : فضل الإسلام على الحضـارة الغربية ، تر حسين أحمد أمين ، دار الشروق ، ط1 ، بيروت ، 1983 .
41-موريس لومبـار : الإسلام في مجده الأول (القرن 8-11م/2-5 هـ) ، تر إسمـاعيل العربي ، المؤسسة الوطنيـة للكتـاب ، الجزائر ، 1984 .
42-موسى عز الدين أحمد : النشـاط الاقتصـادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السـادس الهجري ، دار الشروق ، ط1 ، بيروت ، 1983 .
43-النبهـاني يوسف بن إسمـاعيل : دليل التجـار إلى أخلاق الأخيـار ، مطبعة السعـادة ، مصر .
44-هوبكـ : النظم الإسلامية في المغرب في العصور الوسطى ، تر أمين توفيق الطيبي ، الدار العربية للكتـاب ، ليبيـا ، تونس ، 1980 .
45-الوزاني أبو عبد الله محمد الرهوني : الرسـالة الوجيزة المحررة في أن التجـارة إلى أرض الحرب وبعث المـال إليهـا ليس مـن فعـل البررة ، تح وتخريج وتعليق أبي أويس محمد بوخبزة ، أبو الفضل بدر الدين عبد الإله العمراني ، نشر في كتاب ضم أجوبة عـن مـسـائل مختلفة وأربعون حديثـا في الجهـاد وشرحهـا ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1424هـ/2003 م .

3/ المقـالات :

1-أمبرتو ريسيتـانو : النورمـانديون وبني زيري من الفـتح النورمـندي لـصقلية حـتى وفـاة رودجـيرو الثـاني (453-548هـ/1061-1154م) ، مقـال منشور في مجلة الآداب مطبعة جـامعة فؤاد الأول ، 1949 ، المجلد 11 .
2-أندري بوروزو : المسلمون في صقلية وتأثيرهم في القرون الوسطى ، مقـال منشور في كتـاب الملتقى العـاشر للفكر الإسلامي المنعقد في عنـابة ، 10-19 يوليو 1976 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية ، المجلد الثـاني .
3-بـاقة رشيد : الأقليـات الدينية في بلاد المغرب ومدى مسـاهمتهـا في ازدهـار الحيـاة الاقتصـادية من الفتح إلى العهد الموحدي ، مقـال في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسـانية لجـامعة الأمير عبد القـادر ، قسنطينة ، العدد 4 ، أكتوبر ، 2004 .
4-الجنحـاني الحبيب : التجـارة في المغرب الإسلامي خلال القرن الثـالث الهجري وأثرها على التجـارة العـالمية، مقـال منشور في كتـاب الملتقى العـاشر للفكر الإسلامي المنعقد في عنـابة ، 10-19 يوليو 1976 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية ، المجلد الثاني.
5-_________ الحيـاة الاقتصـادية في سجلمـاسة عـاصمة بني مدرار ، مقـال منـشور في كتـاب بحـوث في تـاريخ الحضـارة الإسلامية المنعقد بين (16 إلى 20 أكتوبر 1976) بمنـاسبة ذكرى الدكتور أحمد فكري ، مؤسسة شبـاب الجـامعة ، الإسكندرية ، 1998 .
6-جمعة شيخة : ملامح من النشـاط الفلاحي في المجتمع الريفي بإفريقية من الفتح إلى القرن 5هـ /11 م من خلال كتب الطبقـات ، مقـال منشور في أعمـال المؤتمر الثـالث لتـاريخ وحضـارة المغرب ، المنعقد في وهران من 26 إلى 28 نـوفمبر 1983 ، ديـوان المطبوعـات الجـامعية ، الجزائر ، 1987 .
7-سـامي سلطـان سعد : الجـاليـات الإيطـالية التجـارية في المغرب الإسلامي حتى نهـاية القرن الرابع عشر الميلادي ، مقـال منشور في مجلة سيرتـا ، دار البعث للطبـاعة والنشر ، قسنطينة ، السنة السـادسة ، العدد 10 ، أفريل 1988 .
8-الشـامي عبد العـال عبد المنعم : جغرافية المدن عند العرب ، مقـال منشور في مجلة عـالم الفكر ، تصدر عـن وزارة الإرشـاد والأنبـاء ، الكويت ، المجلد 9 ، العدد 1 ، 1971 .
9-الشحـان أحمد : رحلة ابن يونة الأندلسي التيطلي ، مقـال منشور في كتـاب الرحلة بين الشرق والغرب اتصـال أم انفـصـال (ندوة) ، منشورات كلية الآداب ، ط1 ، الربـاط ، 2003 .
10-صبحي لبيب : التجـارة الكـارمية وتجـارة مصر في لعصور الوسطى ، المجلة التـاريخية المصرية ، العدد 4 ، ماي 1951 .
11-الطيبي أمين توفيق : جوانب من الحيـاة الاقتصـادية في المغرب في القرن السـادس الهجري الثـاني عشر الميـلادي مـن خـلال رسـائل الجنيزة ، مقـال منشور في كتـاب أعمـال المؤتمر الثـالث لتـاريخ وحضـارة المغرب ، المنعقد في وهران من 26 إلى 28 نوفمبر 1983 ، ديوان المطبوعـات الجـامعية ، الجزائر ، 1987 .

12-العـابد محسن : جوانب من الحيـاة الفكرية والاجتمـاعية والاقتصـادية بإفريقية في أواخر القـرن الخـامس وأوائـل القـرن السـادس الهجري من خلال فتـاوى عبد الحميد الصـائغ والمـازري ، مقـال منشور في مجلة العلم والتعليم ، الشركة التونسية لفنـون الرسم ، السنة الثـالثة ، العدد 32 ، 1398 هـ/ 1978 م .
13-هيفينج : مـادة تجـارة ، دائرة المعـارف الإسلامية ، ترجمة المقـال محمد شـاكر ، انتشـارات جيهـان ، طهران .
14-وداد القـاضي : الحرف الزراعية والصنـاعية في صقلية الإسلامية وأثرهـا على الحضـارة الأوربية ، مقـال منشور في كتـاب الملتقى العـاشر للفكر الإسلامي المنعقد في عنـابة ، 10-19 يوليو 1976 ، منـشورات وزارة الـشؤون الدينيـة ، الـمجلد الثـاني

4/الرسـائل الجـامعية :

1-بولعسل احسن : الضرائب في المغرب الإسلامي منذ عهد الولاة حتى سقوط الموحدين ، رسـالة لنيل شهـادة المـاجستير تحـت إشراف عبد العزيز فيلالي ، جـامعة قسنطينة ، السنة الجـامعية 1994 –1995 م .
2-شحـاته محمد ريه : اليهود في بلاد المغربيين الأدنى والأوسط في عهد بني زيري (362-555هـ / 972-1160م) رسـالة مقدمة لنيل شهـادة دكتورا الفلسفة في الدراسـات الإفريقية من قسم التـاريخ ، (تـاريخ إسلامي) تحت إشراف محمد خليفة حسن أحمد و سوزى ابـاضة ، القـاهرة ، 2003 م .

5/المراجع الأجنبية :

-1André Sayous :Le Commerce des Européens a Tunis depuis le XII siècle jusque la fin du XVI ,Paris , société d'etitions géographiques, maritimes et coloniale 1929, p24.
Anna Mascarello : Quelques aspects des activités italiennes dans le Maghreb -2 médiéval.in Revue d'histoire et de civilisation du Maghreb N° 5Juillet 1968, Faculté des Lettresd'Alger.

George jehel: Gêne et Tunis au moyen âge ou l'alternative de la guerre et de la paix in -3 Cahier de Tunisie N° 169,190 2et 3 trimestre, 1995 paix, tome XL VIII.

Mas-Latrie : Traités de paix et de commerce et documents divers concernant les -4 relations des chrétiens avec les Arabes de l'Afrique septentrionale au Moyen-Age, Paris 1827.

فهرس الأعلام

-أ-

ابراهيم بن بيجو:44

الأبياني :33-34-35

ابن الأثير :17-63

ابن الأجدابي :27

آدم ميتز :51

إدريس هادي وجي :110

الإدريسي :17-52-53-60-70-82-94-95-105-111-120-125.

إسحاق بن إبراهيم :75.

إسحاق اللافي :68.

أسد بن الفرات :90.

إسماعيل تاجر الله :49.

الأغالبة :86.

الإمام مالك :26-33-88-90-92-113.

الأموي :112.

الأندلسي محمد بن أحمد بن عبد العزيز :90.

الإيطاليين : 44.

-ب-

باديس بن المنصور :83.

بردوبيل :114.

بروتيشيا :121.

ابن بشكوال :27.

أبو بكر الفقيه :85.

أبو بكر عبد الرحمان :26-36-37.

البكري :1-2-48-53-60-67-68-70-75-77-78-79-96-97-106-107-111-127.

بلكين بن زيري :27-83.

||||||||||||| بن راشد

ال:56.

بن يمين التيطلي :108.

البوني :74.

-ت-

التحرمي :121.

الترجوقي عبد الرحمن : 28.

تميم بن المعز :24-114-116.

التنوخي أبو سعيد سحنون :90.

التونسي أبو

اسحاق :37-62-87.

التونسي موسى بن عاصم :28.

البهلول بن راشد :56 .
بنيـامين التيطلي : 108 .
البوني : 74 .
-ت-
التحرمي : 121 .
الترجوقي : 28 .
تميم بن المعز : 24-114-116 .
التنوخي أبو سعيد سحنون : 90 .
التونسي أبو إسحـاق : 37-62-87 .
التونسي موسى بن عـاصم : 28 .
-ث-
ابن الثملة :113.
-ج-
ابن جامع :87.
جبارة بن مكثر :25.
أبو جعفر المنصور : 120.
أبو جعفر هارون الواثق :120.
جودت عبد الكريم يوسف :23.
جوزيف الدمشقي : 68.
-ح-
الحاكم بأمر الله :84-109.
الحسن (الأمير الزيري) :19.
حسن بن حسن : 75.
أبو الحسن القاسم : 75.
الحفصي :82.
حماد بن بلكين :15.
الحماديون (الدولة الحمادية):8-15-64-112.
حنتائيل :121.
ابن حوقل :1-2-33-51-53-58-60-67-70-80-81-88-89-94-95-105.
-خ-
ابن خرداذبة :40.
بنو خرسان :87.
ابن خلدون :6-7-9-18-23-25-63-82.
-د-
الداودي :101 .
الدمشقي :21-23 .
الدمشقي أبو العلاء صاعد جوزيف : 68 .
-ر-

رافع بن مكن الدهـاني : 07-24 .
الرسول صلى الله عليه وسلم : 10-66-76-77-90 .
روجـار : 19-114 .
الروم : 16–38-99 .
بنو الرند : 87 .
-ز-
زناتة :15.
الزهري :10.
الزيان نزار بن عبد الله :28.
أبو زيد القيرواني :33-34-36-39-48-57-58-71-72-73-74-83-88-101-127.
الزيريون (الدولة الزيرية) :2-3-4-7-8-9-10-12-13-14-15-16-19-20-23-24-30-33-38-41-43-48-49-55-57-59-61-62-64-65-71-73-74-76-79-82-86-87-89-92-93-94-97-101-104-108-109-111-112-113-114-115-116-117-118-119-121-122-127.
-س-
أبو سعيد بن خلف : 26 .
ابن سعيد المغربي : 48-99-100 .
سلامة البربرية : 120 .
سليمـان عمران : 56 .
السوسي : 18 .
السيوري :37-38-41-59-77-87 .
-ش-
ابن شبلون : 97-117 .
-ص-
الصـائغ عبد الحميد : 114 .
الصقلي : 18 .
صنهـاجة : 15 .
-ض-
ابن الضـابط : 59 .
-ط-
الطرابلسي : 18 .
الطرابلسي هشـام بن عطـاء : 28-111 .
-ع-
العبـاسيين : 86 .
عمر بن الخطـاب : 65-66 .
عمر بن عبد العزيز : 13 .
عبد الحميد بن عبد الرحمن : 13 .
عبد الله بن عمر بن العـاص : 13 .
عبد الله بن محمد الكـاتب : 24 .

بني عبيد : 85 .
ابن عذارى : 19-20-63-64- .
ابن عرفة : 71 .
عروس بن يوسف : 43 .
أبو العرب محمد بن تميم : 28 .
عز الدين أحمد موسى : 08 .
العزيز الفـاطمي : 84 .
أم العلو : 24-103 .
علي بن يحي : 07-24-25 .
أبو علي الحسن بن خلدون : 16 .
أبو عمران الفـاسي : 16-37-103 .
-غ-
الغـافقي مروان بن سليمـان بن مورقـاط : 29 .
-ف-
الفـاطميون (الدولة الفـاطمية) 8-10-49-78-79-82-83-85-86-87-88-89-90-108-110-112-114 .
الفرنسيون : 44 .
الفينيقيون : 38 .
-ق-
القـابسي : 33-34-35 .
قتول : 121 .
قراطيس 120 .
القرشي يوسف بن الفتوح بن محمد : 29 .
القروي أبو عبد الله محمد بن سعدون : 27 .
القروي محمد بن القـاسم بن أبي الحـاج : 27 .
القحطـان أبو الحسن علي بن عبد الله : 27 .
القلقشندي : 76-80 .
القيرواني : 18 .
-ك-
كرامة بن المنصور : 15 .
ابن الكوفي : 27 .
-ل-
اللبدي : 42-43 .
ابن اللبران : 42 .
اللخمي : 23 .
لسـان الدين ابن الخطيب : 17 .
-م-
المـازري : 38-41-48-56-61-62-70-71-74-88-101-105-107-113-114 .
اليلدي : 75 .

المستنصر بالله : 110 .
مصطفى أبو ضيف : 09 .
المعداني :32-35-36 .
المعد بن إسمـاعيل المعز لدين الله : 55 .
المعز بن بـاديس : 09-10-15-16-17-24-83-85-86-87-103-108-110-128 .
المقدسي : 48-51-76-77-80-81-127 .
بنو مليل : 87 .
المنصور بن بلكين : 83 .
المنصور الفـاطمي : 85 .
المنصور أبو الفتوح : 128 .
أبو منصور محمد الظـاهر : 121 .
المهدي الفـاطمي : 56-110 .
أبو المهلب بن سليمـان القيسي : 78 .
موسى بن ميمون : 41 .
-ن-
النبي صلى الله عليه وسلم : 76-77-78-82 .
نسيم : 121 .
النورمـان : 08-114-18-19-113-114-115 .
النويري : 17-19 .
-هـ-
ابن هشـام : 54 .
هلفون بن نتـائيل : 43 .
هوبكـ : 43 .
هيفينج : 22 .
-و-
بنوالورد : 87 .
الونشريسي : 57 .
-ي-
يـاقوت الحموي : 107 .
يحي بن تميم : 08-86 .
يحي بن عمر : 92 .
يزيد بن حـاتم : 49 .

فهرس الأمـاكن :

-أ-

أُبة : 95 .

أجدابية : 97-112 .

آجر : 47-94 .

أحسـاء عقبة بن نـافع : 96 .

أحنـاس وادي : 94 .

الآربس : 46-94 .

أركوا : 94 .

أزكو : 95 .

إسبـانيـا : 55-120-125 .

الإسكندرية : 94-97-104-108-110-113 .

آسيـا الصغرى : 123 .

إشبيلية : 28-29 .

أغمـات : 27 .

القصر الإفريقي : 94-95 .

إفريقية : 01-02-03-04-08-09-12-17-18-19-20-26-28-29-38-43-44-49-55-58-61-64-65-69-71-77-83-85-88-93-98-101-104-108-109-110-111-112-113-114-117-123 .

ألمرية : 29-104-125 .

أمـالفي : 115-117 .

أمرود : 45 .

الأندلس : 11-26-27-28-29-40-98-104-112-113-118-122-124-125 .

انليورية : 43 .

أوجلة : 05-97-126 .

أودغشت : 88-97 .

أوربـا : 41-120 .

أ

أوسحنت :95 .
إيران : 124 .
إيطـاليـا : 18-25-100-110 .
-ب-
بـاجة : 01-46-60-67-70-71 .
بـاديس : 53-94 .
بـارجمت : 47 .
بـاغايـا :28-45-53-54-95-128 .
بجـاية : 82-113 .
برقة : 16-25-94-98-101-117 .
بسكرة : 3-45-94-96 .
بغداد : 80 .
بلزمة : 95 .
بلطة : 01 .
البندقية : 105-115-116 .
بـ رت : 46-53-61-68-87-104 .
بنطيوس : 96 .
بومباي : 43 .
بونة : 01-46-47-51-52-70-110-115-116-128 .
بيزة : 98-105-115-117 .
-ت-
تـاجموت : 95-96 .
تـاجنة : 95 .
تـادمكة : 97 .
تـادميت : 94-95 .
تـاغريبت : 95-96 .
تـافنـات : 94 .
تـاكنست : 94 .
تـامغليت حصن : 96 .
تـاهوذا : 94-96 .
تـاورفي : 47-93 .
تبسة : 95-96 .
قصر ترشة : 46 .
تمـاجر : 53-107 .
تنيس : 95 .
قصر تنيذة : 46 .
ترت : 95-96 .

تـ ـ ـونس : 2-4-13-24-28-40-41-46-47-52-54-58-59-74-76-80-87-80-87-97-100-101-104-107-115-116-117-123-124-127-128 .
توزر : 45-48-70-96 .
تيجس : 47-94-95 .
تيفـاش : 94-95 .
تيقوس : 45 .
-ج-
جب حليمة : 94 .
جب العوسج : 94-98 .
جب الميدان : 94 .
جراوة : 96 .
جربة : 7-16-18-45-47-83-100-117 .
قصر جردوان : 46 .
الجرف : 97 .
قصر الجرف : 45 .
الجريد : 03-96 .
جزائر بني مزغنة : 122 .
جلولا : 47-51-52 .
بئر الجمـالين : 47 .
جمنوس : 45 .
جمنوس الصـابون : 47-96 .
جنـاد الصغير : 94 .
جنوة : 11-98-105-115-117 .
جون الرمـادة : 94 .
جيجل : 47-82 .
-ح-
الحبشة : 119 .
حرتيل : 96 .
الحجـاز : 111 .
حجر عبدون : 98 .
جزيرة الحمـام : 98 .
جزيرة أبو حمـامة : 47 .
الحمة : 45 .
حوانيت أبو حليمة : 94 .
حنية الروم : 94 .
-خ-
خربة القوم : 94 .
مرسى الخرز : 33-46-51-52-61-68-111-113-119 .

خرســان : 89 .
- د -
دار ملول : 95 .
دانية : 75 .
مرسى الدجــاج : 113 .
قصر الدرق : 47 .
درنة : 01 .
واد الدنــانير : 95 .
بني دعــام : 47-96 .
دكمة : 95 .
الدواميس : 47 .
دوفــانة : 95 .
واد الديك : 95 .
- ذ -
ذات الحمــام : 94 .
-ر-
رأس الحسر : 97 .
رأس العبــادي : 97 .
رأس الرملة : 97 .
رأس الشعراء : 97 .
رأس الكنــائس : 94 .
رقــادة : 45-53 .
بلاد الروم : 86-98-100-101 .
قصور الروم : 46-97 .

-ز-
الزاب : 96 .
زانة : 01 .
قصر زجونة :47 .
زويلة : 02-18-53-58-61-84-105-107-111-118 .
الزيتونة : 47 .
مرسى الزيتونة : 45 .
-س-
ســاقية بن خزر : 96 .
ســالرنو : 116-117 .
سبتة : 110 .
سبيبة : 53-70-95-96 .
ستول : 96 .

سجلمـاسة : 89-112-118-123 .
سردينيـا : 115 .
سرقسطة : 120 .
سفـاقس : 02-20-45-46-47-52-60-61-67-74-87-99-111-119-121-127 .
السكة : 95 .
سكة الحمـام : 94 .
سلفطة : 97 .
السودان : 24-30-41-97-112-125 .
سوريـا : 123 .
سوسة : 04-20-46-51-52-54-69-97-99-116-119-127 .
سيلان : 42 .

-ش-
الشـام : 11-12-18-111-115-122 .
الشرق الأقصى : 110 .
قصر شقـاس : 46 .
فندق الشكل : 47 .
شمـال إفريقية : 11 .
-ص-
صبرة : 51-85-86-93-127 .
بئر الصفـا : 94 .
صقلية : 8-11-12-16-18-19-65-97-100-101-104-113-118-119-120-121-122-127 .
قصر صونين : 46 .
الصين : 11-43-117-119-120-125 .
-ط-
طبرقة : 46-54-94-98-100-112-113 .
طبنة : 94-95-96 .
طرابلس الشرق : 28-111 .
طرابلس الغرب : 42-47-53-74-93-94-97-98-101-104-115-116-117 .
طراق : 04 .
طرف الجون : 46 .
طرف الرملة : 46 .
طرف المنشـار : 46 .
طرفي : 46-47-93 .
قلعة أبو طويل : 95 .
-ع-
آبـار العبـاس : 94 .
عدن : 42-43 .

العراق : 28-78-81-89-111 .
العقبة : 94 .
عقبة السلم : 94 .
عقيلات : 97 .
مرسى عمـارة : 94 .
عندة : 01 .
قصر عيشون : 45 .
-غ-
غـافق : 47-50-93 .
غـانة : 97 .
غدامس : 97-125 .
الغدير : 95 .
الغزة : 95 .
-ف-
فـارس : 80-89 .
فـاس : 96-122 .
فـاسـاس : 95 .
فـانان : 97 .
فج الحمـار : 47-96-107 .
فردان : 125 .
فرنسـا : 12-125 .
الفسطـاط : 43-68-69 .
فلسطين : 108 .
الفهمين : 47 .
الفوارة : 47-93 .
-ق-
قـابس : 02-03-05-07-20-45-46-47-48-53-60-61-74-87-93-94-101-106-110-111-119 .
قـاصرة : 49 .
القـاهرة : 42-43-83 .
قبر مدغوس : 95 .
قبودية : 97 .
القصر القديم : 107 .
قرطـاجنة : 04-46-120 .
قرطبة : 27 .
قرقنة : 97 .
قسطيلية : 45-52-59-61-70-94-96-97-128.
قسنطينة : 40-47-48-53-61-82 .
قفصة : 03-45-48-54-60-61-87-94-96 .

قلشـانة : 60-108 .
قلورية : 100 .
قلوع جـارة : 96 .
القيروان : 01-09-17-26-27-28-41-45-47-49-50-51-55-56-58-59-60-62-76-77-80-83-86-94-95-96-97-98-107-708-116-117-119-120-121-124-127 .
-ك-
كـاتنة : 47 .
كـانم : 58 .
الكبس : 47 .
نر كرط : 96 .
جزيرة كريت : 121 .
كنـائس الحرير : 94 .
كنـانة : 93 .
كورسيكـا : 115 .
كور قمونية : 47-96 .
-ل-
لبدة : 42-97 .
لجم : 46 .
لربس : 95 .
لكة : 94 .
لمطة : 05 .
-م-
مـامة : 96 .
قصر بني مأمون : 45 .
مجـانة : 47 .
مجـانة المطـاحن : 95 .
مجدول : 47-96 .
نر مجردة : 46 .
مذكود : 02-47-53-60-96 .
مسكيـانة : 95-96 .
مسيلة : 94-95-96 .
مراكش : 12 .
مرج الشيخ : 94 .
مرج بن هشـام : 96 .
مرسيليـا : 11-105 .
مرجـانة : 96 .
المشرق : 98-110-111-112-119-123-124 .

مصر : 04-11-12-16-18-40-78-98-100-101-104-108-109-110-111-115-117-118-119-120-121-122-123-124-125 .
المغرب : 18-27-29-30-42-43-60-68-88-89-98-101-111-118-119-120-122 .
مقرة : 94-95-96 .
الملاحة : 94 .
نر ملاق : 95 .
واد ملوية : 96 .
م ل بـاشوا : 47-51-52 .
المنستير : 53-60 .
قصر المنستير : 46 .
منستير عثمـان : 46-47-107 .
المنصورية : 14-16-24-31-49-84-85 .
المهدية : 04-09-13-16-17-18-19-40-41-42-43-45-46-49-50-53-54-56-58-60-69-75-83-84-85-97-98-105-107-112-115-116-117-120-121-122-127 .
مونبولييه : 108 .

-ن-

نـابولي : 116 .
نـاربون : 125 .
قصر نبقة : 46 .
قصر النخلة : 46 .
قصر الندامة : 94 .
نفطة : 96 .
جبل نفوسة : 58-59-97-117 .
نقـاوس : 95 .
نكور : 96 .
ننغروبنت : 108 .
النهرين : 95 .

-هـ-

الهند : 11-43-117-119-120-125 .

-و-

قصر مرسى الوادي : 46 .
جبل واسلات : 07-16 .
بني وجـاص : 46 .
وجدة : 96 .

-ي-

يـابسة : 124 .
بني يصليين : 96 .
اليمن : 119 .

اليهودية : 97 .
اليونـان : 11 .

3/ فهرس الموضوعـات :

مقدمة ....أ-ز
المدخل :...1-5
الفصل الأول : موقف الدولة الزيرية من التجـارة والعوامل المتحكمة فيهـا...6-21
موقف الدولة الزيرية من التجـارة.................................6-10
العوامل المتحكمة في التجـارة..10-21
الفصل الثـاني : أصنـاف التجـار 22-45
من حيث العمل التجـاري 22-24
من حيث المكـانة الاجتمـاعية......................................24-39
التـاجر الذمي 40-45
الفصل الثـالث : التجـارة الداخلية 46-93
الطرق التجـارية 46-49
الأسواق...50-58
السلع المتداولة..58-63
الأسعـار...63-72
الشركة 72-76
المكـاييل والموازين 76-83
السكة..83-90
الحسبة...90-93
الفصل الرابع : التجـارة الخـارجية 94-129
الطرق التجـارية..94-99
أهم الموانئ 99-102
وسـائل النقل 102-106
الفنـادق...106-109
منـاطق التبـادل التجـاري 109-119
الصـادرات والواردات...119-127
الضرائب والمكوس 127-129
خـاتمة...130-131

الملاحق...136-132
قـائمة المصـادر والمراجع 147-137
فهرس الأعلام...154-148
فهرس الأمـاكن 166-155
فهرس الموضوعـات 168-167